● أزمة المثقف المصرى فى السبعينات □□□□□

● من رسائل لويس عوض

د. غالى شكرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان لويس عوض من بين الأسماء التى وقعت على ما سمى ببيان توفيق الحكيم فى أواخر عام ١٩٧٢ أقصد البيان الذى تم الاتفاق عليه فى مكتب الحكيم بالدور السادس من مبنى لاهرام بين مجموعة كبيرة من المثقفين اقترحت عناصره وحددت توزيعه على المستويات القيادية فى الدولة ومنهم رئيس الجمهورية . وقام توفيق الحكيم بصياغة البيان فى صورته النهائية التى عرفت طريقها إلى جريدة الأنوار اللبنانية وقد اشتملت هذه الصورة على بعض التوقيعات من بينها توقيع لويس عوض .

كان البيان استجابة من الكتاب والأدباء لما يمور به الشارع المصرى من غليان ، وخاصة فى صفوف حركة الطلاب المحتدمة عام ١٩٧٢ تنادى بالتحرير والديموقراطية .

وفى شهرى فبراير ومارس ١٩٧٣ صدرت عن لجنة النظام فى الاتحاد الاشتراكى قوائم بأسماء الكتاب والصحفيين الذى شاركوا الطلاب أمانيهم السياسية سواء بالتوقيع على بيان الحكيم أو غيره من البيانات أو بالقاء المحاضرات فى كليات الجامعة حول الأحداث الساخنة ، أو بعقد الندوات والمؤتمرات أو بالكتابة مباشرة وكانت لجنة النظام التى تشكلت خصيصاً للنظر فى أمر هؤلاء الكتاب والصحفيين قد قررت فصل أكثر من مائة من عضوية الاتحاد الاشتراكى - التنظيم السياسى الوحيد - مما كان يستتبع فى ذلك الوقت الفصل من العمل الوظيفى سواء كان عملاً صحفياً أو غير ذلك .

وهكذا بدأ الخروج الكبير للكتاب والصحفيين المصريين على مراحل ، إلى أرجاء المعمورة . وأقصد بالطبع الخروج ذا الطابع السياسى أما الخروج بحثا عن العمل فهو موضوع آخر . وقد اختلفت ظروف وحظوظ الكتاب الذين اختاروا نوعا من الهجرة المؤقتة لامتناع فرص التعبير عنهم أو لشعورهم بالاختناق فى ظل التحولات الاجتماعية والثقافية الحثيثة والتى طرأت على المجتمع المصرى منذ بداية السبعينات وقد أختارت الأكثرية المنفى الداخلى ، بمعنى الصمت .

وكان لويس عوض قد تلقى فور نشر اسمه فى احدى قوائم لجنة النظام ، دعوة من جامعة كاليفورنيا للعمل أستاذا زائرا ولكنه بعد الشكر - اعتذر عن عدم استطاعته تلبية الدعوة فى

الوقت الحاضر . وبخاصة أن الرئيس السادات قد أعاد الكتّاب والصحفيين إلى أعمالهم قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ بأسبوع واحد . ثم أقبلت الحرب بآمال كبيرة وقد عاودت جامعة كاليفورنيا اتصالها بلويس عوض على أساس أنه مدعو فى أى وقت يحدده للتدريس عاماً أو عامين كما تشاء ظروفه .

وكنت شخصيا أحد الذين تركوا القاهرة فى أوائل مايو ١٩٧٣ الى بيروت حيث كان ناشرى يطبع لى كتابا وددت الإشراف عليه بنفسى حتى الصدور . ولكنى هناك وجدت بعض أصدقائى من المصريين واللبنانيين الذين رأوا أن أبقى بينهم حتى تتحسن الظروف فى مصر . كان اسمى قد ورد فى احدى قوائم لجنة النظام منقولاً من الأهرام الى مصلحة الاستعلامات (الهيئة العامة للاستعلامات الآن) . وقد رفضت وغيرى ممن شملهم النقل أن ننفذ الأوامر . ولذلك تحينت فرصة حصولى على تأشيرة خروج لقضاء أسبوعين على الأكثر فى العاصمة اللبنانية . ولكنى وجدت نفسى مقيما فى بيروت التى كنت قد وقعت فى غرامها قبل ذلك خلال زياراتى السريعة . وبعد مضى أقل من العام قليلا وصلتنى من لويس عوض رسالة عليها خاتم جامعة كاليفورنيا فى الولايات المتحدة ، جاء فيها .

تحياتى . ارجو أن تكون أحوالك على ما يرام وأن تكون مستقرا فى عملك وسعيداً به . أنا هنا فى لوس انجليس منذ ٢٤ مارس بعد أسبوع فى لندن والبوعين فى باريس وأسبوع فى نيويورك وبعد مشاهدة عشر مسرحيات فى هذه العواصم الحالة النفسية لا تزال هابطة . ولكن التدريس يساعد على تجاوز الأزمة لأنى أحبه كما تعلم . على كل أنا هنا حتى ١٥ يونيو وبعد ذلك تكون مشروعات العودة .

(... مقطع يخص العلاقة بينه وبين ثلاثة ناشرين هم سعيد محمدية وسهيل ادريس وبشير الداعوق)

أكتب لى عن أحوالك . هل أنت مستقر ؟ كتبت أول أمس الى يان بروخمان عن موضوعك وأعطيته عنوانك فأرجو أن يتصل بك .

سلامى إلى ميشيل كامل والى جميع الاخوان أنا لا أزال أمرّ فى الضيق النفسى الذى رأيتنى فيه . فأرجو المعذرة اذا كانت عبارتى لا تحمل أى معنى يدعو إلى الابتهاج ! قلبى مع المثقفين المصريين ممن نعرفهم وممن لا نعرفهم . وأكتفى بهذا القدر .

١٩٧٤/٤/٧
لويس عوض

أظننى فوجئت بهذه الرسالة لأننى لم أتوقع مغادرة لويس عوض لمصر . كنت متأكدا أنه سيبقى رغم قسوة الظروف . وقد عرفت منه فيما بعد أن خروج هيكل من الأهرام هو الذى حسم أمر قبوله دعوة الجامعة الأمريكية . ولقد كنت استشعر ضيقه النفسى ومعنوياته الهابطة بسبب التحولات الكبرى - ومن بينها التحولات الثقافية - التى تعرضت لها مصر منذ بداية السبعينات كان لويس عوض متحمساً تماماً للشعارات الليبرالية الجديدة وكان متحمساً أكثر لما سمى بالعودة إلى مصر بعد ما كان يرى طوال غياب فى أحضان العروبة . ولكن حماسته كانت تفتر قليلا أو كثيرا كلما رأى أو سمع هذا القرار أو ذاك من القرارات الثقافية أو الاعلامية :

وقد ترافقت هذه الرموز مع المجابهة الساخنة لحركة الطلاب والمثقفين حتى وصلت هذه المجابهة ذروتها باعتقال بعض الطلاب والعمال وفصل الكتاب والصحفيين من أعمالهم . كذلك كانت المبادرة إلى اغلاق بعض المجلات الثقافية الهامة ، ونزوح بعض الكتاب واساتذة الجامعات الى العمل فى بلاد النفط .

كان ذلك يؤثر على وجدان لويس عوض تأثيراً شديدا ، خاصة أنه قد لاحظ الخوف من السلطة رغم شعاراتها الليبرالية يسيطر على بعض الكبار كان رئيس الجمهورية قد هاجم بيان توفيق الحكيم هجوما عنيفا ، ولكن قوائم الفصل من الاتحاد الاشتراكى لم تشمل الحكيم ونجيب محفوظ .. بل قابلهما الدكتور حاتم الذى أصبح نائبا لرئيس الوزراء للإعلام ، يرافقهما ثروت أباظة ، وكان من الموقعين على البيان وورد اسمه فى احدى القوائم ولا أحد يستطيع إلى الآن أن يؤكد لنا ماذا تم فى اجتماع الأدباء الثلاثة مع المسؤول عن الثقافة والاعلام . وكان حاتم قد وقف الى جانب السلطة الجديدة فى مايو ١٩٧١ وكان أيضاً أول من حلّ فى الأهرام مكان هيكل . ولكن لويس عوض الذى سبق له أن أهدى حاتم أحد مؤلفاته « دراسات فى النظم والمذاهب » كان منحازا على الدوام للوزير المثقف ثروت عكاشة أحد مؤسّس القاعدة الصلبة للثقافة الرفيعة . وقال لويس عوض لتوفيق الحكيم ان الحكومة سوف تخلع خصومها من المجلس الأعلى للفنون والآداب . ولكن الحكيم قال له لن يحدث وسأستقيل لو حدث . غير أن ما كان يخشاه لويس عوض وقع دون أن يستقيل الحكيم أو نجيب محفوظ أو أى مثقف آخر . وإنما قام الحكيم بزيارة رئيس الجمهورية فى صحبة حاتم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصدر ما يشبه البيان الصحفى الذى يرطب الأجواء دون وعد بازالة « الجفوة » ومسبباتها بين الدولة والثقافة وبين السلطة والمثقفين ثمّ عيّن يوسف السباعى وزيرا للثقافة ، وسرّب توفيق الحكيم نسخاً مطبوعة بالآلة الكاتبة من كتيب « عودة الوعى » .

وقد بدأ السباعى عمله بإغلاق مجلة « الكاتب » وواصل هذا العمل حين أصبح رئيسا لمؤسسة الأهرام فأغلق مجلة الطليعة .. وبالنسبة لكتاب « عودة الوعى » فقد قرأه لويس عوض قبل أن ينشر ، ونصح توفيق الحكيم بألا ينشره . وكان ذلك هو آخر ما عايشه لويس عوض فى مصر قبل رحيله الى لويس انجليس .

ومن جانبى كنت قد ناقشت معه امراً شخصيا ، ففى عام ١٩٦٦ وصلنى من المستشرق الهولندى المعروف يان بروخمان دعوة للتدريس فى جامعة ليدن . وقد رفضت أجهزة الأمن فى ذلك الوقت أن تمنحنى تصريحاً بالعمل او تأشيرة خروج . وفاجأتنى ـ على العكس من ذلك ـ باعتقالى ، فلم اتمكن من تنفيذ عقد العمل الذى وقعت عليه . لذلك أوصيت لويس عوض ـ قبيل مغادرتى مصر ـ أن يحاول الاتصال بالبروفيسور بروخمان ليسأله اذا كانت الدعوة مستمرة .

وبدوره كلفنى لويس عوض بالبحث له عن ناشر لبنانى للجزء الأول من كتابه ،،تاريخ الفكر المصرى الحديث،، الذى كان قد شرع فى تأليفه غداة الهزيمة كنوع من البحث عن الجذور أو التنقيب فى أغوار النفس المصرية . ثم وصلتنى منه بعد حوالى خمسة أشهر الرسالة التالية :

« تحياتى . أكتب اليك مرة أخرى من لوس انجليس التى دعتنى للمرة الثانية للتدريس بها ولكن هذه المرة للعام الدراسى كله ، أى حتى ١٥ يونيو ١٩٧٥ ، وقد اتفقت مع الأهرام على أن أكتب له من الخارج . أرجو أن تكون أنت والأسرة فى خير حال .

رجائى اليك أن ترسل الىّ على عنوانى الموضح أعلاه أصول كتابى عن ،،تاريخ الفكر المصرى الحديث من اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ الخلفية التاريخية،، وذلك بالبريد الجوى المسجل ، وهو الكتاب الذى كنا نتفاوض بشأنه مع بشير الداعوق لنشره ، كما أرجو أن تفعل ذلك فورا لشدة حاجتى إلى هذه الأصول فى محاضراتى هنا .

(...)

أرجو أن تهتم بهذا الأمر فأنا لا أملك نسخة أخرى . وقد استلف هيكل النسخة الأخرى وعندما طلبتها منه قبل سفرى بحث عنها ولم يجدها .

سلامى الى ميشيل كامل ونبيل زكى وكافة المصريين الانقياء فى بيروت ، وكذلك الزملاء الأنقياء من أهل الشام . وأنا أترك لك اختيار من تحمل سلامى إليهم ، فانت تعرفهم كما أعرفهم .

اكتب لى عن أحوالكم بالتفصيل فكاليفورنيا بعيدة وأخبار مصر لاتصل الا كأصداء باهتة على البعد البعيد ، حتى الأخبار الكبرى ، فما بالك بأخبار الأصدقاء ! كذلك اكتب لى عن أحوالك وأخبارك ومشروعاتك . أليس من عجائب الحياة أننا لم نطفش رغم عشرين سنة من الارهاب .... ثم نطفش فى عصر الديموقراطية ؟ ! الحمد لله انى سأبلغ سن التقاعد فى ديسمبر ١٩٧٥ حين أستحق معاشاً من الأهرام عند اتمام ٦١ سنة ، أى بعد ١٥ سنة من الخدمة المؤمن عليها فى الصحافة . وعندئذ سوف أعتكف بين القاهرة والفيوم بين كتبى وأوراقى الاّ إذا حدثت معجزة واختفى الأفاقون نهائيا من محيط الثقافة المصرية .

ترى ماذا سيقول التاريخ عن هذه الفترة ؟ لقد بعثت بتحية الى قلوب مصر المغتربين على صفحات الأهرام فى احدى مقالاتى خلال شهر اغسطس ، فلعلك اطلعت عليها .

تقبل خالص سلامى وتمنياتى

٢٢ ـ ٩ ـ ١٩٧٤

لويس عوض

ملاحظة : « حالتى النفسية أفضل كثيرا من الربيع الماضى ، ولذا فإنى استشرف عاما أرجو أن يكون مثمرا من الناحية الأدبية » .

بالرغم من هذه الحالة النفسية الأفضل فقد وافق على قضاء سنة دراسية جديدة فى جامعة كاليفورنيا ، مما دعانى الى التحفظ على هذا التحسن غير انه طالما يشعر بذلك يتعين أن اقرأ رسالته من جديد .

كان لويس عوض قد أعطانى نسخة من كتابه « تاريخ الفكر المصرى الحديث ـ الخلفية التاريخية » لقراءته والبحث له عن ناشر فى بيروت . وكان هذا الجزء قد صدر مرتين فى القاهرة ، الأول بعنوان « المؤثرات الأجنبية » فى الأدب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العربى الحديث عن معهد الدراسات العربية العالية إذ كان الكتاب فى الأصل مجموعة محاضرات القاها صاحبها على طلاب المعهد . ثم صدر مرة أخرى بعنوانه الجديد فى سلسلة كتاب الهلال ولكن هزيمة ١٩٦٧ دفعت لويس عوض إلى التعمق فى جذور الفكر المصرى الحديث ، ومتابعة رحلته من رفاعه الطهطاوى الى ثورة ١٩١٩ وقد ربط بين الفكر الاجتماعى والسياسى وتطور الدولة الحديثة . ولكن هذا الربط كان مقتصرا على العلاقة بين المفكر الفرد وأعماله من ناحية ، وبين المجتمع السياسى من ناحية أخرى . لذلك بدا الكتاب وكأنه فصول عن مجموعة من الأدباء والصحفيين من مراحل تاريخية متتابعة . وكانت القيمة المعيارية التى تقاس بها قامة كل منهم هى الموقف من الديموقراطية والموقف من الاحتلال الأجنبى . وجاءت الصياغة فى قالب مبسط يفتقر إلى التركيب ، وإلى غنى العلاقات المتشابكة بين الأفكار والاطار الاجتماعى ـ الثقافى للمرحلة التاريخية التى يعالجها .

وفى رحلة البحث عن الجذور لم أكتشف الأسباب التى أفضت فى خط سيرها إلى الهزيمة . وإنما وجدت تاريخا سياسيا لبعض الكتّاب ولذلك كان ممكنا لهذا التاريخ أن يكون مادة دراسية ولكن لويس عوض كان حريصا فى مثل هذه الأعمال وغيرها أن يطلع عليها بعض أصدقائه قبل نشرها . وقد كنت واحداً من هؤلاء . وكذلك محمد حسنين هيكل . ولكنى اشك فى أنه كان يأخذ بآراء أصدقائه . كان يهمه أن يعرفها ، أما الاستفادة منها فلست أدرى عنها شيئاً اننى أستبعد فقط أنه قد غيّر فى الأصل بناء على رأى احد ممن اطلعوا على هذا المخطوط أو ذاك .

وفى ظنى أن لويس عوض كان يعنيه فى المقام الأول الصدى السياسى لأعماله وليس التقييم ، كان يهمه التأكد من أن الرسالة قد وصلت أم لم تصل ولعل الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة كان كتابه الأخير أوراق العمر الذى لم يشأ أن يطلع عليه أحد قبل النشر الأسبوعى فى مجلة التضامن .

ومن الواضح أن رحلة البحث عن الجذور قد بررت ابتعاد لويس عوض نسبيا عن مواجهة الحاضر الثقافى . ومن هنا كانت الشكوى الدائمة لمعظم الأجيال التى ظهرت فى العقود الثلاثة الأخيرة من تجاهل لويس عوض لهم . لقد كان يواجه الواقع بطريقته الخاصة ، فهو حين يرجع إلى الطهطاوى أو الأفغانى من ناحية ، أو إلى عصر النهضة الأوروبية من ناحية أخرى كان يواجه الحاضر المصرى والعربى الذى يحتاج إلى فكر النهضة من جديد .

أى أنه كان يفضل مواجهة بعض المسلّمات وإيقاظ بعض البديهيات والتذكير ببعض القيم المهدرة بدلاً من مناقشة رواية جديدة أو شاعر جديد . غير أن هذا الاسلوب أيضا ووجه بالرفض . فقد اشعلت مقالاته عن الأفغانى ناراً تحت الرماد . أما مقالاته عن النهضة الأوروبية فقد استعادت اتهامه بانه (مستغرب) .

وهكذا وجد نفسه مرة أخرى بين حجرى الرحى . لا تختلف الاتهامات من عهد إلى عهد . فهى هى لم تتغير من العهد الناصرى إلى العهد الذى تلاه . ولكنه يتوقف عند هذه المفارقة : كيف أنه رفض مغادرة البلاد فى ظل . ما اسماه الإرهاب الناصرى وها هو ذا يغادرها فى ظل الشعارات فى عهد السادات التى تنادى بالحرية وحقوق الانسان !

كانت المرحلة الجديدة قد حشدت فى هياكل السلطة الثقافية كثيرا من المحافظين بدرجاتهم المختلفة بدءا من أعلامهم المشهود لهم بالكفاءة العلمية على الأقل وانتهاء بمن خلوا من أية قيمة أو موهبة أو كفاءة كان العقم هو الذى يميز المرحلة الجديدة . وقد « طفش » لويس عوض ساخرا من تلك الديموقراطية . حانيا على قلوب الذين دفعتهم الرياح العاتية الى خارج الحدود .

وفى التاسع والعشرين من اكتوبر ١٩٧٤ كتب لويس عوض إلى عنوانى فى بيروت رسالة جديدة كنت وقتها اكتب مقالا أسبوعيا فى مجلة الدستور .. وكنت مع بعض الكتاب المصريين المقيمين فى العاصمة اللبنانية وكذلك بعض الكتاب العرب ، نفكر فى إصدار مطبوعة غير دورية تعبر عن همومنا . وقد تفضل صديق لبنانى هو الاستاذ نسيب نمر ومنحنا امتياز مجلته الشهرية الشرارة التى كانت متوقفة حينذاك عن الصدور . وقد أشرفت على تحريرها ، وكتبت الى لويس عوض بذلك مقترحاً أن يقوم صاحب امتياز الشرارة بنشر كتابه تاريخ الفكر المصرى الحديث .. وقد ظن لويس عوض خطأ أننى تركت العمل فى الدستور لأعمل فى الشرارة التى لم نستمر فى إصدارها أكثر من ستة أشهر ظهرت خلالها ثلاث مرات .

على أية حال ، فقد كتب لويس عوض فى رسالته الجديدة يقول بعد التحية :

وصلنى اليوم خطابك المؤرخ ١/١٠/١٩٧٤ وقد عجبت أن يستغرق خطاب من بيروت إلى أمريكا ٤ اسابيع بالبريد الجوى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تركتك فى « الدستور » وأنت الآن فى « الشرارة » أرجو ألا تكون قد مررت وبزعازع المهم أن تكون مطمئنا لعملك الجديد من جميع الوجوه ولاسيما من ناحية الضمير الوطنى والسياسى ، أما الضمير الاجتماعى فانا لا أشك فى انك تكتب دائما ، ما تعتقده حتى فى أقسى الظروف . رسالة « الشرارة » على حسب ما بينت عظيمة . هل هى من تيار « اسكرا » التى كنا نقرأ عنها قديما ؟ على كلٍ على بركة الله . وأرجو مستقبلا أن توضح لى خيوط العنكبوت الفكرى فى بيروت لأنى عاجز عن تتبع خيوطه من يفعل ماذا ولماذا ؟

(مقطع عن شروط العقد المقترح لنشره كتابه)

أسعدنى انك راض عن الكتاب كما أسعدنى أن المصريين فى العالم العربى يعملون فى تآلف وأشكرك على كلماتك الرقيقة الموجهة إلىّ . أما بالنسبة لنشر أقسام من فصل الصحافة والرقابة فى مجلة الشرارة فارجو ألاّ تفعل هذا إلاّ بعد ابرام عقد النشر مع صاحب « الشرارة » فسوف تترتب له حقوق على هذا العقد على أن يكون النشر الدورى بموافقته كتابيا . وفى جميع الأحوال أنصحك ألا تفعل هذا قبل اقتراب موعد صدور الكتاب ، وبهذا يكون النشر الدورى بمثابة اعلان عن الكتاب كما تفعل الأوبزرفر والصاندای تايمز مع الكتب الجديدة .

وعندما أمر على بيروت فى طريقى إلى مصر نحو أوائل يونيو ١٩٧٥ وأعلم المزيد عن « الشرارة » ربما كتبت لها مقالاً أو مقالين بصفة تطوعية .

سلامى ومحبتى لك وللأسرة ولجميع إخواننا المصريين فى الغربة . لكم اسوة فى رفاعة الطهطاوى وفى محمد عبده وفى كل شتيث من أحرار العالم قديما وحديثا . وتقبل أطيب تحياتى

لويس عوض

١ ــ اكتب لى أخبار مصر كما تعرفها .
٢ ــ بلغ سلامى لسهام (يقصد ابنتى إلهام)
٣ ــ اكتب لى بأحوالك مفصّلة .

كان الدكتور لويس عوض يخشى على الكاتب المصرى المغترب أن ينزلق إلى تأييد نظام عربى على حساب معتقداته السياسية أو بسبب خصومته مع حكومة بلاده . كان يدرى مثلنا أن الوضع السياسى فى عصر السادات يستحق النقد ، ولكنه باستمرار كان يفضل أن يرتفع صوت المعارضة من داخل مصر ، وإلاّ فالصمت أشرف . وكان يشك شكا شديدا فى الأهداف البعيدة لبعض المنابر اللبنانية والعربية عموما ، يشك فى إخلاصها للمبادىء ويشك فى مصادر تمويلها . وكان يرى أنه يتعين على الكاتب المصرى أن يبقى بعيدا عن مصادر التلوث الأخلاقى (الذى وصفه بالوطنى والسياسى . ولذلك لم يكن فى دخيلته سعيداً بخروج المثقفين من مصر إلى البلاد العربية) .

وخاصة بلاد النفط . كان يرحب بأية فرصة تتيح لبعضنا السفر إلى أوروبا . وكان يشترط أن تكون الرحلة قصيرة لا تتجاوز العامين للتعرف الثقافى عن قرب على بعض ما نجهله . لم يكن فى حقيقة الأمر يرغب فى اشتغاله بالصحافة خارج مصر . وهناك ثلاثة عوامل غرست فى نفسه الشك أوّلها أن الخلاف الحاد بينه وبين والده فى أوائل الثلاثينات قد دار حول كلية الآداب والاشتغال بالصحافة ، إذ كان الأب يرى أن الأديب أو الصحفى الذى يرتزق من قلمه مُعَرَّض للانزلاق الأخلاقى . لذلك كان يريد له الالتحاق بكلية الحقوق ، وظل لويس عامين خارج كلية الآداب لهذا السبب أما السبب الثانى فهو يقينه من أن مصادر التمويل تلون الصحافة بألوانها السياسية التى قد تتعارض مع الضمير « الوطنى والسياسى » للصحفى المصرى . وهناك عامل ثالث فقد كان لويس عوض يخشى أن تتسبب مواقف الكاتب منا فى قطع الصلة بينه وبين مصر ، ولا يستطيع العودة .

هذا الهاجس هو الذى دعا لويس عوض فيما بعد أن ينتدب نفسه لإقناعنا فى بيروت وغيرها من العواصم العربية التى عمل فيها المثقفون المصريون ، بضرورة العودة السريعة الى مصر . زار لبنان والعراق والكويت ، وكان ينوى استكمال رحلة الاقناع لولا أن المتغيرات السياسية تلاحقت .

وكان هذا الهاجس نفسه هو الذى ملأ قلبه بالاضطراب فى محاولة التعرف على اللوحة الثقافية اللبنانية . كان يجد الأسماء غير اللبنانية فى بيروت أكثر من الأسماء البنانية ، وكان يجد التقدمى محررًا فى صحيفة يمينية ، والعكس كان يرى المحافظ محررا أو رسّاماً فى صحيفة يسارية . وكان يسمع بعشرات المنظمات والتنظيمات ذات العقائد والأهواء والنزوات والارتباطات بخارج الحدود . لذلك كله وغيره وصف خطوط اللوحة الثقافية فى لبنان بخيوط العنكبوت .

وكان يريد أن يطمئن على بعض الذين يحبهم ، ماذا يفعلون فى هذا الاضطراب الشامل . كان هناك ميشيل كامل ونبيل زكى وسمير كرم وابراهيم عامر وطاهر عبد الحكيم وبكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشرقاوى ومحمود عزمى . هؤلاء هم الذين كان يسألنى عنهم ويقصدهم بوصف الانقياء .

وحين سمع عن الشرارة تصوّر على الفور أنها الحفيدة العربية لأسكرا الروسية وبالطبع لم يكن هذا صحيحا ، فقد كانت مجلة ثقافية معارضة لا أكثر ، تضم العديد من التيارات الفكرية والفنية . وأنا هنا اتكلّم عن الأشهر الستة التى توليت خلالها الإشراف على تحريرها . وللسبب المادى توقفت الشرارة عن الصدور ولم يكن لويس عوض ضد تجربة من هذا النوع ، بل لقد تصوّر أنها يمكن أن تحمل الشعلة التى سبق للرواد أن حملوها فى مصر والمنفى . وكان أكثر ما يسعده هو تآلف المثقفين المصريين فى الخارج . كان يخشى التناقض بينهم . وكنت أطمئنه دائما بأننا أصدقاء ونعيش فى وئام ، قد نختلف فى الفكر والسياسة ولكن دون جراح .

وفى لوس انجليس كان الحنين الى مصر طاغيا . ولذلك كان يكرر الطلب لدرجة الالحاح لمعرفة أخبار مصر وهو يضيف « كما تعرفها » وليس كما هى منشورة فى الصحافة الأمريكية أو حتى الصحافة المصرية .

وقد ربطتنى دائما بلويس عوض ـ منذ عام ١٩٥٧ علاقة شخصية قوية بالرغم من التعارض أحيانا كثيرة فى الآراء والمواقف وتوثقت علاقته بافراد أسرتى جميعا ، لذلك كان يستفسر عنهم ، وحين يطلب منى أحوالاً مفصّلة فهو يريد ، إضافة لأحوال العمل والثقافة ، معرفة أحوال الأسرة .

وفى السابع والعشرين من ديسمبر ١٩٧٤ كتب ل لويس عوض رسالة جديدة .

كان عام ١٩٧٤ عاماً كئيبا . ولكنه بالنسبة لى كان العام الثانى الذى أمضيه فى بيروت مقيما ، أصدقاء جدد ، معرفة جديدة . أتنفس بحرية لم أعرفها من قبل . أحببت لبنان راحة عربية حقيقية . لا يكمن السرّ فى البحر والساحل والجبل ، وإنما فى علاقة الطبيعة بالشعب . عرفت بلادا أجمل ، ولكن لا علاقة لطبيعتها الجميلة بالشعب . اللبنانيون أبناء طبيعتهم . سكنت فى البداية فى شقة صغيرة تقع فى بناية تطل على الروشة أسفلها كازينو فريد الأطرش . كان زميلنا ابراهيم عامر مقيما فى البناية ذاتها ، وكذلك كامل زهيرى لبعض الوقت.. وكان هناك محمود شكوكو فى الطابق الذى يعلو شقتى مباشرة .

وقد تعرفت على فريد الأطرش خلال العامين الأخيرين من حياته . وعرفت فيه إنسانا كريم النفس سخىّ القلب من معدن نبيل نادر . أدهشتنى طيبة قلبه ومحبته العميقة لأصدقائه . وكان سلوكه يمنح كلامه مذاقا خاصاً هو الصدق . وبالرغم من أننى كنت أعرف حقيقة مرضه فقد هزتنى وفاته هزا فاجعا ، وكأننى أعرفه منذ وقت طويل وقد تذكرت بهذه المناسبة الحزينة ، معركة طريفة بين لويس عوض الذى أشار فى احدى مقالاته بالأهرام إشارة ودية إلى عبد الحليم حافظ فردّ عليه محمد مندور فى الأخبار معجبا بفريد الأطرش . وقد دهش من هذا الجمال الفنى بين ناقدين كبيرين لا عتقادهم الناس بأن مندور ولويس عوض يستخفان بالطرب الشرقى ويفضلان الموسيقى الغربية .

فى بيروت كتبت على سجيتى دون خوف أو قلق كانت المدينة عربية فى أدق التفاصيل : الأفكار والناس والاهواء والأحلام والصراعات والأحداث كلها عربية وفى المعارض ودور النشر وفى المسرح وقاعات السينما كانت الحيوية العربية فى منتهاها لم يكن هؤلاء الشبان والكهول القادمون من كل أرجاء الوطن العربى لاجئين . كانوا من أبناء البلد . كان لبنان عاطفيا يحب ويكره . ومن يحبهم لا يعاملهم كضيوف أو غرباء . لم أشعر شخصيا بأننى غريب فى لبنان وشرعت فى بناء حياتى على أساس البقاء . كان عام ١٩٧٤ فى مصر هو بداية التحولات نحو الأسوأ سياسيا واقتصاديا ولم يكن هناك بصيص من نور فأضمرت الاقامة الدائمة فى لبنان.

وكان قد استرعى انتباهى منذ أمد بعيد هذا الأفق الإنسانى العالمى الذى يميز المخيلة اللبنانية لم يقتصر الأمر على امتلاء المكتبات بأحدث الكتب والمجلات الأجنبية أو على سرعة وصول الموجات الطليعية فى الآداب والفنون وإنما يتظاهر الطلاب تضامنا مع عمال المناجم فى المسكيك ، أو يضرب المعلمون احتجاجا على موقف حكومة جنوب افريقيا العنصرى فى مناهج التعليم وتشييد المدارس ويغلق التجار محالّهم أثناء حرب فيتنام . وهكذا كانت الصحافة اللبنانية تكتب وتصوّر الأحوال فى آخر الدنيا ، وكذلك الندوات الأدبية والمؤتمرات الثقافية . كان الحس الإنسانى ـ العالمى ، من الميزات الواضحة فى التكوين اللبنانى .

لذلك لبّيت على الفور الدعوة التى وصلتنى من بعض الأدباء للاشتراك فى مسيرة جنائزية تكريما لرئيس شيلى اليندى . وكانت هذه هى المرة الأولى التى أشارك فى « جنازة » من هذا النوع .

وكنت أحكى للويس عوض عن هذا اللبنان الذى أحببته . وكان يستقبل حماسى بحذر لا بفتور . وكثيرا ما تحوّل الحذر إلى دهشة حين يسمع كلاما قريبا من كلامى ، من بقية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المثقفين المصريين فى لبنان . كانت لديه صورة سلبية عن بعض السوريين واللبنانين الذين وفدوا إلى مصر فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى . كان يرى أن غالبيتهم لم تحب مصر بل السفارات الأجنبية . وكانت لديه صورة سلبية عن الصحافة اللبنانية المعاصرة . كان يرى أنها صحافة الأنظمة التى تمولها ، وأنها ساحة للمعارك غير اللبنانية . وقد كتب هذه المعانى فى كتابه عن تاريخ الفكر المصرى الحديث وكنت أقول له إن دار الهلال و الأهرام ودار المعارف و المقتطف من الآثار العظيمة الباقية - بعد كل شىء - من اللبنانيين وكنت أعقد اللقاءات بينه وبين الأدباء العرب ، وأهديه بعض أعمالهم . ولكن الأفكار الأساسية عند لويس عوض حول العروبة حالت دونه والتواصل العربى وكان ذلك أحد أسباب تردد الناشرين اللبنانيين بشأن كتابه عن تاريخ الفكر المصرى ، وتردده هو أيضا فى قبول ظاهرة اشتغال الكاتب المصرى فى صحيفة غير مصرية .

كانت رسالته الجديدة مؤرخة فى ٢٧ سبتمبر ١٩٧٤ .

كل سنة وانت طيب بمناسبة موسم الأعياد . اليوم فقط فرغوا من تصوير كتابى فى تاريخ الفكر المصرى الحديث الجزء الثالث من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ . وإنى ارسل لك الصورة كما اتفقنا (....) وإذا تمكنت من النشر العاجل فيمكنك إرسال البروفات الى هنا لأصححها بنفسى (بالبريد الجوى المسجل ذهابا وايابا) ، والا فيمكن اجراء ذلك من مصر أو حيثما وجدت .

(....)

عندما تصلنى الشرارة وأعرف شيئاً عما فيها وعن كتابها واتجاهاتها (ابعث لى بمجموعة فسأكتب لك مقالاً أو أكثر بصفة هدية وتحية هل تدرك معنى صدور جريدة أو مجلة مصرية من بيروت ؟ يجب أن يتكاتف كل الاخوان المصريين فى إنجاحها ، ومعهم المثقفون العرب الذين يحملون لمصر بعض الوفاء كذلك يجب أن تعلو هذه الجريدة على الزلل السياسى والثقافى فمواطن الزلل كثيرة . ومهما حدث يجب أن تكون جريدتكم أو مجلتكم عفة اللسان موضوعية فى كل ما تقول لأن التاريخ سيحاسبها احمل سلامى الى اخواننا المصريين فى بيروت وإلى أصدقائنا من كتّاب لبنان وناشريه .

انا أعمل الآن بجد فى الجزء الرابع من تاريخ الفكر المصرى الحديث (الفكر السياسى والاجتماعى) من عصر إسماعيل الى ثورة ١٩١٩ ، وقد فرغت من دراسة عن الأفغانى أرسلتها إلى الأهرام لنشرها تباعاً فى عدد الجمعة . وارجو أن أفرغ قبل نهاية العام الجامعى من بحثين آخرين عن يعقوب صنوع وعبد الله النديم . الطريق طويل كما ترى .

تميناتى لك بالتوفيق . اذكروا دائماً أنكم وجه مصر فى الخارج ، نضّر الله وجه مصر ، أما قلبها فلا خوف عليه وهى لن تحزن ابداً رغم ما يغشاه بين الحين والحين من عابر السحاب .

لويس عوض

كان الرجل شديد الاهتمام بهذا الكتاب تاريخ الفكر المصرى الحديث لأنه بالرغم من بساطة بنائه كان يُفصّل على الوجه الآخر مشروع لويس عوض ورؤياه الشاملة لمصر والثقافة والنهضة والغرب . ولم يكن اختياره للفترة الواقعة بين الحملة الفرنسية ومحمد على وبين ثورة ١٩١٩ عبثا أو تصورا كميا للتاريخ . وإنما هو اختيار مقصود للإطار والسياق الضروريين لجملة أفكاره عن الوطنية المصرية والاتصال الثقافى بالحضارة الغربية . وهى أفكار موزعة فى بقية أعماله ، ولكنها فى هذا الكتاب تتخذ وضعها كأطروحة . ولم يكن اختياره لفصل الأفغانى للنشر فى الأهرام عشوائيا ، بل هو اختار شخصية شبه مكرسة حتى لا أقول شبه مقدسة لينزع عنها صفة البديهيات ويخضعها للبحث وشروطه العلمية وكانت هناك بعض الأوراق الجديدة حول الأفغانى قدمتها كشوف وأبحاث العلماء فى ايران والولايات المتحدة ، اطلع عليها لويس عوض على الأرجح - وهو فى كاليفورنيا وهى أوراق لا تجعل من الأفغانى « قديسا للثورة » كما هى صورته الشائعة فى المخيلة المصرية وربما العربية وربما الإسلامية أيضا . قالت بعض هذه الأوراق المستخلصة من أضابير وزارتى الخارجية الفرنسية والبريطانية وملفات المخابرات إن الافغانى كان إيرانى الأصل ، كانت له علاقات وثيقة - وإن تكن متغيرة — ببعض العواصم الأوربية ، وإنه كان ماسونيا . ونقل لويس عوض إلى بحثه هذه الكشوف التى كانت تأخذ طريقها إلى العربية لأول مرة .

وبالتأكيد كان لويس عوض يدرك أن هذه الملامح الجديدة الى صورة الافغانى سوف تخدش إيمان البعض بالرجل حتى ولو كان هذا البعض جاهلا بالأفغانى لم يقرأ له ولا عنه شيئاً مذكورا . ولكن لويس عوض يدرك ايضاً أن طه حسين سبقه بنصف قرن فى مواجهة المقدّسات وليس المكرسات . لذلك لم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتردد فى اختيار هذا الفصل لقراء الأهرام قبل أن يصدر فى كتاب .

ومرة أخرى يحذرنى لويس عوض ، أنا وزملائى من مواطن الزلل السياسى ، فهو من جهة يشجعنا على مواصلة العمل فى الشرارة ، ولكنه يخاف من تبنى وجهات نظر غير مصرية فى مصر الرسمية ، ويخاف أيضا من رد فعلنا على ما يجرى فى مصر . كان لويس عوض بذلك يعانى من دوامة المتناقضات ، فهو يشجع ويحذر ، يتمنى ويخشى ، إنه بين نارين . يثق فينا ويحنو على جراحنا ، ولكنه يشك فى الذين يرحبون بأقلامنا ويستضيفوننا فى مؤسساتهم وصحفهم وهو لا يثق فى النظام المصرى ، ولكنه لا يثق أيضا فى الأنظمة العربية الأخرى . إنه لايتردد فى وصفنا بوجه مصر النَّضر ، ولا يتناسى الغيوم التى تغلف القلب ، ولكن إيمانه الذى لا يتزعزع بمصر يدفعه للتفاؤل بالمستقبل . ويدفعنا نحن إلى التفكير فى الأوضاع المحزنة على أنها أوضاع عابرة . ولذلك يجب أن تبنى حساباتنا على أساس الأصل ، وعلى أساس الثابت ، أما الفرع والطارىء فسيزولان .

وكانت بداية عام ١٩٧٥ قد عرفت بعض القلائل فى مصر ، كانت قد وقعت بعض الاضطرابات فى يناير احتجاجاً على التدهور السياسى والاقتصادى الذى ترافق مع صدور قوانين الاستثمار التى افتتحت عهد (الانفتاح) والمفاوضات مع الولايات المتحدة بشأن فك الاشتباك الثانى مع القوات الاسرائيلية . كانت النتائج السريعة والقريبة والمباشرة هى الغلاء وارتفاع اسعار السلع الرئيسية

وكتب لى لويس عوض رسالة مؤرخة فى ٣٠ مارس ١٩٧٥ يسأل فيها عن مصير الاتفاق مع أحد الناشرين اللبنانيين ، وهو دار الفارابى ، وما اذا كان ممكنا توقيع العقد (جاء فى الرسالة :

ليس هناك ما يدعوك لاحراج نفسك مع الناشرين بسبب كتابى ، لأن المسألة مسألة عرض وقبول أو اعتذار ويجب ألا تخرج عن هذه الدائرة . ثم إننا نحن الكتّاب واجبنا الكتابة وليس التسويق أو البحث عن الناشرين ويكفى ما نتعرض له من أخطار التفكير والتعبير ومتاعبهما . أما الباقى فعلى الناشر وعلى القارىء .

أرجو الاحتفاظ بمخطوط الكتاب عندك (...)

حدثنى عن أحوالك وأحوال الاخوان فى بيروت . أرجو أن تكون جميع اموركم منتظمة . هل لديك معلومات عن حوداث يناير فى القاهرة . من هم الصحفيون المقبوض عليهم ؟ وهل أفرج عن احد ؟ وهل لأحد قضية ؟ قرأت ما كتبته روز اليوسف فى هذا الموضوع وموقفها شجاع ويستحق كل تحية .

سلامى .

لويس عوض

ملاحظة : العام الجامعى هنا ينتهى فى أوائل يونيو وسأكون فى لندن وباريس بين ١٥ و ٣٠ يونيو ولا أدرى أن كنت سأمر على بيروت فى طريق العودة . الأرجح لا وسأوافيك .

كان الاتفاق مع أىٍّ من دور النشر اللبنانية حول نشر تاريخ الفكر المصرى الحديث قد تعثر وشعر لويس عوض بذلك وهنا تبدى موقفه من النشر والناشرين ، فهو يحدد وظيفة الكاتب فى *الكتابة فى ذاتها وعليه وحده تقع مسؤولية ما يكتبه ، عليه أن* يتحمل تبعات الكتابة أو ما أسماه أخطار التفكير والتعبير ومتاعبهما . وهو حين يقول ذلك ، لا يطلق الكلام على عواهنه ، فقد دفع ثمن الكتابة منذ بدأ يكتب . لم يكن عضواً فى أى حزب او تنظيم سياسى فى أى وقت من الأوقات .

كان كاتبا فقط ودائماً . ولكنه كان مطلوبا عام ١٩٤٦ فى عهد اسماعيل صدقى ضمن حملة الاعتقالات التى شملت أعدادا من المثقفين الوطنين والتقدمين والديموقراطيين . وقد نجا من السجن فى ذلك الوقت لأنه كان خارج مصر . وحين طرد من الجامعة عام ١٩٥٤ مع أكثر من خمسين أستاذا آخرين كان الفكر والكتابة وليس العمل السياسى هما السبب فى هذا الطرد . وكذلك حين دخل المعتقل عام ١٩٥٩ وحين فصل من العمل فى ١٩٧٣ كان ذلك كله بسبب الكتابة ومن ثم فهو حين يتكلم عن أخطار التفكير والتعبير انما يتكلم عن حياة يعيشها مستعدا باستمرار لمعاناة تكاليفها . ولم يكن يرى أنه من بين هذه التكاليف اقناع الناشرين بنشر مؤلفاته كان يرى أنه يتحمل راضيا أعباء الفكر والتعبير ، أما النشر فهو مهمة أخرى من حق القارىء ومن واجب الناشر أن يتحملا مسؤوليتها .

وسوف نلاحظ فيما بعد أن هذا الكتاب بالذات قد لقى رواجا مذهلا ، وأعيد طبعه عدة مرات . وفى الوقت نفسه أثار من الحوار الصاخب والجدل المحتدم ما أضاف الى رصيد لويس عوض المزيد من المتاعب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

UNIVERSITY OF CALIFORNIA, LOS ANGELES

BERKELEY • DAVIS • IRVINE • LOS ANGELES • RIVERSIDE • SAN DIEGO • SAN FRANCISCO

SANTA BARBARA • SANTA CRUZ

NEAR EASTERN CENTER
LOS ANGELES, CALIFORNIA 90024

١٩٧٥/٦/١٢

عزيزي غالب،

حياتي. أكتب اليك لئلا يلتبس عليك أمري. سأترك لوس انجليس يوم ١٧/٦/١٩٧٥ في طريقي الى القاهرة مرورا بنيويورك ولندن وباريس والمنتظر أن أكون في القاهرة في أوائل سبتمبر او اوائل أكتوبر. وسوف تكتب الى حتى يصلك مني خطاب آخر من القاهرة.

للأسف ما زلت أعاني من عطلة كتاب تاريخ الفكر المصري الحديث المجلد الثالث عن عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ تتعثر أو تسير ببطء. وقد وصلتني أمس صورة غير مصححة وقد استطاع عليه غير مرضي. وقد علمت من بيروت أن الصحيح ضيعة العقد، وقد فعلت هذا الصباح وأرسلت اليه الصيغة المقترحة. خارجو أن تتم الأمور على أكمل وجه وفي العقد المقترح بند ينص على أن وكلت وكيل لتوقيع العقد نيابة عني ولتمثيلي وصالحي في العقد خارجو أن يقبلوا هذا التوكيل، وان ينتهوا كل شيء بسرعة

مجلد خزانة التاريخية لعصر اسماعيل ١٩١٩. بدأت في انجاز المجلد الثاني عن نفس الفترة الخاص بالفكر السياسي والاجتماعي كتبت كثيرا عن الافغاني يشغل نحو ١٥٠ أو ٢٠٠ صفحة حسب البسط. وعند عودتي الى مصر سأكتب عن يعقوب صنوع وعبد الله نديم ومحمد عبده وقاسم امين ولطفي السيد وربما بعض مفكري الدرجة الثانية مثل ولي الدين يكن وعبد العزيز جاويش الخ..

وأرسل لك صورة من بحثي عن الافغاني أرجو أن تقرأها وأن تعطيها لبشير لقراءتها واجب أن اعرف رأيك فيها ورأي بشير

وارجو أن تحافظ على هذه الاوراق في مكتبتك رغم أن الاصل عندي
وكان احدا لا يعرف الظروف فربما اضطررت لنشرها غيابيا . على كل
حال فارجو أن تنفذ بدقة ما اقوله : هذا البحث ليس للنشر في مجلات
او جرائد وانما في كتاب ، وسأوافيك بالباقي عندما أكتبه ولا
يجوز أن يصدر في كتاب الا بعد صدور كافة أجزاء الطبعة التذكارية .
ولعل من المهم أن تعلم ان هذه المقالات (الفصول) عن الافغاني كتبت
أولا كمقالات للاهرام وقد ارسلت الثلاثة الاولى منها لاحمد بهاء
الدين في نوفمبر الماضي عندما كان رئيسا لتحرير الاهرام وطلبت اليه ابلاغي
ان كانت ستنشر ام لا حتى اوافيه بالباقي منها . وبالفعل ارسلت
الى في اوائل نوفمبر ١٩٧٤ بأنها ستنشر ، وبالتالي ارسلت اليه
باقي الفصول ، وكلها مع الاسف لم تنشر حتى الآن . ولست
اعرف السبب . ترى هل اصبح شخص الافغاني ايضا "مقدسا" بحيث
لا يجوز لمثلي تناوله بالبحث ؟ على كل حال كل شيء بميقات وكل
شيء بأوانه . وبالطبع سأحاول عند عودتي اقناع الاهرام
بنشر مجموعة الافغاني كاملة بدلا من التشويه في اعماق النفس
المصرية وما داخلها من مؤثرات فارسية

ارجوك الا تشير الى هذه الاشياء كتابة فيما تكتب او تنشر .
عسى ان تكشف هذه الفئة الثقافية التي تعاني منها مصر بصفة خاصة
والعالم العربي بصفة عامة .

ولو وجدت عندي بعض المال مررت ببيروت في طريقي
الى القاهرة ولو ليومين او ثلاثة ، ولكني ارجح اني لن اعرج هذه المرة .
وفي خلال اصدار تاريخ الفكر المصري الحديث عن دار الفارابي أو غيرها ، لا
بأس ان تحاول مع بيسل التفاوض مع دار نشر لاعادة نشر
جميع أعمالي من بيروت في طبعة تشمل كل العالم العربي ولا تشمل مصر
مع رجائي الا تراسلني بالبريد وانا في مصر في اثناء هذه الاجازة الا
في حدود الضروريات فاتفاقي مع الناشر يجب ان يكون شفهيا وعقد الفارابي يصلي عن طريق
وكيل الاعمال . ولكنوا هميا هندين (حتى) الكو طقس"
كما نقول ، وقد عادت لبنان الى سفك الدماء . ربنا يستر
لا عدمك

ولم تكن معاناة لـويس عوض فى الفكـر والتعبير معـاناة شخصية ، بل كان يتابع مايجرى لزملائه ويشاركهم القلق . لذلك ترافقه الهموم إلى آخر الـدنيا حـين يقرأ عن أحـداث ١٩٧٥ ويفـزع لما أصـاب مصر من كمـد ومـا تعـرض لـه الصحفيون من مشاق . إنه يستفسر عن الأحداث من حيث أطرافها ودوافعها وحجمها ونتائجها ، هكذا كان يشـرح لى سؤالـه فى التليفون . ويستفسر عن المقبـوض عليهم واحداً واحداً ، وما إذا كان قد تم الإفراج عن بعضهم أم أن هناك قضية إلى هذا الحدّ يعنى بالتفاصيل ومن هنا كانت تحيته الى روز اليوسف التى لم تتخذ حينذاك موقفا مؤيدا للقمع .

لم يمض وقت طويل على وصول هذه الرسالة من لـويس عوض حتى اشتعل لبنان ببدايات الحرب . وهكذا كان التوتر فى مصر موازيا لعود الثقاب الذى اقترب من الزيت اللبنانى . كانت المنطقة كلها على شفير البركان . ولم يكن لويس عوض بعيـدا جـدا عن رائحـة الحـريق بـالـرغم من وجـوده فى كاليفورينا . ربما كان العكس هو الصحيح أى أن الولايات المتحدة هى المصدر الدقيق لأخيار الفتيل الملتهب فى الشرق الأوسط . وهكـذا وصلتنى رسالتـه المؤرخة فى ١٠ ـ ٦ ـ ١٩٧٥ والتى افتتحها بقوله :

.. لا اخفى عليك انى اشعر ببعض القلق عليـك أنت وميشيل بسبب حوادث بيـروت الدامـة الفظيعة التى تحمل لنا أخبارها وكالات الانباء . كذلك تصورت أنه قد تكون لحوادث بيروت صلة بانقطاع أخبـاركما وأخبـار الكتاب عنى .

على كل فأنا ساترك لوس انجليس فى ١٧ ـ ٦ ـ ١٩٧٥ لى نيويورك حيث اقيم ثلاثة او اربعة أيام لأشاهد بعض المسرحيات ثم امر على لندن ثم باريس لفترات مشابهـة ولنفس الغرض ثم اعود إلى القـاهرة فى أواخـر يونيـو او اوائل يوليو (...)

إذا كان اتفاق الكتاب لا يزال قائماً فارجو ألاّ تـرسل العقـد الىّ سواء فى امـريكـا او فى مصر ، وإنمـا تحتفظ بنسختى فى حوزتك او تودعه لدى ميشيل كامل . كـذلك ارجو ابلاغ دار الفـارابى انى افوضـك رسميا وافـوض ميشيل كامل رسميا فى توقيع العقد نيابة عنى مع التزامى بشروطه ، أو ارساله الى القاهرة عن طريق رسول . المهم الا يرسل العقد بالبريد حتى لا يتعـرض للضياع (و) المهم ان أعرف الموقف على وجه التحديد حتى أستطيع التصرف من ناحية نشر الكتاب ، أن كان الناشر قد عدل .

هناك مسالة أخرى وهى انى أريد اذا كان الجمع قد بدأ أن تقوم بتصحيح عبارة خـاصة بـديون اسمـاعيل ترجمتها حرفيا عن الانجليـزية وهى عبـارة Simkimg Funds وصحتها فوائد خدمة الدين وتجدها فى أكثر من موضع متـرجمة « المبـالغ الغـارقة » أو شيئـا من هذا القبيل ، فارجو تصحيحها الى فوائد خدمة الدين .

أرجو أن أسمع منك عند عـودتى إلى القاهـرة ، ومن المستحسن أن تستعمـل عنوان منـزلى . وتقبل سـلامى وبلغه الى ميشيل .

لويس عوض

كان زميلى وصديقى ميشيل كامل قد توصل فعلا إلى اتفاق مع دار الفارابى حول نشر الكتاب . ولكن المعـارك الأولى فى الحرب اللبنانية كانت قد أطاحت بالكثير . ومن بين هذا الكثير كان مخطوط كتاب لويس عوض . وكان الاتفـاق نفسه قـد تلاشى فى دخان الحرب .

ولكن الذى حدث هو أنّ ميشيل أرسل إلى لويس عـوض صورة من العقد الذى كانت دار الفارابى قد وافقت عليه ، أما هو فلم يكن قد وافق بل اقترح صيغة جديـدة بعث بها إلى ميشيل . وكانت أحداث الحرب أسرع من هذه الاتصـالات والصيغ والاتفاقات . ولم يكن لويس عوض فى بعده البعيـد ليستطيع أن يتصور كيف يمكن الاتفاق على أمر من الأمور اليوم وإلغائه غداً أو بعد ساعات . كان قلبه ممتلئا بـالقلق الشديد علينا . ولم يكن يعرف مـاذا يجرى بـالضبط . وفى أحاديثه السـابقة معى كـان يغبط لبنان عـلى أنه استطـاع الاحتفاظ باستقلاله فى منطقـة ملتهبة بـالصراعـات الخفية والظاهرة . لذلك روعته أنباء الحرب ولم يربط بينها وبين أخبار النشر والطبع والتوزيع ، خصوصا فى الأشهر التالية لابريل ١٩٧٥ .

وربما لاحظنا أن التوتر فى مصر والمعارك فى لبنان قد أرهقت مشاعر لويس عوض ، ولكنها لم تغيِّر قط من عاداته الثقافية : متابعة الثقافة العالمية فى مكـانها ، وخـاصة المسـرح الذى عشقه منذ بواكير حياته عشقا عظيما . ونلاحظ كذلك الدقة فى مراجعة النفس ، فهو لا يستنكف من أن يعدِّل عبارة أو كلمة نقلها عن الانجليزية أو الفرنسية . ولم يكن هذا أمراً شاذاً ، فقد طلب منى أمثال هذه المراجعات والتعديلات كثيرا .. حتى فى آخر أعماله وهو كتاب أوراق العمر .. وكـان على فـراش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرض حين طلب منى تصحيح واقعة امبراطورية زفتى ، وهى مدينة مصرية أعلنت استقلالها أثناء ثورة ١٩١٩ بقيادة وطنى معروف هو يوسف الجندى . ولكن لويس عوض أخطأ ونسب الواقعة إلى شخص آخر ، ولما نبهه البعض إلى الخطأ طلب الاتصال بالناشر لإجراء التصحيح اللازم فى الطبعة الثانية .

وكانت آخر رسالة وصلتنى من لويس عوض وهو فى لوس انجليس بتاريخ ١٣ ــ ٦ ــ ٩١٧٥ أى بعد ثلاثة أيام فقط من كتابته للرسالة السابقة ، وهذا هو نصها :

تحياتى . أكتب لك لأبلغك إنى ساترك لوس انجليس يوم ١٧ ـ ٦ ـ ١٩٧٥ فى طريقى الى القاهرة مرورا بنيويورك ولندن وباريس والمنتظر أن أكون فى القاهرة فى أواخر يونيو أو أوائل يوليو . ولا تكتب إلىّ حتى يصلك منى خطاب آخر من القاهرة .

للأسف حتى الآن وحكاية كتاب تاريخ الفكر المصرى الحديث المجلد الثالث من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ تتعثر أو تسير ببطء وقد علمت من ميشيل أن الأفضل للجميع أن أضع بنفسى صيغة العقد ، وقد فعلت هذا الصباح وأرسلت إليه الصيغة المقترحة فأرجو أن تتم الإجراءات بسرعة (...) وأن ينتهى كل شىء بسرعة فى مجلد الخلفية التاريخية لعصر اسماعيل (حتى ثورة ١٩١٩ لأنى بدأت فى إنجاز المجلد الثانى من نفس الفترة الخاص بالفكر السياسى والاجتماعى فكتبت قسماً كبيرا عن الأفغانى يشغل نحو ١٥٠ أو ٢٠٠ صفحة بحسب البنط . وعند عودتى الى مصر ساكتب عن يعقوب صنوع وعبد الله النديم ومحمد عبده وقاسم أمين ولطفى السيد وربما بعض مفكرى الدرجة الثانية مثل ولىّ الدين يكن وعبد العزيز جاويش الخ ..

وأرسل لك صورة من بحثى عن الافغانى أرجو أن تقرأها وأن تعطيها لميشيل لقراءتها وأحب أن أعرف رأيك فيها ورأى ميشيل . وأرجو أن تحافظ على هذه الأوراق فى مكتبتك رغم أن الأصل عندى ولكن أحداً لايعرف الظروف فربما اضطررت لنشرها غيابيا . على كل حال فأرجو أن تنفذ بدقة ما أقوله : هذا البحث ليس للنشر فى مجلات أو جرائد ، وإنما فى كتاب ، وسأوافيك بالباقى عندما أكتبه ولا يجوز أن يصدر فى كتاب إلاّ بعد صدور كافة أجزاء الخلفية التاريخية .

ولعل من المهم أن تعلم أن هذه المقالات أو الفصول عن الأفغانى كتبت أولا كمقالات للأهرام وقد أرسلت الثلاث الأولى منها لأحمد بهاء الدين فى نوفمبر الماضى عندما كان رئيسا لتحرير الأهرام وطلبت إليه ابلاغى إن كانت ستنشر أم لا حتى أو افيه بالباقى فيها . وبالفعل ابرق إلىّ فى أوائل نوفمبر ١٩٧٤ بأنها ستنشر ، وبالتالى أرسلت اليه باقى الفصول ، ولكنها مع الأسف لم تنشر حتى الآن . ولست أعرف السبب . ترى هل أصبح شخص الافغانى أيضا مقدساً بحيث لا يجوز لمثلى تناوله بالبحث ؟ على كل حال كل شىء بميقات وكل شىء بأوانه .. وبالطبع سأحاول عند عودتى إقناع الأهرام بنشر مجموعة الافغانى لأنها جزء هام من التفتيش فى أعماق النفس المصرية وما داخلها من مؤثرات خارجية .

أرجوك ألاّ تشير إلى هذه الأشياء كتابة فيما تكتب أو تنشر . عسى أن تنكشف هذه الغمة الثقافية التى تعانيها مصر بصفة خاصة والعالم العربى بصفة عامة .

ولو وجدت عندى بعض المال مررت ببيروت فى طريقى إلى القاهرة ولو ليومين أو ثلاثة ، ولكنى أرجح أنى لن أمرّ هذه المرّة .

(...)

وتقبل سلامى . وكونوا جميعا حذرين لأن « الجو طقس » كما نقول . وقد عادت لبنان إلى سفك الدماء ربنا يستر .

لويس عوض

كانت هذه آخر رسالة تصلنى من لويس عوض أثناء اقامته فى لوس انجيليس بين مارس ١٩٧٤ ويونيو ١٩٧٥ وقد انشغل خلال هذه الفترة انشغالا كليا بتاريخ الفكر المصرى الحديث . وهو فى واقع الأمر تاريخ المجتمع والسياسة والثقافة والسلطة فى مصر منذ الحملة الفرنسية إلى ثورة ١٩١٩ . وهو ليس تاريخا بالمعنى الاصطلاحى ، وإنما هو اطار فكرى لمشروع لويس عوض اختار له من الأحداث والأشخاص والرموز ما يجعل منه محاولة فى البحث عن أسرار هزيمة ١٩٦٧ ورؤية مضمرة للمستقبل : رؤية الهوية ورؤية النهضة ان كان استئنافها ممكنا .

وكانت الدلائل توحى بأن الحكم فى مصر قد شق طريقا مغايرا للشعارات التى صاحبت انقلاب مايو ١٩٧١ من ناحية وحرب أكتوبر ١٩٧٣ من ناحية أخرى . كان الطريق الجديد تراجعا واضحا عن بعض المسلمات التى عرفناها فى العقدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السابقين ابان الخمسينات والستينات ، محليا وإقليميا ودوليا .

وكان لويس عوض مستعدا للترحيب بأى تراجع عن الشمولية والقمع . ولكنه لاحظ استمرار القمع تحت شعار سيادة القانون أى بتقنين الاستبداد . وكان لويس عوض مستعداً للترحيب بأى تراجع عن تذويب مصر فى كيان عربى أكبر وكان مستعداً للترحيب بالانفتاح الحضارى على العالم ، ولكنه لاحظ الارتباط غير الصحى بالغرب يهدد استقلال الارادة الوطنية . وكان لويس عوض مستعداً للترحيب بحلّ عادل للقضية الفلسطينية حتى ولو أدى إلى صلح عربى شامل مع الوجود الإسرائيلى ولكنه لاحظ أن الشروط الأمركية والاسرائيلية هى سيدة المفاوضات .

وكان خروج هيكل من الاهرام قد اقترن باعتراضاته على مضمون المفاوضات وخط سيرها الذى يرعاه كيسنجر . وكان خروج لويس عوض من مصر تأثراً مباشراً بما جرى للرجل الذى دعاه للعمل فى الأهرام ولم تكن المسألة فى جانبها الشخصى محدودة بالعلاقة الإنسانية ، وإنما كانت مواقف هيكل من معارك لويس عوض الفكرية قد أشعرته دائما بأنه يستطيع أن يقول كلمته فى أصعب الظروف .

ولم يكن لويس عوض وهو يكتب عن الأفغانى أو غيره غافلا عن الظروف الجديدة الأكثر صعوبة من الماضى . بل لعله تعمدّ أن يواجه المتغيرات الفكرية والسياسية نحو الأسوأ بالكتابة الصريحة عن بعض الرموز المكرسة . ولكن المفارقة هى أن أغلب تيارات الإسلام السياسى لا تعترف أصلاً بقيمة بعض المفكرين المسلمين كالأفغانى أو محمد عبده أو العقاد .. وقد يرى بعضها أن أفكار هؤلاء وغيرهم (كطه حسين) هى اساس البلاء . ولكن ما أن يتصدى كاتب مثل لويس عوض لأية شخصية من هذه الشخصيات حتى تتحول المعركة عن مسارها الطبيعى إلى متاهات أخرى .

ويبدو أن لويس عوض كان يستشعر ما قد يثيره كلامه عن الأفغانى ، فهو لم ينس بعد ما أثاره كلامه على هامش الغفران . ولم ينس أن كتابه مقدمة فى فقه اللغة قد صودر وأنه — أيا كانت الاعتراضات العلمية وبعضها صحيح — سيواجه انفعالات تمزج الدين بالسياسة ، فهو يستخدم فى رسالته تعبيرات مثل الغمة الثقافية و الجو طقس ويقلق من تأخر نشر البحث مسلسلا فى الاهرام ويخشى أن يكون الافغانى قد أصبح مقدساً . والمشكلة لم تكن فى الأفغانى ، بل فى لويس عوض نفسه . لقد سبقه شفيق غربال بأكثر من ثلاثين عاماً فى آرائه حول المعلم أو الجنرال يعقوب . ولكنه حين تبنى هو هذه الآراء قامت القيامة . وهكذا ، فان مقالاته عن الأفغانى لم تعرف قط طريقها الى النشر . لم يعد أحمد بهاء الدين رئيساً للتحرير . وكان هناك ، من داخل الأهرام ، من استطاع أن يضغط على الرئاسة الجديدة حتى لا تنشر المقالات .

ولم يتردد لويس عوض لحظة واحدة . قدم استقالته على الفور .

وقد تبددت محاولات أصدقائه لإ ثنائه عن الاستقالة سدى ، كان قراره نهائيا . وكان قد بلغ الحادية والستين — سن الإحالة إلى التقاعد — فطلب اتخاذ الإجراءات المالية والإدارية لتسوية أموره .

ولكنه لم يتوقف عن الشغب فقد نشر الافغانى خارج مصر . وتحفز خصومه للرد ، حتى إن الأهرام وحده بيته الحقيقى ، قد أفسح صدره لأكثر من ثلاثين مقالا تهاجم كلها لويس عوض .

وكان يضحك حين يزورنى فى باريس قائلاً : إننى أفجر الكبوت فى الصدور فقط ، فهم لا يهاجموننى شخصيا ، وإنما يهاجمون معانى النهضة وأفكار التنوير التى كان يحمل شعلتها رفاعة الطهطاوى وطه حسين . إنهم يهاجمون العلم والاستقلال وحرية المرأة والعدل الاجتماعى والديموقراطية . وأنا لست أكثر من وسيلة أو مناسبة للإفراج عمّا فى قلوبهم . وإذا لم أكن موجودا لاخترعوا وسائل أخرى يصبون عليها جام غضبهم .

وكان يطيل التحديق فى الفراغ ، ثم يستيقظ فجأة كأنه تذكر شيئاً لا يريد نسيانه فيسألنى : لماذا يضربون مصر ولبنان فى وقت واحد ؟ وقبل أن أفيق من السؤال أسمعه يردد : أليس غريبا هذا التوازى بين ما يجرى فى القاهرة وما يجرى فى بيروت ؟

القاهرة : د . غالى شكرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إبجـــــرامـــات ٨٠

عـز الديـن إسـماعيل

اختنـــــاق

لم ينكر يوما دنيانا الجهمةْ
أو يتململ تحت سياط النقمة
والبسمة كانت فى عينيه سمَه
وأتى من ينعيه ذات صباح
يذكر أنْ قد مات
مختنقا بالحكمة

من يحـــــكم ؟

ما أغرب هذا العالم !
يلتئم هنا وهنا يتمزق
يتفرق كى يتجمع أو يتجمع كى يتفرق
فمتى كان حكيما ومتى هو أخرق ؟
الحكم معلّق .

عـــرس الطبيـــعة

فى السماء رعود وبرق وقعقعة واصطخاب
ورياح تدوِّم نشوانة .. وأزير مطر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والسحاب قوافل مثقلة بشوار العروس
كانت الأرض مجلوَّة فى انتظار السماء ..
وأسعدنى أننى كنت شاهد عقد القِران

اللـــغة/البحـــر

حسبت يوما أننى عرفت كيف أقرأ العيون
وعندما جَرُؤْت أن أنظر فى عينيها
أدركت فورا أننى ما كنت إلاّ واهما
وأنه لابد من قاموس

خـــبرة

عند غروب الشمس
هذا العصفور الماكر
يتخيّر أعلى غصن فى الشجرة
فيحطّ عليه
وهناك تؤرجحه النسمات فيخلد للنوم

نشـــوة

أُشرِع رمحى
أرشقه فى الأرض الجرداء
وأصلّى صلواتى ، استنزل مطرا
عندئذ يتفصَّد جلد الأرض بِعَرقِ النشوة

القســـمة المحـــالة

نقتسم التفاحة ، فنجانَ القهوة
نقتسم اللقمة والفكرة .
نقتسم الترحة والفرحة .
لكنا لا نملك أن نقتسم العمر .

لغـــز

يستمع ولا ينبس
لا يدهش ، لا يضحك ، لا يستنكر
لا يتحرّك أو يتحرّق
لا أدرى هل كان حكيما أو أخرس .

جغرافـــيا

الأرض تدور من المغرب نحو المشرق
والشرق الأقصى يقتحم مجال الغرب الأقصى
لكن ما زال شمال الكرة المسكون شمالا
وجنوب نسكنه ما زال جنوباً .

القاهرة : عز الدين اسماعيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جوعان .. من لى سواك الآن يطعمنى
ظمآن .. من لى سواك الآن يسقينى
وليس إلا أزار منك يسترنى
اذا رياح الاسى شبت تهزينى
ثم انتهيت بأحزانى الى جبل
وليس يعصمنى مما يلاقينى
قرابين - عبد المنعم الانصارى

الأمـــيرة .. تنتظـــر

إلى روح الشاعر السكندرى عبد المنعم الأنصارى

أيمـن صـادق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا ترقبى الدرب ياحسناء فى شغفٍ
وللمسى الليلَ .. والكاساتِ والعطرا
ولا تضيئى شموعا حول مائدة
كانت تضمّكما أعطافها السكرى
وغيّرى ثوبك المكشوف عن ألَقٍ
فمَنْ سيمنحه من شوقه سحرا
ولتُغْلقى بابك الفضىّ واغتسلى
بالأمسيات اللواتى قد غدت ذكرى
ولتجْلِسى مثلما قد كنتِ غامضةً
فلن يجيىء الذى تعطينه السرا
ولا تلومى عليه خُلْفَ موعده
فكم أراق على أعتابك العمرا
وكم توضّأ فى عينيك محترقا
فاقتات أنَّتَه واستمرأ الجمرا
وطاف فى الهيكل القدسىّ مبتهلا
تسعى قرابينه تستلهم الشعرا

ولـم يكـن شُـهْـدُه مـن روض غـانيـةٍ
نـامـوا بمخـدعهـا ـ فـاستحلبـوا الـزهـرا
بـل كـان يـعصـره مـن ثـغـر فـاتنـة
كـانـت تطـارحـه أزهـارهـا البكـرا
فمَـوْسَـق الحـبَّ فى غنـواتِ سـاقيـةٍ
وصـاغ للحسـن مـن تـهيـامـه فجـرا
فـلا تلـومـى الـذى أهـداك خـافِقَـهُ
إذا تخلَّـف عـن ميـعـاده قـهـرا
أتـى الـرسـولُ وصـاح : الآن مـوعـدنـا
فقـال : هيّـا ولـم يخلـف لـه أمـرا
وراح فى عَجَـلٍ يُلقـى حقـائبـه
وسـار للنـور شـوقـا لـم يُطـق صبـرا
وليس إلاّ إزارُ الحـقِّ يستـره
فـهـل يُـلام ... ألا تـعطينـه الـعـذرا
سـلِى القـوافى تنـاجـى الآن راهبَـهـا
أبـاطَـلال لـذا تبتـغـى الـهجـرا
سـلى اللحـون بـهـل القيثـار منتحب
سـلى النجـوم لمـاذا تحسـد القبـرا
سـلى التيـاعـى لمـاذا لا يطـاوعنـى
لِأنْ أبـوح بمـا أخشى لـه ذكـرا
وسـوف تـدريـن مـا أخفيـت مـن نبـأ
ألْقَـى عـلى لـغتـى مـن هـولـه الأسـرا
فقـد مضى .. لـم يَقُـل حتـى تحيّتـه
فـإن تلـومـى .. فُلـومـى الطيـف إن مـرا
ولا تلـومـى عليـه خُلـف مـوعـده
فقـد أراق عـلى أعتـابـك الـعمـرا
والآن سيـدتـى .. قـد فـات مـوعـده
هيـا أميـرتـه .. كـى تـوصـدى القصـرا
قومى أميرته كى توصدى القصرا

ايمن صادق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قطـــفُ القمـــر

محمد أحمد حمد

[بعد اربعة عشر عاما من الغربة
عاد الشاعر إلى وطنه]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شجرُ المشمش نوارٌ مضيْء
وأنا كنتُ صبياً عاشقا
مثقلا قلبىَ بالسرِّ الخبيْء
عندما كنتُ أنا
حارسَ الحقلِ ، وناطورَ الحديقةْ
أتوارى عنْ رفاقى
أرقبُ السِّمَّانَ فى أفقِ الرَّحيلْ
ريشه الأخضرُ يدعو لعناق المستحيلْ
فينادى القمحُ ، والعشبُ ، تنادينى سواقى الماء ، ألوانُ الفراشاتِ ،
عصافيرُ الغصونْ
وهتافُ الوردِ فى دغْل مِنَ النَّارِنْج والرُّمَّان يدعونى ..
فأنسى دَعْوةَ السمان ، أصغى لغناء النحل فى
عُرسِ العناقيدِ ، انتظاراً لحبيبى
حين تُخفينى الشجيراتُ الصبايا
كنتُ ألقى الشمس ـ فى الموعدِ ـ إذْ تشرقُ منْ وجهٍ وضيْء !

● ●

حين كان الليلُ يأتى بالقمرْ
تصمتُ الأصداءُ ، والأنحاءُ ، والأزهار ، والأطيارُ ،
تسْتخفى الصُّوَرْ
ثم لايبقى سوى هَمْسِ الشُّعاع العذْبِ شلاَّلَ حنانٍ وخَدرْ
كانَ ينسابُ حنينٌ ، فى ضلوعى ، للسَفر
فى أقاليمِ سماءِ الليل ، فى العطْرِ ، وموسيقى الزَّهَرْ
فَوقَ نَهْر الضوءِ والفضة ، يسْرى زَورقُ الحلْمِ على موجِ الخطرْ
ثم يُلقينى على الشاطىء ،
فى وادٍ على الكوكبِ !
سهل المنحدَرْ
فى قبابِ السِّحْرِ والنَّشْوةِ أَلْقَاهُ .. حبيباً منْ شعاعٍ وخَفرْ
فتوافينا صبايا الحورِ بالأعوادِ ، والرَّقصِ ، وأطيابِ السمر .
ثم أصحو من نعاسِ الحلم ، والدَّهشة مبهوراً وحيداً
فإذا البدرُ تناءى ، وإذا الليل تناءى ،
عبرَ أدغالِ السحَرْ
وَأنا فَوقَ التُّرابِ الرَّطْبِ ، لم أَصْعدْ إلى وادٍ ،
ولمْ أبدأ سَفَرْ
فإذا ما عدتُ للبيت ، شكوتُ العجزَ للأم التى مزقها الخوفُ وأضْناها السَّهرْ

.....

ذات ليلة ،
حينما قلتُ لأمِّى : « اقطفى لى قمر اللَّيلِ .. » بَكَتْ أُمِّى طويلاَ
أَدْركتْ أَنِّى أَظَلُّ الْعُمرَ فى سَعْىٍ إلى قطف القمر !

● ●

ثُمَّ شَبَّ الطفْل فى ذاتى ــ عن الطَّوْقِ ، فَأَدْمنْتُ الرَّحيلاَ
حملتنى الريحُ فوْق الغيْم حلماً أرجوانيًّا جميلا
يتشهّى مدن العشق ، وحُسْنَ المَلِكاتْ
يتشهى لغةَ النارِ ، وسرَّ الكلماتْ
باحثا عنْ قمر الحلم . بجوف الكائنات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حوَّلتْنى مدنُ الأصْفار ، صفْراً
حوَّلتْنى دُميةً ، وجهاً كئيباً
سرقت حلمى ، ومصَّتْ من دمى نسْغ الطفولة ،
ورمتنى فى دروب الحزن مكدوداً غريبا
مسختنى أطفأت وهج شراييني ،
وصبَّت فوقهُ ماء الكهولةْ
فتمطى العجزُ فى صَدْرى ، وجفَّتْ فيه أشجارُ البطولة
نام فى قلبى « أبو الطيب » مطلولاً ،
على الرمل شهيداً
ذاده الحراس عن ضفة نهر العشق والشعر
فهامتْ خيلُه فى الأرضِ ،

تستسقى البحارَ المستحيلةْ
مات فى الغُرْبةِ ظمآنَ وحيدا
فانفخى من روحِكِ الثَّكلَى لتحييهِ ،
انفُثِى من سحْرِكِ المعقودِ يا« إيزيُس »
ياأمِّى الجليلة ،
إننى عدتُ إليكِ دون شعرٍ أو غناءْ
كيف أشدو وأنا أعبرُ منفاى الأرضَ ـ مقطوعُ الجذورْ ؟
كيف أشدو وأنا أحملُ أحزانكِ فى صدْرى كمذبوحِ الطيورْ
فأعيدى فى فمى بعضَ لسانى ؛
أسمعينى صوتك الذائب فى صَوْتِ السواقى والجداولْ
فى صهيل النهرِ ، فى الموسم ، يجتاحُ الجنادلْ
فى أناشيد الحصادِ الذهبَّية

تمسحُ الأحزانَ ، والجوعَ الذى ينمو كأعشابِ المشاتْل
أسمعينى صوتَك الذائبَ فى ضحك الصَّبايَا للجِرَارْ
فى حنينِ الهُدْهُدِ العاشق أيام البذار
فى غناء النحلِ للكَرْمِ ، لزهرِ المشْمش العابقِ من حولِ المناحلْ
فى اشتياقِ العودِ للعُودِ ،
وفى ضَمَّةِ عصفورٍ لأُنْثَاهُ على رقْصِ الجدائلْ
علَّنى أعْرفُ صَوْتى ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

علنى أشدو ــ كما كنتُ ــ لوجْهِ البدرِ ، والفجرِ ، وللأطيارِ
فى عرس الأصَائلْ
وامنحينى حُبِّىَ الأوَّلَ فى وهج الشروقْ
وامسَحِى صدرىً بالعطرِ ، وضمِّينى إليكِ
ربما أورق قلبى ،
عندما يشربُ منْ ضوءِ البُروقْ
عمِّدينى بالنَّدى ، والدَّمع حتَّى أتطهَّر
واغسلى عنِّى غبارَ الغربة الرَّمْلىِّ ، حُزْنَ الغُرَباءْ
وامنحينى وجهىَ الأول مغموراً بأضواءِ النجوم المشرقةْ !

القاهرة : محمد أحمد حمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أستريح لرائحتى

محمد السيد إسماعيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رجفة فى الخواء .
والخواء مباغتةٌ ،
والسلالم محض افتراض ،
ووطْأتُها فى دمى .
هكذا أنتِ ،
منزوعة من عيونى ،
تنامين فى مستهلّ الظلام على جثتى ،
ثم تنفلتين كماء تسرَّب فى لحظة من يدىَّ ،
كروح تودّع أعضاءها فى سلام .
والزمان مطاردة ،
أنِت تزدهرين على مَهَل قاتلٍ ،
تسرقين المواعيد والأهْل والأمكنة
تسرقين دمائى ، وآخر ما سطّرته التعاويذ ،
آخر ما يختفى
وأنا واقف فى مدارك منبهتاً ،
مثل وقت فعايله فجأة ،
وعميقاً كبارقة العارفين ،
وممتقعاً كدمى .
والزمان مطاردة .
وأنا أستطيع أضمّك فى لحظتين ،
ألوكك .. أختم فيك الدماء وأستلّ من زائف
الوقت بعض حقائقه ،
نافراً مثل وعْلٍ ، جميلاً كرائحة الأولياء ،
أنا أستطيعك ،
هل تستطيعين أنتِ إذن ؟
حارس الوقت لا يستريح لرائحة تتصاعد من
جثتى ،
وأنا أستريح لرائحتى ، أستريح لنكهة روحى ،
ولا أستريح له ،
هو ينخر منى العظام ، ويمتصّ منى الدماء ،

وينقضّ كاللص فى غفلة
وأنا أحفر الأرض .
تحت أقدامه
هكذا شاء وجهك ،
أو هكذا شئت فى لوثة ،
وأنا قابل هذه المهزلة .
أضرب الأرض فى غبطة ثم أصغى :
طوالعها ، وبهجة روحى العليا ، ورائحة الرعايا
يـزرعون الضـوء فى العتبـات ، يقتـربـون من
صدرى ،
فسبحان الذى يدنو ، وسبحـان الذى يصغى،
وسبحان
الذى أسرى بهم .ليلاً إلىّ

وقصير هو العمر ، مندغم ، خانق كالثياب ،
ضئيل كحبة رمل ،
وملتبس كالبلاد .
وأنا صانع الكلمات ،
أحث الرعايا إلى بركة الأولياء ،
وأقبس ضوءًا من الله ،
أزهو بفتنة ما قد تبقى :
من الماء ،
والريح ،
والذاكرة .
بينما أنتِ تقتربين إلى .
وأنا أزرع الآخره
بالخطى والكلام :

القليوبية : محمد السيد إسماعيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

□ □ □

قصـــــائد

● عــزت الطــيرى

١ ــ نـــداء

يَجْرُونَ ورائى
يجتمعونَ عَلىَّ
دسِّينى
ما بين الميمِ
وبين الياءِ
يامَىُّ ...

٢ ــ ربمـــا

رُبَما يستطيع القراءه ...
فردِّى له ضوءَ عينيهِ
نظَّارتيهِ
ورُدّى نجومَ الكلامِ
ورُدّى سماءَهَ
ورشِّى عليهِ عبيرك ،
ألقِى عليهِ العباءه
ربما ..
ربما يستطيعُ
القراءه !

٣ ــ مقهـــى

فى الصباح الملوّنِ
بالوردِ
والنسمة الباردة
كانَ بعض الرفاقِ
وكُنّا نلوكُ معاً
قهوة الساعة الثامنه ...
مَرّتِ المرأةُ المستحمّةُ بالضوءِ
كالطلقةِ الشاردهْ ....
فشربنا الذهولَ
وتُهنا بأعصابنا
وارتعشنا ...
حين عُدْنا لأكوابنا
وانتبهنا
كانت الساعة الواحده ....
..... !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ ـ [جـــــرَس]

بعد حينٍ
سيصمتُ هذا الهرَجْ
بعد حينٍ
سأصعدُ هذا الدَرَجْ
وأصعدُ
أصعدُ
أصعدُ
يصدمنى البابُ
أضغطُ فى رقةٍ
زرَّ ذاك الجرَسْ
وأضغطُ
أضغطُ
أضغطُ ....
إلى أنْ تئنَّ الأصابعُ
أوْ يعتريهِ الخَرَسْ ....
فأرتدُّ
أهبطُ
أهبطُ
أهبطُ
يبلعنى الشارعُ المتبرِّجُ ،
يُثنى علىَّ الحَرَسْ
.... ربما فهموا خطأً
أنَّنى واحدٌ
من كلابِ العَسَسْ ..

٥ ـ [رحـــــابَهْ]

لفرْطِ رحابة قلبى ....
لفْرطِ رحابته
تشاغبه الفتياتُ الجميلاتُ
يسْبُكْنَهُ
ويلقطْنَ قمحَ محبَّتِهِ
ويتركْنَهُ
خاوياً
ونحيلاً ....
يُعيدُ بكارة دهشتِهِ
وعذوبتِهِ ..
لفرطِ رحابة قلبى ..
لفرْطِ
رحابتِهِ

٦ ـ [لقـــــاء]

منذ عامين انتهينا
والهوى فَكَّ قيودَه ...
منذ يومين التقينا
فى جريده
أنتِ فى ركنِ الزفافِ
وأنا
تحتَ
قصيدهْ !

٧ ـ [الخـــــروج]

يخرجُ
من بين قوسيهِ ( )
يمضى إلى آخرِ السطرِ
تُوقفُهُ نقطَةٌ ... (.)
وتعطِّلُهُ فاصله (،)
ثم يمضى
إلى
آخر العمرِ
مزدحماً بالمواجعِ ،
والأمنيات الكسيحةِ
يكتبُ
من أول السطر :
كل الذى عشتُهُ .....
ثم يصمتُ
يفتحُ قوساً (
ويدخلُهُ ....
ثم يُقْفِلُ قوساً)
ويجلسُ
فى بَرْدِ قوسيهِ
منتظراً
موعداً
للخروج الأخير

نجع حمادى : عزت الطيرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اجتياز بوابة الفناء الخلفى لليقظة

أحمد تيمور

تراجعتْ
سبَّابة الرتاجْ
عن ثنْية الإبهام للسياجْ
وجدتُنى أهمّ بالخروجْ
كلوزة القطن التى تنحلُّ خيطاً شاهق البياضِ
من سجّادة المروجْ
وجدتُنى أدوّر المربعاتِ والمثلثاتِ
والخطوط الماثلات فى استقامه
أُبطّن الضجيجْ
وأبدأ العروجْ
يشدّنى السكوتُ فى استدامه
فأفقد العلامه
ويخلع المدى
عن البحار والوهادِ ــ ذاهلا ــ حزامه
فأمتطيه عابراً مسالك الدخانْ

لأوّل الزمانْ
فيما أرى
أرى
جبال السكّر المسكون بالمسرّه
أرى مساقط الطحينِ
من ينابيع السنابل الغزيره
ومسكن الفطر الذى يستودع الأسرارَ
مخدع الخميره
ونجمتينِ
تحملان حزمتينِ
من مناقير صغيره
وزهرةً ناقصةً وريقة
وزهره
تختار عطرها
قطيرةً قطيره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحنجره
لم تلبس الأصوات بعدْ
وأزرقاً أعدّ للطلاءْ
وأخضراً يُعَدُّ
وبنْيَةً مصُغّره
لقبّة السماءْ
(وموزةً مقشره
وقردْ
يجرّب القشور فوقها
فلم يجدْ
مناسباً لها
سوى الذى ازدردْ)
فيما أرى
أرى ملامحاً
أسمّى بعضها
وبعضها يذوب دون تسميه
فاتّكى على حكايةٍ شخوصُها دُعًى
وأغنيه
تطنّ فى ضمائر الصلصالِ
والطحالب الزرقاءِ
والأميبا
أسمعها
شيئاً فشيئاً
تستوى على شجيرة الحنينِ
عندليبا
فيما أرى
رزنامةً تعجّ بالأيامِ
ألف ألف سبتٍ
ألف ألف أربعاءْ
وسنةً جميعها أخمسةً
تطير فى الهواءْ
أرى
وبينما أرى
تحطّ فوق غصن زفرتى
فراشتان توأمانْ
أراهن التى على اليمينِ
أننى بأول الزمانْ
فتكسب التى على اليسارِ
دونما رهانْ
تهزّنى
فأستعيد يقظتى / النار / الشرارة / الحصى /
اليدينِ
من غيبوبة الدخانْ .

القاهرة : أحمد تيمور

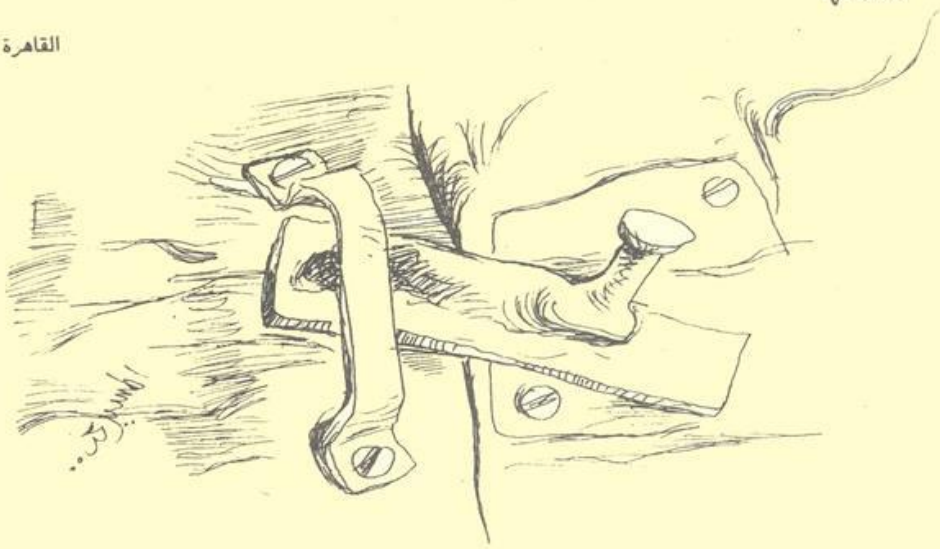

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خمسة مشاهد متداخلة

كمال كامل عبد الرحمن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مشهد أول : تصبحون على خير .. يأيها الأصدقاء ...
وخير ختام لإرسالنا ...
سورة الزلزلة
بعد أن يكتفى المخرج العبقرى ببعض
التلاوة ...
ينقطع البث ـ عبر المحطات ـ عن دارنا)

مشهد ثان : **١ـ** ها أنا ياحبيبة ...
متّشحاً بالقصائد ..
منتظراً ساعة الموعد المتوضىء بالطهر والفرح
البابلى ...
ودقّاتُ ساعتنا الحائطية ...
تعلن عن بدء جلستنا الآن ...
أعلم أنك سوف تجيئين .. فى غير موعدنا .
لحظةً تمكثين ....

وتختلقين ـ كعادتك الأنثوية بعض الحكايا /

الأكاذيب /

والحجج المنطقية ....

أعلم أنّى ـ رغم اشتعال المشاعر

سوف أصافح عينيكِ ...

... سوف أقاسمك الجلسة العاطفية ..

أمنحك الصدق .. والثقة المستحبّة .. كالليلة

السابقة .

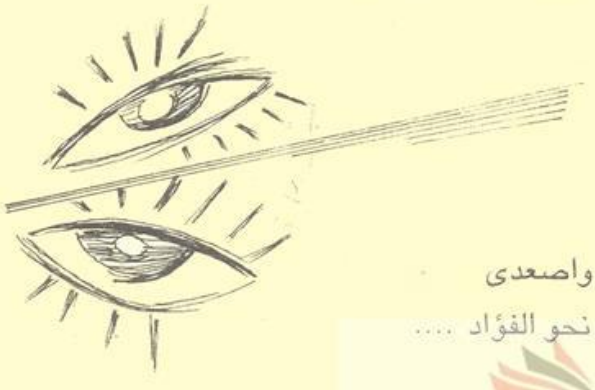

(٢)

ظلّلى مقعدى ... واصعدى

فى حبال المشاعر نحو الفؤاد ....

.. اصعدى

أنشدى فى صعودك أغنية العاشقين ...

.... أنشدى .

ظلّلى مقعدى ... واستريحى ..

ونامى على فرسخ الكلمات الشجية ..

هذى السماوات .. شيّدتها لكِ ..

منذ ابتداء الخليقة ..

والعشق آيتكُ الأولية ...

أنت ـ التى ـ بانفراطك فيه ـ ...

تصوغينه فى عباراتك العنبرية ...

منظومةً من تراب الأساطير ..

ينشدها العاشقون .

مشهد ثالث : فجأة ....

وعلى الشاشة الإرجوانية اللون ...

يستأنف البث ... عبر الأثير ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونسمع فى دبقة الوقت
أغنية الوطن المستحبّة
يظهر فى الصورة المتلألئة
الرجلُ العبقرىُّ المهذب
ينبئنا بالحقيقة .

مشهد رابع : جاءنا الآن هذا البيانُ :
يقولون إن الحبيبة
تنصب خيمتها للأحبّة
تحتضن الآن عشّاقها
ويقولون إن الحبيبة
ظلّلت الآن كل مقاعدها ..
واستباحت مُجالسة العاشقين ..
على المائدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مشهد خامس : تصبحون على خير يا أيها الأصدقاء ..
وخير ختام لإرسالنا
سورة المائدة

ديروط الشريف : كمال كامل عبد الرحيم

فلتصبحوا بالخير و السعادة

درويش الاسيوطى

بالأمس بات عندنا المساءُ ..
ونام واقفا على النوافذ المضبّبه .
ومثل كل من ينام فى الشتاء .
دونما غطاء
أصابه الهواءُ بالسعال
فكحَّ محنقا وسبَّ باعةَ الطريق
فتبغه الردىء قد أصابه البلْل
وصدرُه العتيقُ
لا يقاوم السعال ..
كحَّ عالياً ..
فأجفلت خيولُ جندنا ..
ودحرجت فرسانُها .
بعطرهم ..
وزهوهم ..
بالأنجم المذهّبه .

ومرَّ ليلُنا بلا حرسْ ..
لم ينْقب اللصوصُ بيتنا ..
ولا تسوّروا جدارنا ..
ولم يفزّعوا كالجند
صورةً على الجدار لم تزل لجدتى
تلك التى عاشت سنىَّ عمرها
ما فرقت بين اللصوص والعسس .

كانت تقول :
كلهم نجس ...
لذا نقول حينما
يدهمنا الظلام بالخيول والأسنّة المدبّبه .
كانت عجوزا طيبة .. كانت عجوزا طيبه
بالأمس بات عندنا ..
فكفَّ عن هديله الحمام
وعسعست قصائد الرباب
فى الدروب ...
بينما فوارس الملاحم المرتبه
يهزّها التناوش العقيم
من سُباتها ..
ويدفع الحماسُ والصراخُ جندها
لحَوْمة المسامره ..
وكلما مرّت على «الرباب» قصةٌ
تدافعت تقاتل «الرباب» كوكبه .

وحينما يلمُّ فى نهاية السحر
شويْعرُ الرباب شاله
قروشه ، وبجَّةَ الإعاده
تسّاقطُ الفرسانُ من زمانها
على طريقه المعاده ..

تدوسها أقدامهم :
ـــ « دياب » قد أراحنا بقتله « خليفه »
ـــ سهرة لطيفة ..
ـــ فلتصبحوا بالخير والسعادة ...
... وتطفأ الفتائل المعذبه .
.....
وفى الصباح عندما نسوق للحقول
حومة الغنم ..
نلمُّ فى جيوبنا المثقّبه
فوارسَ المساء
ولم يزل طعانهم ، صراخهم ، غناؤهم
ينام فى عيوننا
مسترخيا تحت الجفون المتعبه ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسيوط : درويش الأسيوطى

تحولات الفتى العاشق

■ عزمى عبد الوهاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ١ —

ما كنت لأسرقَ هذى النارَ .. ،
وأشعلَ صمتى ...
مُحْترقاً بامرأةٍ أحلمُ بالنومِ علَى شفتيها .. ،
أَتَجرَّدُ منّى بعضَ الوقتْ .. ،
وأعودُ .. أفتِّشُ عنّى لاَأَلْقانى ..

أكتبُ فوقَ النخلِ وأعمدةَ البرقِ حُروفاً
— وَأنَا وَحْدى مَنْ يكْشِفُها —
لامرأةٍ نامتْ فى أوردتى زَمنَا
بَيْنَا كانت تفتحُ نافذةً
لحصان الريحِ الأبيضْ
يَغْزُو قَلْبَ الفتياتِ .. ،
فَتَشْهَقُ فيها الأُنْثى الأُولَى
(خَرجتْ من ضلع البحرِ)
وَحينَ تَشرَّدَ أَنْجبَ لْلعالمِ جُرْحاً)
كنْتُ أُغَنِّى لعيونٍ سَكَنَتْنى
بَيْنَا كانت تُغْلقُ نافذةً
فى وجه نَبىٍّ
يَغْزُو الريحَ بسيفِ الدهشةِ .. ،
يُشْرعُ سَيْفاً فى وجه سماءٍ .. ،
لمَّا يَتبلَّدْ فيها الغيمُ فلا تمطر ..

— ٢ —

لا مرأةٍ تَأْتِى مِنْ جُرْحى سأغنىّ
وَتَنامُ عَلَى صَدْرى فأغنىّ
أَمْسَحُ فى كَفَّيْها حُزْنى وأغنى
تَدْخُلُ فى شريَانى شَجراً ..،
تَخْرجُ فى منتصف الوقتِ .. ،
وَتُعْطِى للفُقَراء شُمُوساً وأهلَّةْ .. ،
للنسوةِ حين اتَّشحت بثياب الحزن
شُجَيْرة فَرْح تورقُ مَوّالاً وزغاريدا
تَدْخُلُ فى شرْيَانى نَهْراً .. ،
تَخْرجُ فى مُنْتَصف الموتِ .. ،
تُجمِّعُ جِسمْى فَوقَ ضِفَاف الحِلْم تُنَادى
حينَ يُباعِدُ بَيْنَ الماءِ وبينى
رجلٌ يخرجُ من أقبيةِ المالْ
فَهْى امْرأةٌ نَامَتْ فى أوردتى
حينَ اكتملتْ دائرةُ الفرح بقلبى
شَفَّتْ .. ، بُحْتُ .. وباحت .. ،
صِحْتُ : أحبكِ
فَاخْتَبئى بوُرُودى
وَانْتشرى فىَّ أَسَاطيراً
سأقولُ : أُحبُّك
مُذْ كَان الملح عَلى شفتَّى يقطِّرُنى
مُذْ كان الرجل الأولُ
يرفعُ بيتاً فى الريح على أكتافِهْ
ويُخَلِّقُ من أضلاعِهْ
أنثى تفتحُ باباً للفرحِ المدهشْ
وتُعانقُ فِيه نَبِّياً عادَ
... ...

يا امرأتى ..
هذا القلبُ بنَفْسجَتى الحرَّةْ
بسلامٍ نامى فى أَرْوِقَتِهْ
بسَلامٍ نَامى ...
بسلام ...

الدراكسة/منية النصر/الدقهلية : عزمى عبد الوهاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلّ يومٍ .. ،
يعانق أشجاره ، العاقراتِ
ويغرس فى جسد الأفق عينه ،
يرصف أبعاضه حوله ..
وينفّض أتربة القلبِ ،
ثم يفيقْ
مرةً .. ،
زام من حوله طائر الذكريات ،
ورواغه عن ثرياتهِ ،
فاستدار
وراوده ،
فاستجار ،
وعانقه ..
فبكى !
أنشب الجرح فى حطب الأمسِ
مرّر شعلته فى الكهوفِ

وأوقفها
عند ثقب مضىْء
غافلته الثعابين من خَلَل السقف
صباح ،
(الزمان المهادن ليس يجىْء)
صار فى كل صبحٍ ،
يوجّه « نبلته » للفراغِ ،
يفتّش عن طائر الخوف
بين أبخرة السنط ،
يرجع منجرحاً
فى الأماسىِّ .. ،
يلْقَم قيْحَ مداخنه ،
ثم يستقبل الفجر ــ منطرحا ــ
ويقىْء
يقىْء
يقىْء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● مقاطع من قصيدة أبـــى (٤)

● مصطفى عبد المجيد سليم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مِزَقُ الأحاديثِ
اخْتليْتُ أَلُمُّها ..
زَهْراً .. مَسائِيّ العَبيرِ
أَصُفُّهُ ..
أَخْتَارُ منه حِوارَ أُمْسيةٍ لنا
.. ..
الدَّارُ ضبَّبَها الغبارُ
.. نساؤنا بالقمح يُسْرِعْنَ
النساءُ لَهُنَّ
بالشَّجنِ انْتسابٌ
إنْ يُرِدْنَ تَذَكُّراً
يُشْجينَ ..
بالرَّجَزِ المُبَلَّل بالتَّنهُّدِ
ذِكْرهنَّ أبى
اتِّقادُ الشَّوْق

فى حَطبِ الغيابْ !
.. ويَدُورُ طيفُكَ ..
يلْمَسُ المُنْبَتَّ من محصولِ هذا العامِ
غِبَّ تفرُّقِ الأجراءِ
أوْبتُكَ ادِّكارُ أحِبَّةٍ
يعطوْن ممّا تُخْرِجُ الأرْضُ
الأوانُ ..
أوَانُ أوْبَتِكَ المُظِلَّةِ
كُلَّ عامْ ... !
هذى الوُجوهُ !
لها بباحتنا اتِّكاءُ ،
مُنْذُ غِبْتْ ...
... ...
فَوْقَ مَلامِحِ الأبناء
آثَرْتَ الغَيابْ .. !

شبين الكوم : مصطفى عبد المجيد سليم

قصـــــائد

أمل جمال عبد الحميد

(١) معادلة

أبحث فى صدرك عن أمى
وأساوى مابين العشقين ،
أقارن ما بين العزفين
تتشتّت كل جيادى فى بيداءِ
وريدكْ
ويعود الوتر اثنين ...

■

(٢) عودة

أدخلُ ذاكرتكْ
وأبعثر كل الأوراق بدرْج الأفكار ،
أفتّش عن زرقة حلم يحملُ ،
سَمْت « أملْ »
وشجون أملْ
وعيون أملْ
يفجؤنى بَرْدك /صمتُ اللون
الأبيض للأوراق
أتماسك حتى أخرج ثم ... أموت

■

(٣) توحد

وحين يفرّ الجميع تجىء إلىّ
تفتش عنّى بحجم انهزامى
تدُلّك كلّ المسافات أنى لديك ....
أرانى

(٤) ضياع

خلِّصنا ياالله

هذا الاجهاض الدائم ،
للأشياء مخيفْ !

الحب نزيفْ
الأمل نزيفْ

الغدُ نزيفْ
وأنا واقفةٌ فى لجة دمعٍ

أبحث عن كُنْهٍ
أو تعريفْ

■

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥) وجه آخر لأمل

ومعلّمنا الطيّب
يحفُر فينا النهر ....
كنت أشاغبُ .. ،
كان يعاود تنبيهى
كان يُفزّعنى .. يرسمنى
جمجمة جافهْ /
رقصة ديسكو/فقّاعه
كنت أشاغُب ....
لم يسأل عَيْنىَ عن صدقِ
البسمة ،
عن رفض اللون الأخضر فىّ
ومعلّمنا الطيّب يحفر فينا النهر ....
كنت رجعت من البحثِ
عن السنبلة بصحرائى ....
كان الحزن يغنّى ضحكا مكتئبا
فوق غصون القلب
ياصوت معلّمنا مافائدة الرى ؟
إن لم تعرف قدر النهر لدىّ
إن لم تسأل عينّى
وتسأل عينىّ
وتسأل
ع
ى
ن
ى !!

■

المنصورة : أمل محمد جمال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عُقْـــــم ...

عباس محمود عامر

أتكهْربُ ..
ينضبُ منِّى الدّمْ
حينَ ألأمسُ جَايا[1]
ذاك الجسدَ الأقربَ منِّى
كشَفتْ لى كلَّ علامات الهُونْ
جلستْ تفصحُ لى عن أشجارٍ ..
تسّاقط منها الأفرُعْ
تهفُو راحلةً فى هَبْوةِ ريحٍ
تنْفثها أنثى الأحلام
لتنالَ اللونَ الأخضرَ
.. فى سِفْرِ الموسِمْ

• • •

يتشقّق من عُقمٍ رَحمٌ
يفْقَوُ فى الأرضِ بويْضَاتِ الجَدْبِ ..
تسيلُ دِماءُ التكوينِ حَياضاً /
فوباءً
تسْتنفُر كلُّ ذكور الخَصبْ .

• • •

مَنْ يفتَحْ بوَّاباتِ الشَّمسِ ..
لفُرسانٍ من ضوءٍ .. ؟
صاروا عسَساً لحراسةِ ليلٍ ..
.. يأْسِرُ
.. يجْلدُ كلَّ شرائِعنَا المحرومةِ ..
.. من ثغرِ النُّور
مَنْ يفتَحْ كلَّ قناطرنَا الخيريَّة ..
للثّورِ الجامح فى تطْوَافِ النِّيلْ .. ؟
كى يغزلَ ثوبَكِ يا جَايَا الأخْضرَ ..
.. من زيتونٍ وسَنَابلْ
إذْ ينتظرُ الزُّرّاعُ ممارسَةَ الإخْصَابِ ،
.. وجَنْى المحصُولْ

---

(١) جايا : هى الأرض فى الأساطير الإغريقية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مَنْ ينصبْ فوقَ العُمرانِ بُروجاً .. ؟
للطّيرِ المأسورِ بداخلِ قضْبَانِ المؤتمرات .. ؟

● ● ●

تتمزّقُ كلُّ تجاويفِ الإنَجابْ
بضمُورِ الغَصْبِ المألُوفِ /
المنْصُوص ...
بُكلِّ لوائحنَا اليوميّة
ذاكَ الغَصْبُ / القسْر
لم يعرفْ معنى الرّحمةِ فى أى لقاء

.....
لابَّد من الحتمْ
أن يوضعَ للأرملةِ الثّكلى ،
وضحايا السُّمِّ الأبيضِ ،
والأطفالِ عرايا القَوْلِ ..
.. خِتَانُ
يحميهم من وسوسة الأغرابِ ..
، ورقصِ الأغصانِ المنحلّة ..
من شجرِ الوطنِ المتَرامى
فى وقدِ المعتركاتْ ..

القاهرة : عباس محمود عامر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● صحائف ممزقة من أوراق هنـــــد

● بهيـــة طـــلب

كما علّموك التهجى
وأن التئام شقوق الحروف .. يصوغ الجُمَلْ
فما ثار فيك احتراف العنادِ ..
لكيما تحيك لغاتٍ جديدة
لتقبل هنداً كما هى هند
فهندٌ تُحوَّر غيماً لتوقف رحل النوارس
ولو واحة الدفء ما تبتغيه
فقد كان يعشق أن تستحمّ النجوم بموج الدّجَى
واعتنقت الضجيج
أُديم افتعال البكاء .. الشجار
ليمنحنى بعض أقلامه
ويحمل لى كتب المدرسة
تبدَّت لى الدار ما جمعتنا لنلهو .. فحيح الكآبة
فقد قيل سافر
وأغفل حفنة توتٍ بقلبى
ونجماتهِ المستحمّة
جَنُوبَىُّ !

ماذا تبدل فىَّ ؟
مُحِقْت بشغْب البداوة والحزن والاغتراب ..
وهذا الوحيد البعيد اعترانى جنونا
فكيف أرتّب شَعرى ؟
ولى مفرداتٌ تبعثرنى فوق هذى الديار البليدةِ
لم يستثرها انطلاق الجدائِل
ركْلُ الحصى فوق وجه الطرقْ
وتعميد عش العصافير بين مدار العواصفِ —
جوع انتظار النعوش
فلم يبرأ الجرح من عودتى الصامته
لأكمل موّال حزنٍ قديمٍ لقشٍ تجمع ماأوقدوه
لما يوقد القشُّ ؟
هل للجياع قدورٌ يُعِدّون فيها الحصى
« عامٌ من القش فى كل عام »
« عامٌ من القش فى كل عام »
فكيف ألمُّ احتراقى ؟
أَحِين تؤرّخنى فى عيونك هل يستقرّ اليمام ؟
مَحالُ العرائس تعرض أثوابها
فللموج بحرٌ
وقلبك هذا الطهور ابتنى ضفتين
لأحمل زهراً ونقتسم الخبز والسَكَّر الأبدىَّ
فأسقط من همسات ندى حلمك المطمئنّ
فقلبى نخيل القرى والحَزَن
وهنْدٌ تودُّكْ
وهندٌ ستعلو حوافَّ الطرقْ
أعود لأعلو حواف الطرق

المنصورة : بهيّة طلب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطالعة

محمد أحمد محمد

قبل أنْ تشتعلْ
أنْ تفاتحنى فى كآبة معرفتى باللغْة
وتقرّرَ أنَّ الكتابة مأوى الضعاف
ونافذةً للرماد الذى لا يطيرْ
ينبغى أنْ تحرّرَ ما بى من الضوءِ
تعطى دمى فرصة للنجاةِ
يطالعُ فيها وجوهَ البيوتِ
يقبّلُ أقدامَ أطفالِها والعجائز
ينزفُ شهوته فى التّفجرِ ضد البقاءْ
دون أنْ يقتل الآخرين
ويقتلَهُ الآخرون .

قبل أنْ تشتعلْ
أين غيّبْتَ نافذتى فى التأجّج
كيف أرى رؤيتى وأحبُّ البناتْ
أحتمى بفناءِ حكاياتهنَّ ؟
كيف لى أن أهيىء غُرْفتهنَّ وأكتب ما أشتهى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من سريرتهنَّ ، أرى ظلمتى خارج الملصقات الورقية ؟
أعلن الثورة امرأة عاريهْ
وجبالاً من القَتلهْ ؟

قبل أَنْ تشتعلْ
أَغْنِنى عن مكاشفة الخوف بالخوفِ
دعْنى أزفّ مخيّلتى لانكسار الأملْ
السكوتُ يكسّرُ فى الجسد الجسدِ .
التصالحُ بين فريقين يقتتلان على الوطنِ
الله لم يكتبِ الصّلحَ بينهما أبداً !
من بروجٍ مشيدة بحجارتىَ العطِنْه
كيف أكتب كهف الوطنْ
إنها دمعةٌ للسماءْ
إنها دمعةٌ ضدّها

قبل أنْ تشتعلْ
لم تكن لتموت على جسدى صامتهْ
طرقُ الوطن المبعدهْ
خلعَتْ جسدى من جنون إرادتِهِ
هيَّأتْ للقراءةِ أعضاءهُ
كان متهماً بالبرودِ
وكان يمثّلُ أمّهْ
قبل أَنْ تشتعلْ
بللٌ كان يعفر عنف المرايا
وجوعَ الزجاج إلى اليقظةْ

إنها امرأةٌ
قد تُسمَّى الوطنْ
أو تُسمَّى الحزينْ
كاشفتنى بعرىى
صرختْ
إننى الجنسْ
جنْسُك الثالثُ الميّتْ

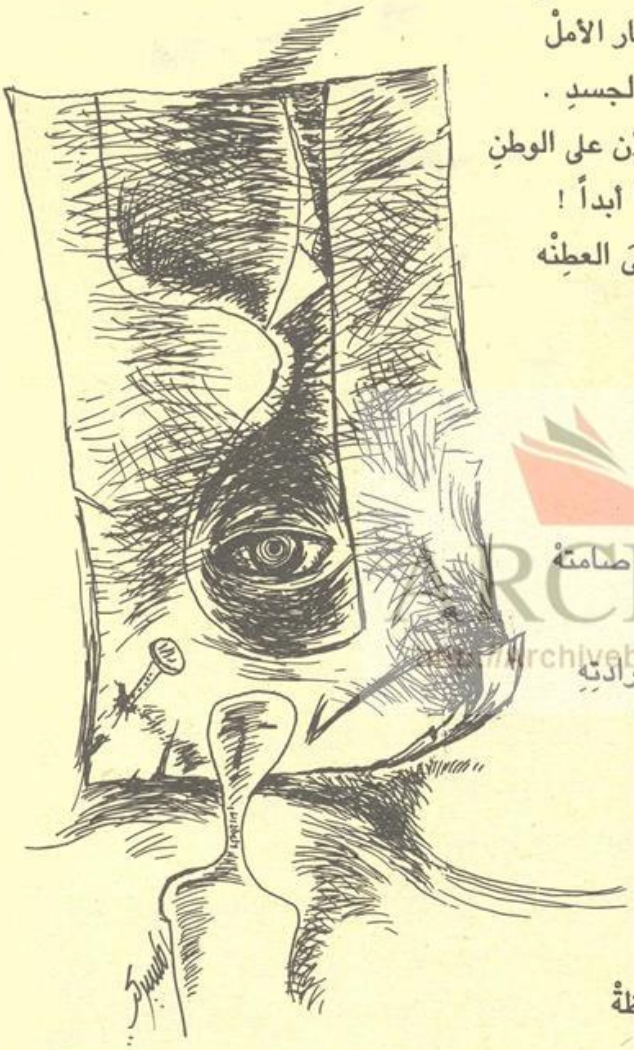

سوهاج اخميم : محمد احمد محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من مراودات التذكر

عمـاد غـزالى

(١)

جَرّحْ سُكونكَ ..
أيُّها المُلْقَى على عتباتِ صَمْتكَ ..
وامْتشق مُهْرَ الحنايا الراجفه !
مازال يأسرُكَ اشتياقُكَ
للرُّعود السَّالفه !
مازال يدفعُكَ الحنينُ
إلى التّعِلاّت الكواذب ،
والمراودة العَصِيَّة .. تَسْتبيكَ ،
وبهجةٌ سُلبتْ ..
تُعيدُك نحو سِدْرتِها قليلاً ،
أو تقُودُكَ .. للحكايا العاصفه !
ماذا تُؤَمِّل ..
ـــ أيَّها الموْتُورُ ـــ
مِنْ بيدِ التذكُّرِ ؟
أيّها المَذْبُوحُ
فى تيهِ الهربْ ؟

(٢)

ولَسَوف لا تجتاحُ عاشقَها
سوى الذكرى ..
تَثورُ هُناكَ ...
فى أقصى استكان الرُّوحِ ..
تَخْمِشُ وَجْهَ وائدِها
وتَنْصبُ .. فَوْقَ مقْبرةِ الكلامِ
الشّاهدة !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣)

ولسَوف لا يَحْتالُ ميلادٌ
على بَرّيةٍ
تتنفَّسُ الأَشْياءَ
كى تعدو على الأشياءِ
تُشْعِلُ فى المَسَرَّاتِ البهيَّهْ ..
لغَة المراودةِ الشَّقِيَّهْ

(٤)

لو يَبْتنى النسيانُ لى بيتاً ..
سأَهْجُرُهُ
وأسكنُ عشَّ بَهْجتِنا
الخبيئةِ فى عراءِ الرُّوحْ !
ملْحُ التذكُّر .. حِنْطتى
حقْلٌ من اللَّحظاتِ
وارفة المدى .. مَهْدِى ،
وجسْمى دوحةٌ ..
عشْبُ الحكايا يْرتوى من طَلّهِا
ليؤُجَّ نَشْوةَ سِرّنا
المطمورِ فى أعراقِ دَهْشتِنا
الخبيئةِ فى كهوفِ الروحِ .. ،
حتّى لو بنى النِّسْيانُ
لى قصْراً .. ،
سأَهْدِمُهُ !

القاهرة : عماد غزالى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كـــــلام
فى مستهل الوجع

حسين سيد أحمد القباحى

المسافة ما بين وجهك
والذى يسكن القلب
لا تنتفى بالنكوص
ولا تشرئبّ الحواديت .. من أجلك — اليوم
إلا لكى تستفيق
فمن ذا يدلّك .. ياصاحبى ..
للبشارة .. ؟
ومن ذا يُفَرقُ ترحالك المرَّ
فى ثرثرات السكوت ؟
يُبدِّل أشياءك المترفة
قناديلُ من علّموك التوجس
لا تستحى أن تموت
فدع عنك هذا الصراخ النبيلَ
وكُفَّ ارتعاشَك عن ساعدى
وإن كنَت لازلت تحتاجُ للنار
خذنى
وضعنى على الماء .. والأرغفة

(١)

هنيئًا لك الوهُم
مُذْ كنتَ طفلاً
ولى سفسطاتُ الشموخ

(٢)

الرياحينُ أبحرتْ للنُعاس
وبعضُ الذين يبيحون رجم التواريخ
يستدفئون ببعض السكون
يستطعمون السكينة
والراحة الحارقة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣)

فلا أنت متَّ
مُذْ حوّلتكَ الرياحُ
إلى شظيةٍ من سخاءْ
ولا أنت كنتَ الذى لا يكون
فمن قيدوك
على شفرةِ الحلم
... مَنْ نازعوك الذى فى العيون
تولَّوكَ عنك
وظنوك تنوى
.. كما ينتوون ..

استـــــــدراك :

أنا واحدٌ
وهم أكثرون
أنا عارفٌ .. وهم يجهلون
أنا واقف .. وهم طيّعون

(٤)

كأن الأُولَى بادلوك الولوجَ
يُسرون للنهر حين اغتسالك
أنك من حَمْأة الوجد تهذى
وأنك حينَ استواءِ النُهودِ
استريبَ
وهمت إلى رقعة الظلِّ تعوى
وقاومت
مَدَّ الذؤابات فى السرِّ
رَتْقَ النهاية
ثم استعدتكَ
من حافةٍ للنزول

هامش :

كان مثلى
يسر بلُ فى نيله المدهشات
ويرتاحُ
ما بين عامٍ .. وعام
يعرقلُ ركضَ المسافاتِ والوقتِ
بالنوم فى راحة المستحيل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥)

تبنَّوْكَ ياهامشيَّ المشيئة
كى يملكوك
وما « جادكَ الغيثُ »
ما كفكفَ النورُ يُتْمَ البواكيرِ
أو عادك الراحلون
وما كان للفجرِ
بعد انشطارِ الرؤى
غيرُ بابِ
يؤدّى إلى نصفك المُسْتريب
فهل تعرفُ البابَ منّى .. إليك ؟
وهل تطفىء القهقهاتُ اللهيب ؟ !

(٦)

خذ قطرةً .. من دَمٍ صرتَ منه
وكان على وجهِك الأغنيات
خذ صرخةً
من سعال الفصول
وخذ جذوةً .. من شتات
وضعْهُنّ فى واحةٍ من نخيل /
صوتِ ريح يسافر /
شرفةٍ كنتَ منها ـ إذا جئتُ ـ
تذرو النجومَ
وتمتدّ ما بين ضدين مؤتلفين
تخرجُ من أَحْرفُ البسملات
وادْعُ اللواتى تفرَّقن فيكَ
عسى أن يجئنك بالمعجزات

هامش أخير :

مرغماً .. تأكل الطيرُ من **هامةٍ** مثقلة
تفزع الأسئلة
مفرداً ـ دونهم ـ
تصبح المشكلة
تصبح المشكلة

الأقصر: حسين القباحى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إشـــراق رغبـــة

جـرجـس شـكرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما أجملَ أن تعشقَ هذى هذا
ينزفُ وجهى برقاً وتراتيلْ
هذا
وحىٌ يسكنُ سقفَ البيتِ
ويخلطُ وجهَ فتاةٍ بالنور
هذى
كونٌ يُولدُ من هذا ويصير
كان الكونُ ولياً
يتوضأُ بالوقت
وينسج
من عُريى حزناً
ويفيْض
صار البيتُ نبياً
يضحكُ
كفضاءٍ ضِليل

● ● ●

ضفِّرنى فى ملكوتك وتحزَّنْ
ياصهداً يتشفعُ بسلالاتٍ
تتجرجرُ من عهد النور
وقتَ اعمى
يتكوكبُ فى دمنا ويصير
قداسَ الله بغير قناديل

■ ■ ■

المخبوءةُ فى جسدى قالت :
وجدٌ يتسلّقُنى كترابٍ محموم
قم يامنذور
صلِّ لكى
تُولد من حجرٍ أسود

■ ■ ■

لكنَّ رماداً فى صدرى يحلم .

سوهاج : جرجس شكرى

الأخـــــير

تستمدّ الظلالُ انغراسى
لتكبر فى حائط المستحيل
لا تسافرْ
أيا شارعاً من خطاىَ
التئم
ليت منديلك اليوم عاصفةٌ
تكشف الوردة المتعبة
هذه الأرض بهجتُها
والتماعى
ففيم استقرّت إلى وطنٍ
ـــ قيل ـــ
ذى مسغبة ...

.....

ياحبيبى
ليس هذا الفراغ انحسَارى
ليجمعنى الليلُ فى حانةٍ
تستبيح الخيولْ
هكذا ..
لا أعدّ الحقيبة كى أجمع النخلَ
والموت
والتجربة

هكذا ..
ليس كل العواصف
تأكلها الأتربة

إبراهيم محمد إبراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

●● قـــداس الـــريح

مـــؤمن أحمـــد

قلقٌ يشبهنى ..
يتضاغط ونزوع الروح لفضِّ الأُحجيةِ
(أنا مبتدىءٌ بَرَدِى وهجا ..)
قلقٌ يشبهنى ..
ما كنتُ جديراً بشتاءٍ زوَّال
... كنتُ الروَّاغَ المتقلِّقَ
باركت سماءً ــ كانت غارقة ــ فأبانت
وشققتُ الواضحَ .. فدجا
أبصرنى شجنُ العرّافينَ ،
وأدركنى جوعٌ لجنانكِ ..
بالدَّمِ قايضتُ الرِّيح : أبينى وأريحى
قالت : عِشْ ممتلئاً بصفيرى وزفيرى
قلت : عواصفُ تترجَّل فىَّ .. ،
وتترجلُ أوقاتٌ لا يعرفها المُكْثُ ..
مددتُ البُسُط ..
مليحاً كان الضَّيفُ ،
ثقيلَ الوطأةِ كُنتُ ..
الشاىُ تبرَّجَ ..
والوطنُ تراتيلَ إناثٍ فاضَ
... القَعْدةُ طالت ، واحلوَّ النَّبْرُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(مليئاً كان الضيفُ ..) :
أتى « هنرى ميشو » بالشمس الواحدة
وبامرأةٍ تتهجَّى ثَبَجَ البحرِ ..
أطلّ « المُتنبى » من شجرِ الجَمْرِ
— يغنى — :
« مبيتى من دمشق على فراش
حشاه لى بِحَرٍّ حشاى حاش .. »
... القعدة طالت ، ورَبَتْ ، واشتد الجمرُ
... الليل يجيشُ ،
بأبخرةِ السّامِرِ يَشْتَجِرُ الجِنُّ .. ،

تفورُ مشاهدُ من عَظْمِ البارحة /
اقتربَ البُعَّادُ ..
أريحى ياريح ثغاءً يتخلَّق فى الليل ..
وروحى ياريحُ / أريحى رأس البُعَّاد
..تشجَّنَ صوتى ،
والضيفُ شحيحاً صارَ
.. حنيناً حنَّتْ روحى ياريحُ
فروحى ...
(.. أوَلَسْتِ الرَّيَّانَة بالرَّائحةِ المُسْكِرَةِ
.. أما حُمِّلْتِ بِوَرْدِ الفُسْتَانِ
ويُودِ العَرَقِ ..)
أريحى ياريحُ ، ولا تؤذينى فى ضيفى
.. مارَقَّ نسيمٌ إلاَّ كَذَّبْتِ ، وقلتِ : صَبَأْتِ
أيا ريحُ
استحلفتُكِ بشجارِ المَوْجِ :
أريحى رأسَ البُعَّادِ
.. أليسوا من قرءوا وجهك .. ،
وابتسموا لمجىء القَبَّاضِ ،
فكنتِ اللحنَ
وكنتُ المُكَّاءَ
.. صرختُ زماناً فى برِّيةِ صوتى

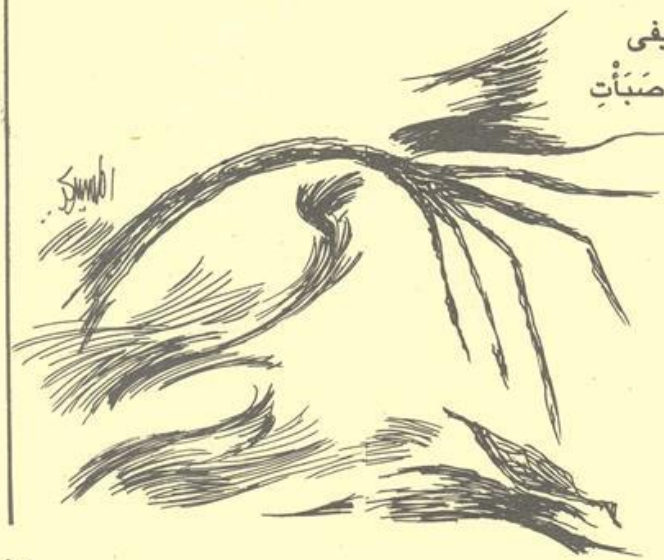

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنتُ الحاملَ والمحمولَ
الواجدَ والموجودَ
أنا تُيِّمْتُ ، بَرِئْتُ ، برُيتُ ، تهدَّجَ ما أبقانى
تلك القدريَّةُ كانت رَهَقِى وكلامى
.. هل قُدِّرَ ما لاأَقْدِرُ ..
أَمْ كَانَ الكَوْنُ بلاى
بلاكِ / بَلاى
فأَجَّ الوَجَعُ .. ولم يَأْت سلامى
لم
يأت
سلا....مى
ياريحُ ..... أريحى .

حلوان : مؤمن احمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

□ □ □

● قراءة فى روايـــة :

« أحزان صيف منسية »

● د. مـدحـت الجيـــار

■ الأزمة

يقدم الكاتب « شمس الدين موسى » تجربته الروائية الأولى « أحزان صيف منسية » بعد فترة طويلة من الكتابة فى القصة القصيرة تقدر بنحو عشرين عاماً ، إذ قدّم مختارات من هذه القصص فى مجموعتيه « الأولى » الحب والانتظار » والثانية « النزيف » الصادرتين عن الهيئة المصرية العامة للكتاب . كذلك يقدم روايته الأولى بعد أن تركها عشر سنوات على الأقل فى درج مكتبه . وواضح هذا من موضوع الرواية ومن معالجات الكاتب الأسلوبية والفنية .

نحن أمام أحزان صيف منسية وقعت بين القرية المصرية والعاصمة المصرية . إذ نجد الصيف الحزين ، صيف الخامس من يونيو مخيماً على الحياة المصرية قبل الهزيمة ، وبعدها فالكاتب يبدأ من قبل وقوع النكسة ويستجلى آثارها فى الوقت نفسه ، فيوقع شخصياته فى عدة اختبارات تفصح عن هوياتهم وانتماءاتهم ، وتبرز وجهى العملة (العمل) و (العلم) فى الصراع المتأجج بين التخلف والتنمية .

وفريق هذه الرواية ، مجموعة من الشبان المثقفين ، الطامحين إلى مستقبل أفضل لوطنهم ، فى ظل ما كان يقال من شعارات فى فترة الستينات ، ويقود الدكتور فؤاد هذه المجموعة ، ناحية هذه الشعارات بنداوته ، وكتبه وشعاراته داخل النادى الثقافى ، وداخل الجامعة وفى الشارع وقد صدق الشبان هذه الشعارات وهم لايزالون طلاباً بالجامعة حتى انتقلوا بعد التخرج إلى مواقع عمل متعددة غيرت من معتقدات بعضهم ، وحولت آخرين إلى النقيض ، وتركت المخلصين منهم صرعى للهواجس والخلل النفسى كما يصوره الكاتب عبر شخصيتى (ناجى) و(الدكتور) بخاصة .

فلا ضير أن يختار أسماء أبطاله (وكل شخصياته أبطال) مشتركة فى بعض الحروف ، اذ يجعل الرجال يحملون أسماء (سامى) و (سيد) و (سمير) فيما عدا (ناجى) و (الدكتور فؤاد) اللذين ميزهما باسمين خاصين عكسا تغايرهما النفسى والاجتماعى عن الآخرين .

كذلك يجعل أسماء النساء تشترك فى حرف العين مثل (عايدة) و (عزيزة) و (عواطف) ثم فى حرف الكاف مثل (كاميليا) و (كوثر) مثلما اشترك الأبطال الرجال فى حرف السين .

والمفارقة واقعة بين ما تربّت عليه الشخصية وبين ما وصلت إليه إلى حد يجعل الواقع الموضوعى أقوى بكثير من القوى النفسية ، والتكوين الثقافى ، والموروث الاجتماعى . فسامى أحد الأبطال ، الذى كان يرفض العمل انتظاراً لفرصة عمره فى الصحافة ، يعمل فى صفحة أخبار المجتمع بجريدة

قومية ويحولها إلى مناسبة للمجاملات حتى يترقى لأرفع المناصب داخل الجريدة ، واضعاً كل ثقافته فى التفنن فى إظهار النفاق والزلفى إلى رؤسائه .

أما (سيد) فقد عمل بالترجمة واكتفى بذلك . و (سمير) قبل الوظيفة مؤقتاً ، كما قبل (ناجى) العمل فى مؤسسة اقتصادية للقطاع العام . وهناك فى هذه المؤسسة تقوم الأحداث حول (ناجى) الحائر بين خطابات والديه فى القرية وانتمائه لها ، وبين اغلاق البيروقراطية الطريق عليه حتى أوقعته فى أخطاء عاقبه عليها قانون المؤسسة دون أن يفهم شيئاً عنها .

أما الدكتور (فؤاد) فإنه مع أول اختبار له باعتقاله وإغلاق النادى الثقافى ، ترك شعاراته وتخلى عن دوره القيادى ورضى أن يترك وظيفته فى الكادر الجامعى ، ويعمل مديراً لإحدى مؤسسات القطاع الخاص ليكسب أكثر ، ضارباً بكل ما يعلمه عرض الحائط . وتترك هذه الأحداث آثارها السلبية على كل الشخصيات ويكون (ناجى) صاحب القسط الأكبر من المقاومة والمرض فى الوقت نفسه ، إذ يظل رغم كل شىء آخر القلاع الصامدة ، التى تأمل فى المستقبل ، كما يبدو فى المشهد الأخير من الرواية :

« نظر فى ساعته ، خرج مسرعاً ، بينما تدغدغه نسمة طرية .. الشارع خال ، لكن المنازل لا تضنّ بقليل من الضوء عبر نوافذها على الطريق المقفر من المارة .. لم يكن يأتى فى رأسه سوى أصوات نباح الكلاب التى تمرح فى مملكتها وسط الحقول دون منازع أو رقيب

ومن أين يأتى المنازع أو الرقيب والبلاد كلها فى حالة حداد وانشغال بالعدو ؟ ومن أين تمتلىء الشوارع والملايين يستعدون للحرب من جديد ؟ ومن أين يطل المستقبل ، إلا من هذه البيوت التى تستجمع نفسها بعد الهزيمة لتلقى قليلاً على الشارع الخاوى من الحياة .

ونستطيع أن نقول هنا إن اهتراء الشخصيات وموتها النفسى واختلاف المعايير التى تقيم وتقوم بها حياتها كان وراء « تيار الوعى » و « كثرة التناجى » على لسان الشخصيات فقد كثر الحوار الداخلى للشخصيات الأمر الذى يكشف القنبلة النفسية الموقوتة داخل كل شخصية — على حدة — والتى تبدو فى اهتزازها وتذبذب مواقفها الاجتماعية .

لقد امتد تيار التناجى فى هذه الرواية حتى مثل ظاهرة فنية ، وحيلة تقنية ، استطاع الكاتب بها ، أن يعرى شخصياته من داخلها ، وأن يقلبها على كل وجوهها فنحس بها أكثر ونتفهم تناقضاتها أكثر ، فالتناجى أو (حلم اليقظة) المستمر ، يقلب الشخصية فى عدة أزمنة ، وعدة أمكنة ، وعدة حالات نفسية وعدة مواقع اجتماعية ، فندخل إليها أكثر نحل الغازها ، وتناقضاتها ، ونفهم مالم يتمكن الحوار من كشفه . ولكن هذا (التيار التقنى النفسى) أضاف عبئاً ثقيلاً على قلم الكاتب وأسلوبه إذ كان التناجى وحلم اليقظة يتداخلان مع السرد أحياناً ، ومع الحوار أحياناً ، مما ضاعف مسؤولية الكاتب نحو بيان استقلال السرد عن الحوار عن المناجاة وقد وفق الكاتب فى معظم الحالات وأخفق فى بعضها .

على سبيل المثال يتداخل صوت الشخصية مع صوت الكاتب ، كما يتداخل الحوار والتناجى على لسان الشخصية فى لحظة واحدة :

« أنا وحدى وسط الكهف الحقير المظلم سأخرج ، أنت الصديق الذى يعرف خلجات نفسى ، أتوسل إليك ، ساعدنى على مواجهة الناس . (ناجى يناجى نفسه) .

— جزء من السلاح المواجهة وليس البعد ، المقاومة فى المواجهة ياناجى (ناجى يناجى نفسه) .

— لم أستطع المكوث بالبلدة حضرت بعد أن فكرت ، واستقر أمرى على ترك كل مكان (ناجى يناجى نفسه) آه ياقلبى الحزين لقد أوقعك ضعفك ..»

فإذا علمنا أن هناك قبل هذه المناجاة الطويلة (صفحتان تقريباً) بين ناجى ونفسه ، سؤالاً سألته عايدة لناجى ، علمنا أن تيار النقاش والحوار قد انقطع وأن الشخصية تتسمع أصداء نفسها رغم أن سؤال عايدة كان :

— لماذا لم تأت ، وقد بحثنا عنك كثيراً ؟ »

إلا إذا كان المؤلف قد عقد العزم على فك الروابط بين المتحاورين (عايدة ، ناجى) ، وفى هذه الحالة ينقلب هذا الغموض إلى نوع من الحيل الفنية الناجحة ، ولكننا نفاجأ أن الجملة الثانية إجابة صريحة (لم استطع المكوث بالبلدة) (حضرت بعد أن فكرت) ولكن المناجاة المضطربة تستمر حتى يقطعها متحدث آخر (سمير) الذى يفيق بذهاب عزيزة المحبوبة القديمة وهى إفاقة تتوازى مع خبر اعتقال رواد النادى « ص ٥٠ » .

وتتكرر تجليات تداخل التناجى هذه المرة تصعب معه على القارىء المتابعة فعايدة تسأل ناجى :

— الم تسمع أخبارا عن عزيزة ياناجى ؟.

فلا يجيب عنها إلا فى منتصف الصفحة التالية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـــ لم أسمع شيئا ياعايدة . هل حدث لها شيء ؟

واعتقد أن تقديم الإجابة كان أولى لا تقديم المناجاة عليها لأن تيار التناجي يستمر بعد الاجابة ليصل ما قبلها فليس هناك داع فنى هنا لهذا القطع .

وهذا الطول الواضح فى كل الرواية ، يستدعى تدخل الكاتب أحيانا ليلم أطراف الحديث ، ويعلن بياناً على لسان الشخصية ، كما فى مناجاة (سيد) (ص ٦٣) ، ص (٦٤) حين وقف خطيباً يلخص ويقرر ويخبر :

« ياأصدقائى ، فليسحق كل ماهو مرتبط بالماضى ، لست حاقداً او ناقماً ، لكننى أخشى العيون ، أشعر أن عينى أى صديق عندما يقابلنى صدفة تخترقان صدرى بحثاً عن شيء ما . ذلك يثير شجونى ، يدمر داخلى خاصة وأن أقرب الناس إلينا أصبح لايعدو أن يكون ماضياً ، سامى ، الدكتور ، ابراهيم ، النادى ، الجامعة ، جميع الناس انفرطوا فى بداية الصيف ولم تفلح الأمانى الطيبة فى توطيد أواصر القربى والعلاقة »

وواضح أن الكاتب كان يريد أن يعلق على ما مضى فاختار تعليقا مشتركاً بينه وبين سيد ، ولكن السرد والتعليق المباشر أقرب إلى المناجاة هنا . وقد أراد الكاتب أن يرصد انتماء الفرد من الداخل وخراب نفسه واهتزازه الاجتماعى ليبرهن على فكرة أن هزيمة صيف (١٩٦٧) كانت بيننا قبل أن تحدث الهزيمة العسكرية ولكنه كان يمكن أن يعبر عن ذلك بعيداً عن هذه الخطابية وهو يمتلك فى معظم المواضع لغة سهلة وشعرية فى بعض المناسبات .

■ التحولات

تقوم بنية هذه الرواية على ثلاث مراحل متحولة ، كالسلسلة تفضى حلقاتها بعضها إلى بعض ولهذا تبدو كوحدة واحدة ، تبدأ بحالة الشخصيات والمكان قبل الصيف المنسى ، ثم أثناء الصيف ، ثم ما بعد الصيف . والصيف هنا رمز لمرحلة تاريخية اجتماعية من حياة شعبنا ، كما تعطى كلمة أحزان دالة جديدة على ما يكتنف هذا الصيف .

نرى الشخصيات وهى تنحدر بين نقيضين (الحرية ـــ العبودية) « الطهارة ـــ التلوث » حتى ينتهى الأمر على لسان الكاتب مرة ثانية وبأسلوب مابشر أيضاً ينهى الوحدة الاولى من البنية الروائية بقوله :

« لابد أن يأتى الفنان الموهوب الذى يستطيع تغيير وجه الصورة الذى بهت ، فالتقتلع كل أشجار الدمار والفوضى ، ولتضرب حول العقول سياج مرتفعة من النسيان . ولتنقلب الصورة حتى تأخذ الوضع السليم يارياح السادة والحب أين أنت ؟ تعالى واقتلعى كل ما يلوث عالمهم المملوء بالزيف والكذب » (ص ٧١) وكأننا أمام الراوى اليونانى القديم وهو يحدث عناصر الطبيعة لتحمى البطل الأسطورى من شر او أثم يقترب منه .

وبعد هذه الوحدة ، تبدأ الوحدة الثانية حيث ينفرد الكاتب بناجى ليسقط على رأسه كل التأثيرات السلبية التى يفرضها الزيف والملق ، فينفتح المشهد الخامس على ناجى ، وهو يدخل على المدير الذى يخبره :

ـــ أنت مسئول عن عملية الصرف التى تمت خطأ تفضل تسلم أمر تحويلك للتحقيقات ... (ص ٧٩) .

ونعلم بعد ذلك أن المؤامرة مدبرة من يد السارقين ، إذ قال سامى له :

ـــ كان عليك ألا تقف فى طريقهم ياناجى .

قالت كوثر :

ـــ كان عليك ترك الأمور كما هى » (ص ٨٠)

وتنتهى الوحدة الثانية بتوقيع الجزاء على ناجى المظلوم وسط تفكك حاد فى مؤسسة القطاع العام ، ووسط مجتمع بدأ يحس التحولات والانهيار ، وهو ما يبدو على لسان ناجى حين يسرد مجموعة من الأخبار الاجتماعية المنشورة فى صفحة المجتمع التى يحررها زميله القديم (سامى) يقول : « طلاق ممثلة كبيرة من زوجها بعد فضيحة شاهدها سكان الزمالك . موت تاجر بالسكتة القلبية على أثر الهدف الأول للنادى الأهلى . مدير يرشو ضابط مباحث ، سمير أكلته لعبة الزواج ، سيد وعايدة انتقلا من المنيل إلى شقة فى أقاصى امبابة عزيزة المحور الذى كان يدور القلب حوله ويهفو الفؤاد ربما / انتهت كلماتها أسفل كوبرى الجامعة .... الدكتور ترك التدريس مرتب الادارة أفضل من كادر الجامعات .. » (ص ٩٨ ـــ ١٠٠) وتنتهى هذه الوحدة الثانية بمظاهر التفسخ الاجتماعى ونجد مظاهر أخرى (ص ١٠٩)

ولهذا حينما ننتقل للوحدة الثالثة نجد أنفسنا أمام نتيجة طبيعية للتحولات والتفسخات .

إذ تبدأ الوحدة الثالثة بتحركات الجيش إلى سيناء ، بعد أن شبت حرب أخرى داخل البطل (ناجى) هى حرب الجنس ، وكما يستمعون أخباراً عن غارات تجريبية أو وهمية ، نجد إغارات وهمية أخرى تربط بين ناجى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكوثر ، كذلك يفشل ناجى فى الحصول على حبيبته رغم موت أمها التى كانت مانعة لزواجهما (ص ١٠١) .

لقد تغير الداخل (النفسى) والخارج الاجتماعى) من تعدد الألوان إلى السواد والحمرة ، بعد هذه الأوهام الساقطة « الحزن فى العيون ، الصمت حائط مرتفع ، التاريخ لم تبدأ كتابته بعد » ص ١٢٣ « اللون الأحمر يملأ جوانب الطريق .. الدم لونه أحمر قانٍ ، تبرعوا بدمائكم من أجل المعركة ، قفوا فالضوء الأحمر لم يتحول نحو الأخضر هل هناك بيانات جديدة ؟ لا جديد تحت الشمس ، لقد جف الماء فى الحلق ، ووقف الدم فى العروق . » (ص ١٢٣)

ويتوازى الانهيار النفسى للبطل مع الانهيار الاقتصادى والسياسى للوطن . وكما تآمر الداخل على البطل تآمر الخارج على الوطن وساعده تآمر الداخل . وبهذا يلتقى الخطان الدراميان اللذان أنشأ شمس الدين موسى روايته عليهما . وقد نجح فى هذا التوازى الدرامى من البداية حتى النهاية ، كما نجح فى التوازى بين خط التناجى وخط الحوار وإن كان قد غلب خط التناجى وخط الحوار وإن كان قد غلب على خط التناجى وتيار الوعى على ما سواهما أثناء الافضاء الخطابى للشخصية وهى تحاور ذاتها .

ولهذا نحس أن الكاتب أراد أن يصل إلى ذروة الأحزان فوضعنا قبل نهاية الرواية بقليل على آخر مفاجأة إذ ذهب ناجى بعد الانهيار ، ليبدأ جولة جديدة مع العدو (الداخلى) و (الخارجى) فقال :

ـ « أريد أن أسجل اسمى بالمقاومة الشعبية

تفحص المسؤول وجهه ملياً وقال

ـ ليس اليوم فلتمر غداً أو بعد غد » .

ولهذا ليس عجيباً أن ينتهى الأمر بهذا البطل إلى الضياع ، وإن لم يتركنا الكاتب نضيع معه ، فأعطانا قدراً من الأمل يعصمنا من اليأس الكامل كما أشرت من قبل

■ اللغة

تقوم بنية هذه الرواية على لغة بسيطة ، يغلب عليها الفصحى ، إذ جعل الكاتب السرد والتناجى والحوار بالفصحى ، فى حين جعل كل ما يخص القرية من حوار أو خطاب بالعامية المصرية وبذلك يفصل الكاتب بين عالمين (القرية القاهرة) بالعامية والفصحى ، وقد وفق فى ذلك ، لأن الرواية كلها تدين المدينة ، بقهرها وتفسخها ، فى حين تضع القرية نموذجاً للتمسك بالمبادىء والموروث الاجتماعى والشعبى .

وفى حين يتفكك العائشون فى المدينة ، يقف أهل القرية متماسكين كأمل أخير يضيىء فى أجزان الصيف المنسية بل يجعل الكاتب الكاتب كلمات التحذير من أخطار المدينة من والدة ناجى ، ووالدته بمثابة إرهاصة تشير إلى ما سوف يحدث له فيما بعد . ويبدأ التحذير من « بنات البندر » خل بالك من نفسك ياناجى » ثم نراها بعد فترة ترسل له خطاباً تخبره فيه أنه كالعدم ، كأنه مات وكأن أباه لم ينجبه .

ولاتقف العامية عند هذا الحد ، بل نراها متناثرة فى كلمة اعجمية احياناً ، وفى مقطع من اغنية « عطشان ياصبايا دلونى على السبيل » ونراها أحياناً أخرى فى بعض التغييرات التى تدخل فى نسيج الفصحى .

واسلوب الكاتب بسيط جداً ، لايحتاج إلى إعمال الفكر ، فهو قريب المأخذ ، واضح دلالته ، تقوم على التشكيل المنطقى للجملة (فعل + فاعل + لواحق) أو (مبتدأ وخبر) . وتخلو من الأساليب المركبة أو الأساليب الخاصة

وينجح الكاتب فى توصيل رسالته بأسلوبه الخاص الذى يقدم للقارىء كل شىء على صفحة الكتاب ، ولا يترك له فرصة للاجتهاد فى تحصيل الدلالة ، أى أن الكاتب حريص على توصيل رسالته الدلالية وخطابه الروائى كما هو ، كما وضعه هو . لهذا فالجمل قصيرة ، متتالية ، متزاحمة أحياناً .

وقد حاول الكاتب أن يكتب سرده وحواره ومناجاته بلغة التحادث لهذا يخضع ترتيب الجملة للعادة الشفهية أو لعادة نطق الأسلوب وترتيبه لدى الكاتب وليس لدى الشخصية فهو دائماً ما يؤخر أسلوب النداء لنهاية الجملة ، ففى كل جملة موجهة فى الحوار نرى ختاماً بصيغة (يافلان) والأمثلة كثيرة جداً على ذلك ، فى حين نراها فى الفصحى ـ غالباً ـ فى الصدارة .

ويستفيد الكاتب من الحديث الشفهى فى تقطيع الجمل ، والعبارات ، وعدم إكمالها أحياناً كثيرة كذلك يستفيد من التكرار فى اكساب الجملة إيقاعاً خاصاً ، إذ يؤكد على بعض العبارات داخل الجملة الواحدة لتعطى جرساً متميزاً يدل على تردد الشخصية أو خجلها أو تراجعها ، أو كثرة نسيانها كما فى (ص ١٨) على سبيل المثال .

وعلى الرغم من الحرص البالغ على توصيل الكاتب لرسالته ، تتسلل إلى بنيته اللغوية جمل شعرية تعطى الأسلوب أو الحالة الخطابية مذاقاً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خاصاً ، وتضاعف من تأثيرها الحزين وهو التأثير الملحّ فى هذه الرواية ، يقول شمس الدين موسى :

« الأجراس الصدئة ترسل أصواتها فى موجات مشروخة ، تمزق الصدى ، قبل أن يصطدم بجدران الأذن . كان الصمت الأخرس يذوب أسفل دوائر الصوت .. تاهت النسور والغربان » (١٣٨ ص) .

ليصور حالة المصريين بعد هزيمة صيف ١٩٦٧ . وهناك أمثلة كثيرة جداً فى ثنايا هذه الرواية ، إلا أن الكاتب لا يسترسل فى هذه الصور الشعرية إذ سرعان ما يفيق ويعود بالجملة والعبارة والأسلوب إلى المستوى العادى (الخاص) الذى أشرت إليه

ولكننا نقف وقفة قصيرة مع الكاتب ، فى التهويمات التى تأتى أحياناً بلا دلالة ، ولا ضرورة والاستغناء عنها أفضل ، لأنها تدخل الخطاب الروائى إلى دائرة الانشاء أو الوصف الانشائى الذى يستعرض فيه الكاتب ألاعيبه اللفظية والفكرية ، وهى وقفة يمكن أن تضم إلى مسألة لتشتيت المتلقى فى بعض المواضع التى أشرنا إليها فى البداية كما فى صفحات (٢١) وهو يتحدث عن (المنظور غير متساوى الاضلاع) .

وكما فى حوار ناجى وسمير نهاية (ص ٣٧) وبداية (ص ٣٨) .

وبعد .

فالكاتب يخطو بهذه الرواية خطوة جديدة وموفقة ، فى طريقه القصصى الطويل .

القاهرة د . مدحت الجيار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البطل المأزوم
بين عجز الذات والخلاص المرير

□ قراءة نقدية فى رواية « الصهبة » لمحمد جبريل

سمير الفيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١)

إن أزمة منصور سطوحى بطل رواية « الصهبة » لمحمد جبريل فى سياقها الموضوعى الأشمل أزمة وجود وبحث عن معنى ولايمكن أن نفهم دوافع تلك الأزمة دون النظر إلى طبيعة شخصية منصور . فهو الصامت الخائف طيلة حياة الأب والمتمرد والداخل فى تجربة لايدرى نهايتها بعد رحيله .

الأب يتحرك فى خلفية المشهد الروائى بجبروته مواصلا ضغوطه النفسية القاسية . ويكون دخول منصور عالم « الصهبة » كوسيلة مشروعة للبحث عن معنى للعالم ، وعن فهم لأسراره بوسيلته الخاصة .

حين يهجر منصور كلية العلوم التى لم يحبها يوما وينوى إدارة مكتبة الأب التى استمر اغلاقها تسعة أشهر فإنه يحاول إزاحة رموز الأب وسطوته الآخذة فى الخفوت .بل يسعى فى بداية الأمر لتغيير اللافتة لولا إصرار الأم على بقائها . فهى تنتمى إلى ذلك العالم الأفل الذى يحاول ممارسة نفس طقوسه فى القهر والتحكم والسيادة المطلقة رغم تغير الظروف .

خلال تلك اللحظات الانسانية العميقة المشحونة بطاقات سحرية يحاول منصور أن يبحث عن ذاته . وحين يرسو عليه المزاد ، فإنه يخترق (التابو) ويكشف عن ذلك الوجه المضىء ، وينجذب بغير إرادته إلى الصدر اللدن ، فيصطدم صدره بنهديها . ويخرج عن أصول اللعبة مواجها عقاباً مؤجلا وضربة موجعة لايدرى متى تأتى ؟

(٢)

تدور أحداث الرواية فى أحياء الأسكندرية الشعبية ، وتمتلىء بأسماء المساجد والشوارع والحانات والمقاهى والجبانات فى « ميلودى » بهيج يشع بالغبطة حيث يتحرك منصور سطوحى بين الضوء والظلال فى عفوية وبساطة يحاول أن يحرر النفس ويطوع الجسد لذلك النداء الخفى الذى يقتحم خلوته وجه المرأة يجذبه ويطارده ، ويكشف له كل لحظة عن بهجة مستترة وفردوس خفى .

والشخصيات التى تحاول الأخذ بيده ، وتخطى ذلك المأزق تبدأ من شقيقته منيرة وتمر بالشيخ عرفه الدجيشى إمام المسجد ثم ما تلبث أن تنتهى بنقطة شرطة الأنفوشى حيث يتبين ضابطها أن الصهبة لا وجود لها .

ومثلما خذلته الشرطة تخلى عنه الأصدقاء ليتركوه وحيدا فى مواجهة الموكب الهائل الذى يقتحم حارته حيث الأعلام واللافتات والبيارق والعشرات

من الخلق فى الشارع الضيق أمام البيت هل كان ذلك الموكب من وحى خيال منصور سطوحى ؟ وهل كانت الصهبة التى اندفع إليها ، ليرى تشابك أيدى الرجال متجهين إلى الداخل بينما أجساد النساء تنفلت إلى الخارج على وقع الدفوف هى الأخرى وهماً بلا سند من حقيقة ؟

فى تلك اللحظة التى رفع النقاب بيد مترددة ليقابل وجها كأنه الجنة ليست من السيالة ولا بحرى ولا من الحياة نفسها . بدأت روحه تتحرر وكأنه يواجه قدره . وعليه أن يتحمل تبعات اختياره .

لن أسطو على تعبير « الواقعية السحرية » الذى هبط علينا فجأة بل سأسعى الى مصطلح آخر أقل تعقيدا وأكثر بساطة لتلك الرواية حيث يجيد الكاتب المزواجة بين الواقع والخيال .. ويلجأ إلى تكنيك متطور تندغم فيه الحدود بين الممكن والمستحيل . فيحطم بذلك تلك الأطر التى تضغط بعنف على جسد التجربة لقولبتها .

إن الرواية تتعامل مع الواقع والأسطورة بنفس الدرجة من العمق . فهى فى يقينى « واقعية » ذات ملامح أسطورية ، وشطحات صوفية ، حيث الانجذاب إلى قوى باهرة ساطعة الضياء تقود إلى النور الهائل ثم الاتحاد .

إن التفصيلات الواقعية التى تزخر بها الرواية تستمد وجودها من اللون والرائحة وملامح الشخصيات وأسماء الأمكنة بينما يمتد فى نسغها دم متجدد من رؤى وأحلام ومكابدات مضنية وشهقات ألم مكتومة وأفراح مؤجلة .

هى لحظات الكشف عن سر الوجود ، وكسر رتابة الواقع الصارم الملامح لتجاوز ذلك إلى مناطق التحول والكشف .

(٣)

يحاول محمد جبريل فى روايته تلك أن يعرفنا بالبطل فى ذروة أزمته . لا تستطع أن تحدد بكل اليقين طبيعة شخصية منصور . هل هى شخصية هشة لم تستطيع أن تواجه التجربة ؟ هل هى شخصية صلبة وجدت حيلتها فى التمرد من خلال الخروج عن الأطر الحديدية للواقع بكل قسوته حين يسعى إلى قولبة المشاعر وخنق الأحاسيس ؟ وما حقيقة أصدقاء المقهى الذين باركوا سقوطه بصمتهم المريب وانصياعهم لرؤاه المقلقة ؟

إن ذلك الواقع المرتق يواجه مأزق منصور بالتصديق حينا وبالانكار حينا آخر . تتبدل الوجوه ويبقى الشك قائماً . وحين ينسحب منصور إلى حجرته ، ويقطع صلاته بالعالم تنقض عليه الصهبة لتجذبه فتصرخ أمه صرختها الملتاعة : هل انجذب ؟

وأم منصور شخصية تقع فى ظل الأب الجهم القاسى ، وهى تواصل سخريتها من الابن . وتفضل أن تباع المكتبة على أن يديرها الابن !

إنها امتداد لحياة الأب الذى كان منصور يخافه أكثر من حبه إياه . هى ترفض آراءه وتصرفاته ، وتعيره منذ وفاة الأب لانقطاعه المفاجىء عن الدراسة وتجلس لتحكى برتابة أحداث الخروج الأخير للأب .

يبدو منصور متوترا وقلقا وغير قادر على سماع تلك الحكايات المكرورة أما ماجد الشقيق الأصغر المتآلف مع الأسرة كبيرها وصغيرها فيستعد للوظيفة بعد أن تخرج من الهندسة . ويستمع فى أدب جم إلى الحكاية كأنها تصدر عن أسطوانة مشروخة .

الشخصيتان مختلفتان ماجد متجاوب مع الآخرين ، لاتقلقه أسئلة ما ، ولا تغيرات تعترى مستوى العلاقات فى الأسرة بعد رحيل الأب .

أما منصور فهو محبط ، يريد أختراق سطح العالم الراكد ، وتجاوز ماهو منظم ومنضد . إن قدرته على طرح الأسئلة تكسرت حين واجهت فى البداية صلف الأب وصلابته .

وحين رحل ذلك الأب ذو الصلع الذى يتوسط رأسه الأشيب بدأ فى التملص من قيوده . تولدت فى ذاته شروخ جديدة . لقد كان وجود الأب يضبط المعادلة تماما . وتكاد تكون « منيرة » زوجة حسين الزنكلونى هى القلب الحنون الذى يقف معه .

كانت منيرة ترفض تلك الزيجة ويشاركها الرفض لأسباب مزاجية وأخرى موضوعية وحين تعود إلى منزل أبيها يأتى ذلك الزوج الفظ ليتناول الغداء معهم وينظف أسنانه بظفره ويتركها حتى تنتهى الأزمة . تقول منيرة : « أحيانا نخلط بين أحلامنا وما جرى بالفعل » لكن المرأة تأتى ، وتأخذه حيث تسكن تجوب شوارع الاسكندرية ، والناس من حولهم غائبو الملامح . إلى جانبه تبدو هادئة ومستكينة ، كأنها تعرفه من زمان ، تتلامس أيديهما فلا تنفر أو تبدى انزعاجا تواتيه الجرأة فيسألها عما حدث بعد تلك الليلة البعيدة ، فتتحسس بطنها . قالت الداية إنى حامل .

تحت النصب التذكارى للجندى المجهول وقفا يتطلعان إلى الميناء الشرقى قال لها تعبت من المطاردة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المطاردة وجه من أوجه التحقق ، وظهور المرأة تكأة لمعاودة طرح الأسئلة إن منصور يلقى بذاته فى التيار ، ولايبحث عن خلاصة إذ أنه فى أشد حالات تأزمه يتوق إلى المرأة ويتطلع إلى لقائها .

لكنه يخشى وجه الأب الذى مازال يتحرك بكل جبروته فى خلفية المشهد الروائى يتابع بنظراته الصقرية افعال الابن المنفلت .

أما الأصدقاء فرغم جلوسهم كل ليلة على المقهى فهم أشبه بجزر صغيرة متباعدة فى بحر مظلم ملىء بالزبد والكلام الأجوف والأحلام المستحيلة !

(٤)

فى صهبة (محمد جبريل) تتبدى لنا ثلاثة ملامح اساسية تتقاطع وتتحاور وتدير الصراع داخل نسيج لغوى مميز .

تسيطر على أجواء الرواية تلك الروح الشفافة للبطل المأزوم ، وخبرة حية بالواقع السكندرى ، حيث يلتقط الكاتب ادق تفاصيله دون ان تخونه الذاكرة ، او تفلت من يده خيوط الحبكة .

والملامح الأساسية للصراع ذات طبيعة جدلية ، نلمح فيها تشابك الأحزان والأفراح ، التعثر والنهوض ، التقوقع على الذات والاتصال بالآخرين .

اول هذه المحاور هى رغبة البطل العارمة فى امتلاك الأنثى والقبض على جمرة الاشتهاء ، وفى ذات الوقت الانفلات من طقوس الصهبة كما هى راسخة وابدية .

لكنه لم يسع الى التمرد بقدر ماقادته الرغبة المتأججة إلى تطويق الجسد المنتفض : « فرضت الرغبة نفسها ، فنسى كل ما حوله . نسى اللمة المحيطة والسكون الذى اذهلته المفاجأة ..

حين فعل فعلته تراجع إلى الخلف فانسحبوا الطريق لانسحابه المحسوب ، وكانت خطواته متثاقلة كأنه يجر خوف الحياة كلها .

اهى رقصة ذكر النحل حين يقدم على الاقتران بالملكة مدركاً بأن نقطة الذروة هى ذاتها لحظة النهاية ؟

كان الشيخ عرفة الدجيشى يعده لأخذ العهد ، وكان المرحوم والده ينتظر تخرجه من كلية العلوم بعد أن رفض التعليم الدينى وأصر على إدخاله الكلية العملية . وكانت منيرة تقف إلى جانبه ، وماجد بدماثته لا يمكنه أن يغضب أحداً لكن ذلك اللقاء العاصف الذى أتبعه بلقاءات غامضة أدخله تجربة قاسية . ألقت بظلالها على روحه الغضة فلجأ إلى الغرفة حيث أكداس الكتب والعتمة بعيداً عن شيخ المرأة .

حين قابلته وبدا ضرسها الذهبى فى جانب فمها قالت له : « أنت الآن منا فكيف يطاردونك ؟ » وقفت فى المسافة الفاصلة بين الواقع والحلم . تومىء إليه أن يتقدم اكثر ليرقى درجات فى مراتب الصهبة . تلك المرأة منحته ذاتها ، وفى الوقت نفسه بددت طمأنينته وحولت حياته إلى جحيم لايمكنه احتماله .

●

المحور الثانى هو ذلك الخوف الهائل من المطاردة ، وكأن اعتصار اللذة الجسدية والروحية لابد أن يتبعه عقاب صارم . وكأنها « لعنة الأب » التى تلقى بظلالها على الأحداث فى هدوء وتكتم .

ذلك المحور يتسلل داخل العمل فى نعومة شديدة ، ولنتتبع رحلة الفزع ، ومحاولة الهرب من الضربات الطائشة المتوقعة منذ خطا نحو مولد سيدى نصر الدين واقتحم الصفوف المحيطة بالدائرة ليعصف بالطقوس المرعيّة إلى أن انطلق مجذوبا من داخل حجرته إلى الشارع حيث تهيأت له صورة مواكب سيارة ذات طبول ودفوف .

المرأة كلّلت سعيها بنجاح حيث شفيت من العقم ، أما هو فقد ظفر بحريته أثر رغبة مفاجئة فى التحقق والامتلاك .

إن ولعه بالمرأة يبدده ذلك التخوف من الحصار حيث النظرات المهتمة إثر ذلك التصرف العفوى الذى قام به وهو يدرك أن ضربة الغضب لاشك مقبلة : « لكن الملامح التى التقيت بها فى الصهبة تلاحقنى تبين عن نفسها — عمدا — أسفل النافذة حتى المرأتان اللتان رافقتا المنقبة . غالبت صيحة فزع لما أطالت إحداهما التحديق فى الرصيف المقابل . والابتسامة الغريبة تشى بمعرفتهما أن أقف وراء النافذة المغلقة » .

يتنامى إحساسه بالمطاردة والتى ينهض عليها رد فعل بالنكوص والتقوقع ثم الانكماش . وتمتلىء الرواية بالإشارات المبهمة بأن ثمة أرواحاً تهيمن على الأحداث وتدفعها إلى الذروة حيث يأتى الخلاص المفاجىء فى الانجذاب إلى هؤلاء المطاردين .

فى إيقاع متماسك وبتوازن دقيق يندفع منصور سطوحى إلى الشارع حيث النداء الخفى الذى نستشعره دون أن نملك دليلا قويا على وجوده .

●

ويكاد المحور الثالث يتنازع المحورين السابقين ليضفى مشروعيته على متلاك منصور للمرأة ، ثم ليعاود

نفى فكرة المطاردة اللاهثة التى تمسك بخناق بطل الرواية

ذلك المحور هو وجود رفاق المقهى ، وأسلوبهم فى التعامل مع تلك المتناقضات الجمة التى تحيط بشخصية زميلهم منصور

إن الفوران الداخلى الذى يشعرون به داخل تلك الشخصية المحببة إلى نفوسهم يُقابل فى البداية بحياد بارد ثم عندما تتعقد الأزمة وتصطخب مشاعر القلق والتخوف لديه يبدأ كل منهم فى تفسير الأمور ، ومحاولة العثور على حلول ناجعة لأزمة تتجسد أمامهم على ملامح وتصرفات صديقهم القديم .

فهذا « بدر المنشاوى » الموظف بأرشيف الحقانية ، وجليس مكتب منزو فى بدروم رطب معتم . يطارد تعاسةُ البشر بعباراته البذيئة ونكاته التى يعقبها بضحكة مبتورة .

وحين يزوره فى شقته الصغيرة ذات الأثاث القديم يلمح ذلك الود المتأصل بين الابن وأبيه ، حتى إن الشيخ الذى يشارك فى نكاتهم يعد بنفسه الشاى .

إن الغوص فى أعماق منصور سطوحى يكشف عن نوازع وأحاسيس تمور داخله ودُّ أن يطلق لها العنان . أين هو فى علاقته القاسية المشدودة دائما بتوتر هائل من تلك العلاقة الصافية ، والتى تبدو كاشفة لإحباطه القديم .

إن بدر المنشاوى يشجعه على الانطلاق نحو عوالم بهيجة يجدها فى قصائد شعر طليقة : « لو أنى مكانك لما سمحت لشىء سوى الشعر أن يشغلنى » أما جابر محجوب ميكانيكى السيارات الذى ينضم إلى الشلة فهو الوثيقة الحية على تمرده على وصايا الأب الذى ينصحه دائما أن يختار أصدقاءه من ثوبه . وهو يعلل عدم اقترابه من فكرة الزواج بأن أجره ملاليم والشقق كلها تمليك . وعائلته أصلها فى كفر الدوار .

تشتبك كلماته بذكريات دامية فائتة حين أرادت أم منصور أن يقترن ابنها بفاطمة بنت عبد السلام العلوجى الموظف بهيئة الميناء .

حينها ضرب أبوه المائدة بقبضة يده ثائرا . قالت الأم مهونة : « مجرد خطبة » لكنه أرغى وأزبد وتناثر غضبه محطما كبرياءه الجريح .

إن المشاهد يعاد تنسيقها بشكل مغاير ، وتظل صور ومشاهد الأب بالغة القسوة تتجمع لتشكل المشهد الرئيسى الذى يعبر عن عجزه الكامل فى مواجهته ذلك الجبوت الذى يواجهه بحقيقة فشله : « الأفضل أن تنصحه بمذاكرة دروسه . أخوه الأصغر لحقه فى السنة نفسها ..

لقد غاض منصور سطوحى تجربة الصهبة ودخل المزاد ليظفر بخلاصة من سطوة الأب الذى يغيب جسدا بينما لفح أنفاسه تسيطر على عامله المتداعى . هو يعلن خلاصه وتمرده على تلك الأشكال الجاهزة من الطقوس الأبوية التى تذكره بضآلته . إنه ثائر فى تلك اللحظة التى يحتضن فيها المرأة على سلطة الأب وطقوس الجماعة ، على الواقع ، والأشياء جميعها .

لقد تخطى عجزه واندفع لمعانقة حريته لذا كان عليه أن يدفع الثمن باهظا : مطاردة مريرة ومستميتة لقهره ، وتصفيته .

كان انجذابه للمرأة انجذابا يشبع ذاته القلقة . أما جابر محجوب فإنه يعترف للشلة بأن تجربته الأولى مع امرأة من الغجر كانت طيبة ومليئة بالذكريات الطيبة . إن جابر رغم روحه المرحة يعانى لمسة أرضية فهو قرين منصور سطوحى الذى لم يعترف بعد بالانهزام

●

أما حسن الهن الموظف بقصر ثقافة الأنفوشى فهو يشاركهم جلساتهم وحين يجلس الحاج قدروه ويربت على ركبة منصور بأصابعه « شرفتنا فى البقطرية ياأسطى ، يعرفه بأنه تاجر حشيش يركض وراء المكسب السريع بينما يركض منصور خلف خلاصة المستحيل . يتخلى من أوجه المطاردين ويسعى إلى اقتناص اللحظة الحية التى يتخلص فيها من هموم الجسد وسأم الروح القلقة : « دخلت عليه بثوب العرس . قفز من السرير — بفرحة — واحتضنها مسحت على ظهره — ولامست أنفاسها أذنه . تركت أصابعه تريح الطرحة البيضاء . فتبين عن شعر منسدل فاحم السواد . قبلها فاستجابت مال بها إلى السرير ، فتمددت وتناهت أناشيد الحضرة ، وإن غاب مصدرها .» .

وهكذا تتشابك المحاور الثلاثة ، وتتقاطع لتنسج قماشه الرواية على مهل ، وبقدرة فائقة حيث اللغة مليئة بالعذوبة ، أما الأسلوب فهو يشى بعفوية وتدفق ناهيك عن اللقطات الحية البارعة التى تضعنا فى مواجهة شخصية تفر من الواقع بحثا عن المطلق !

يلجأ الكاتب إلى تقطيع سلسلة الأحداث عن عمد ، ويراوح بين الحلم والواقع والأحداث الآنية تختلط بأوهام الخيال .

يحاول اقتناص الأسطورة فتشيع فى أجواء عوالم الحارة السكندرية أكبر قدر من الحكايات الشعبية القديمة ،

وتفصيلات حلقة الذكر . وتفدو دلالة الالتقاء بالأنثى ذات حس شبقى ملىء بالتحريم وفورة المشاعر والاقتصاص من الذات .

تتحرك شخصية منصور سطوحى داخل ظلام كثيف أو فى الأماكن المعتمة .

فى غرفته التى يغلق نوافذها يحرر ذاته بالقراءة ، والانفصال عن العالم إنه يلجأ الى التطهر . فتربكه دقات الدفوف والدربكات والشخاليل حشد الجزئيات يذوب فى الحدث الكلى الجليل حين يواجه المرأة ، وينجذب إليها حثيثا ، وينكرها حينا آخر .

الرواية مليئة بالحوار المتوتر فى صياغات عالية الجودة .

والشخصية الرئيسية تسعى إلى هلاكها بهمة وكأنها منومة . والأم التى أورثها الأب قسوته تنظر إليه بلوعة أما منيرة فهى لاتمتلك سوى حزنها الرقيق ، بينما ماجد يتحرك بصمت وحياد فارغ . تلك التفاصيل المجزأة والمبعثرة يجمعها الكاتب بحس مأساوى نفاذ إن محمد جبريل لايسعى الى إحداث التوازن داخل شخصية بطله من عنادياته . إنه يرقب أزمته وعجزه عن تحقيق كبرياء الذات ، ويدرك أن خلاصه المرير كان ممكنا فقط حين ألقى بنفسه داخل ذلك التيار الهائل الموشى بالنور ، والذى يأخذه حيث يجب عليه أن يذوب نهائيا فتتلاشى أحزانه .

وعليه أن يدفع الثمن دون أن يبدى أى احتجاج من أى نوع !

دمياط : سمير الفيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

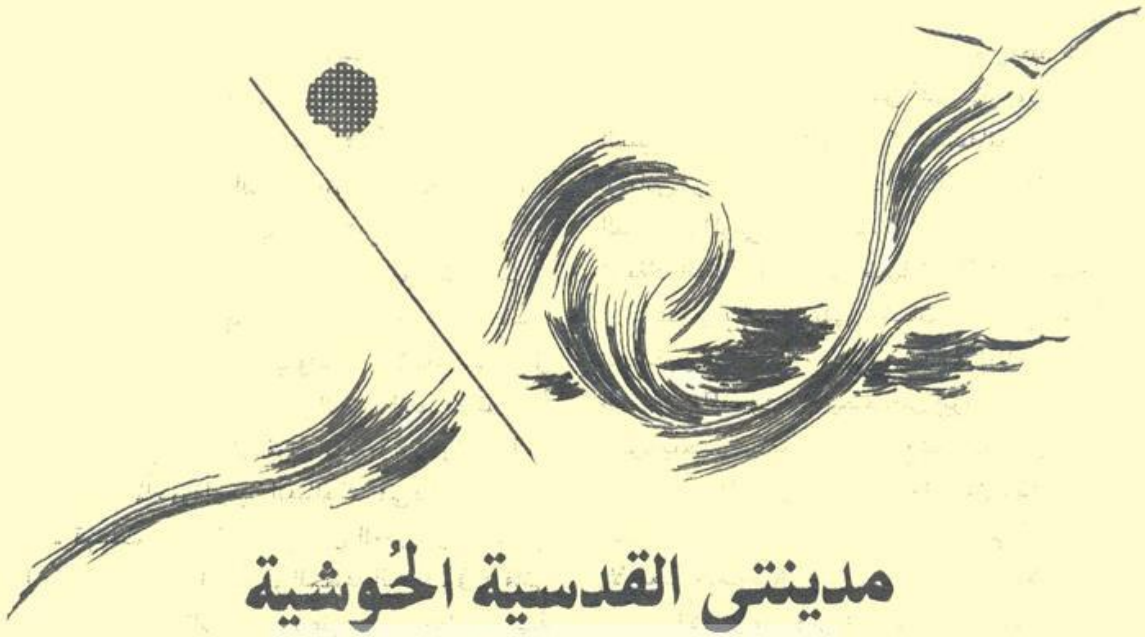

مدينتى القدسية الحُوشية

التى ترابها زعفران

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ادوار الخـــراط

تقديم

علاقتى بمدينتى - وهى الإسكندرية - علاقة خاصة . فقد كانت الإسكندرية - وما زالت - موقعا حلميا على كل واقعيتها

هى ليست موقعا جغرافيا جميلا فقط . وليست - فقط - ساحة لالتقاء واصطدام الناس الذين يعملون ويكدحون ويحبون ويموتون على ارض الحياة اليومية . وليست - فقط - مستودع ترسب ثقافات وحضارات تاريخية . عريقة وراهنة . هى ذلك كله . وهى كذلك حالة من حالات الروح ومغامرة سعى لاستيعاب حقيقة داخلية . ومواجهة ميتافيزيقية ايضا لغموض المطلق والموت الممتد على صفحة بحر ساجية او جياشة . نحو افق ملتبس . بلا حد

ولعلنى لا اعرف كاتبا آخر فى العربية تولّه بعشق هذا الموقع - الحلم - الواقع . كما فعلت لكانها امراة فردانية ومتكثرة بلا نهاية

ومهما كان من حفاوة كاتب مثل نجيب محفوظ بازقة وحوارى الجمالية . او كاتب مثل عبد الرحمن الشرقاوى . وغيره من كتاب الريف . بقراهم . فقد كانت المدينة . والارض - عندهم . فى نهاية الأمر . ديكوراً خلفيا . وفى أحسن الاحوال موضوعا او ساحة للفعل الروائى

الاسكندرية عندى هى نفسها الفعل الروائى . بمعنى ما . قوة فاعلة . وليست مادة للعمل ولا مكانا

والصفحات الرؤى التالية هى فى حقيقة الامر كولاج نصى لنفسى . من اعمال روائية قليلة لى . ان يصعب على باحث ما ان يرجعها إلى مصادرها . ولكنى اطمع ان يكون هذا التلاصق - التجميع قد بعث فيها روحا كامنا - ولا اقول مغايراً - لعل له وجوده الخاص

● اسكندرية
وَجْد (وفقدان) بالمدينة الرخامية . البيضاء — الزرقاء ، التي ينسجها القلب باستمرار ، ويطفو دائما على وجهها المزبد المضيء . إسكندرية ، ياإسكندرية ، انت لستِ ، فقط ، لؤلؤة العمر الصلبة في محارتها غير المفضوضة ...

رخام متسايل يبضّ بعربدة اللحم الشبقّي أعمدة تميد بها الصخور ويسندها ظلام القلب العنيد كثافةُ العصائر الجسدانّية تنزّ من شرخ الحب العريق وما زالت التيجان المرمرية المكلّلة بأغصان العنب الحجرى تسقيها خمر الكروم المكنوزة أبداً لا تسيل تواجه الأفق بصمت وتُسائله بصمت صروحاً تتحدى السنوات والحِقب والدهور ولا يعنو بها زلزال الإنكار تكسرت نفسى معك على سلم الرخام الأسود المستدير وأنت تتعثرين فى شباك الرفض قوية الخيوط غير مرئية ذراعك فى يدى نحيلة غصناً مورقاً رقيق العظام كما هى دائما فى حلمى لم أكن قد قبضت عليها قط وعلى طول العمر جراةُ التقارب بينهما ليست غير مألوفة الحلمُ هو الحقيقة الوحيدة فى عرفانى والحلم لم يحدث قط قلتِ دعنى دعنى الآن وجهكِ فاكهةٌ مضرجة بدم الشجاعة هل كان أيضا دَم الحلم الذى لم يُسفك قط سوائل الغضب المحسوبة الانسكاب تُطيع بالحبوس مرارتها لا تُطاق أصابعى وحدها من غير إرادتى تزيح خصلة من الشعرعن تاج الجبهة الناصعة مَسُّ الشعر الخصيب واندفاق الدم فى شرايين الشوق المفتوحة حتى الآن يدى ورقةُ شجر خفيفة النسيج أسقطتها أصيلُ الشتاء منقبضة الأصابع على سماء مستغلقة أدحضها ولا تموت فى العتمة المُحِيقة ليس الا نورٌ يحيط برخام وجهك المكسور وجسدك القائم شامخاً ومليئا رغم الانحدار طقوس النَكْث وإقرار الإيمان مرة بعد مرة بلا انتهاء كل صبح وكل مساء وصوتك مِنحة وذبيحة .

●

عَرّشت أشواقُ عشقى فى مدينتى العظمى الإسكندرية الثغر المحروس الميناء الذهبية رؤيا ذى القرنين وصنيعة سوستراتوس المهندس العظيم ولؤلؤة قُلْبَطْرة الغانية الأبدية ، المدينة الساطعة المرخّمة لا تحتاج بالليل إلى نور لفرط بياض رخامها ، أكاديمية أرشميدس وأراتوسنيس الفيلسوف والشاعرين أبولونيوس وقاليماخوس ، مثوى الميوزات جميعا وعاصمة القداسة والفجور معا ، أرض القديس مرقس والقديس أنانيوس وأصحاب الكنيسة البوقالية أوريجانوس والأسقف ديونيزيوس والأنبا أثناسيوس الرسولى الواقف وحده مع الحق ضد كل العالم ، مدينة البطاركة أعمدة الأورثوذوكسيّة القويم ، أكليل السبعين ألف شهيد الذين سوف يُبعثون الى جانب المسيح وجوههم بيضاء كاللبن والصاروفيم يغنون فى مكرمتهم ويُسبِّحون ، رأس فاروس يلقى نوره من إليوسيس الخَضَرة إلى قانوب أبو قير ، من الجومنازيوم ومعبد باسيدون إلى الامبريون والستاديون من الهيبد روموس إلى معبد السيرابيوم من تل راتوتيس كوم الشقافة الى السلسلة رأس لوقياس من تل بانيون كوم الدكة وكامب شيراز الى بترای حجر النواتية ، المرسَى العظيم الشأن لا يضارعه الا مرسى قاليقوط فى بلاد الهند ، تنبثق من قلبها المسلة الجسيمة التى ليس تحت قرار الأرض مثلها بنيانا ولا أوثق عَقْدا ، أُفرِغ الرصاص فى أوصالها فهى مؤصَّرة لا ينفكّ التئامُها ، وعمود السوارى المنحوت من رخام جبل إبريم الأحمر تاجه منقوش محزَّم بأحكم صنعةٍ وأتقن وضع ليس له قرين ، مدينة المراتع والمحارس والمدارس والمسارح والجنان ، ذات العماد ذات الأربعة آلاف حمام ، الأربعة آلاف ملهى كلها قمينةٌ بالملوك الأربعة آلاف بقّال لا يبيعون الا البقل الأخضر دعك من الآلاف الأُخَر ، عروس البحر الدفّاق من القلزم إلى بحر الزقاق ، جامعة المزارات من سيدى المُرسى أبى العباس وسيدى أبى الدردار إلى سيدى الشاطبى وسيدى جابر وسيدى كُرَيّم رضوان الله عليهم أجمعين ، ذات الشوارع الفساح وعقائد البنيان الصِحاح ، جليلة المقدار رائعة المَغنى شامخة الكبرياء إسكندرية ياإسكندرية شمس طفولتى الشَموس وعَطش صباى ومَعاشِق الشباب .

قلت : أما زلت تحلم بالديمومة بما هو أكثر من الخلود ؟

قلت : ألا ترى أن هذا كله حلمٌ سيء وخيم العاقبة ؟

قلت : لا .

الملائكة الرخامية من وراء أسوار الجبّانات تحلّق معى فى الأفلاك العلوية صلبة وبيضاء ، بأجنحتها المبسوطة الثابتة ووجوهها الجميلة ، كأنها تبتسم لى أنا وحدى .

وعندما أنحرف فى الطريق الواسع الخالى إلى اليسار فليس ذلك ، على نحو ما ، بإرادتى . الشارع مظلم ، ومرتفعات الشلالات إلى جانب بأشجارها العجوز القوية فى الليل ، وإلى جانب آخر ، جدران مخازن فورد العالية أحجارها رمادية وضخمة تقطعها النوافذ الكبيرة المغلقة بزجاج شديد القتامة تلمع عليه من الخارج قضبان حديدية سوداء ، وليس فيها نور . ولا تنتهى . الأبواب الحديدية الهائلة عليها أضلاع المتاريس المتقاطعة ، وتحت الجدران صفٌ واحد متلاحق من سيارات الأوتوبيس الزرقاء منتفخة البطن ، سطوحها مقوسة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وداكنة فى العتمة التى تتكاثف وكأننى أحس لها قواما وجسما .

رائحة المطاط القديم فى عجلات الأوتوبيسات المرصوصة تختلط بنفث التراب السخن من الشلالات والخضرة الجافة وعبق الزهور اليابسة الحمراء التى تفتتت وغطت بُقَعاً واسعة

تحت الأشجار المحترقة من الشمس طول النهار . وأنفاس البحر الليلية تأتى إلىّ من فوق المدافن الشاسعة المزدحمة بالموتى ، وأعرف أنه ليس لى مَوْتَى فيها بعد .

كنا ذاهبين إلى حمام الشاطبى ، وكان اليوم الأربعاء هو يوم الستات .

مشينا على الجسر الخشبى الممدود على أعمدة حديدية نال منها الصدأ مغروزة فى كتلٍ من الحجر والأسمنت مدفونة فى الرمل . أحسست الجسر يتأرجح تحتنا وأنا أرفع وجهى ، وجسم أمى فى فستانها السمنّى الناعم الطويل يقتطع نسيج السماء الزرقاء فوقى .

هبطنا السلم الزلّج الذى ينزل إلى الماء وأرى درجاته الحديدية مَغْوُوجة وسوداء تحت سطح الموج ، أُمسك بالدابزين بشدة . كانت أرضية الكازينو فوقنا الآن ، ونحن تحتها فى الماء ، وقاع البحر قريب . وقفتُ على آخر درجة من السلم . وابتلّ المايوه الصوف الأحمر الذى اشتملته فى خالتى سارة ، ووصل الماء إلى ما فوق وسطى بقليل فأحسست رقرقته الباردة الهادئة حولى .

كانت الأعمدة الخشبية السميكة التى تحيط بها ، من جانب واحد ، دعاماتٌ مسطّحة من الحديد ، ترفع أرضية الكازينو والحمّامات والجسر ، الماء يصطفق بينهما بكسل ، وحبالٌ سميكة ممدودة بين الأعمدة متراخية قليلاً تهتز لا يطولها البحر ، والطحلب ، طرياً لامعَ الخضرة ، يغطى الأجزاء المغمورة من أعمدة الخشب القديم ويصعد قليلاً فوق الماء يَرُشّه الزَبَد القليل ثم يجفّ بسرعة . الأمواج فى هذا المحبس المائى تحت الكازينو كثيفة بخضرتها الداكنة ولها رائحة عطنة قليلا من أعشاب البحر وطُحلبه ، كرائحة الكابينة . والضوء بارد له إشعاعات تنعكس وتهتز وتتموج من تحت ، على السقف الخشبى فوقنا ، ورأيت نور الشمس بعنفوانه وسطوته ينزل ، بعد آخر الكازينو ، على البحر المفتوح الفسيح المتقلب الذى تأتى أمواجه بسرعة بَزَبدها ورغوتها وكتلتها المائية الصلبة فترتطم بأُولى الأعمدة الخشبية ، ثم تنسال إلينا بعدها ، وقد انكسرت شِرتّها ، معتمة هادئة .

لم يكن بالبحر حولى غير السيدات ينزلن على السلم ويشهقن من صدمة الماء ويقفن قليلا يمسكن بالحبال القوية بين الأعمدة ، ثم يتحركن مشياً إلى البحر يتهادين بحرص ، ثم يرمين بأجسامهن فى الغمار الطلقة المضطربة ويسبحن إلى عالم لا أعرف كيف أقترب منه .

كان الإنجليز قد انسحبوا من ثكنات مصطفى باشا تركوا فيها قوة رمزية وكانت أعمدة الدخان قد توقفت عن الصعود من القنصلية البريطانية المبنية كالقلعة على ربوة عالية بازاء محطة الرمل قبل المستشفى الأميرى .

ومع ذلك فقد كانت بنات ال A. T. S. يتخطّرن على الكورنيش الخالى فى قمصانهن البيضاء الناصعة والكرافتات الصغيرة الأنيقة والجيبات الكحلى المحبوكة على الأرداف الرشيقة ، ينزلن الدرجات القلائل إلى الشط الرملىّ النظيف الخاوى وإلى الكباين المخصصة لهن فقط فى شاطىء مصطفى باشا يحرسها البكيت المسلح ، يمنعون حتى اقترابنا من السور الحديدى الذى نصبت عليه أسلاك شائكة متقاطعة . البكيت بالبيريه الأحمر وعلى ذراعه الشريط الأحمر المكتوب عليه بالأبيض M. P. يلوّح لنا بمدفعه الصغير ، بصفاقة وبرود ، دون أن يقول شيئا ونحن نلمح الأجسام البيضاء المشوقة الشامخة البنيان والمايوهات الداكنة المصروفة ـ تعيين ـ من مخازن الجيش أو البحرية أو الطيران ، تلمع فى شمس ظهر الاسكندرية الشتوى وهن يغبن فى البحر المضطرب دائما بالزبد والموج المتقلب فى هذه البقعة بالذات .

فى الأيام التى ظننت فيها أننى شاعر ، كنت فى أصباح الشتاء النقية يوم الجمعة ، أنزل وحدى إلى خليج ستانلى ، كانت عيناى تحتفلان بعساليج النبات على الجدار المنبسط الناعم ، تحمل إلىّ رسالة رومانتيكية ، مهتزة الأطراف ، من جمال الكون ، تعذب قلبى وتعزيه معا . أنزل على سيف الرمل وشط الصخر أشارف حافة الموج ويرشنى رذاذه وأنا أغوص فى تهاويم دوامات الماء الصغيرة وتخابيله فى أغوار ضحلة بين نُقر الصخور ونتوءات الحجر حيث السماء مُصَغَّرة متموجة محبوسة ورقراقة فى وهدات مسطحة قريبة القيعان ، أو أرقب نَهْك البحر مرتمياً مستنفدا على الرمل بَزبده المرغّى ووشيشه العنيد مرة بعد مرة بلا انتهاء . وأفكر بغموض فى أن هذه كلها أبدية وأنها كانت هنا قبل أن أراها بدهور سحيقة وستظل هنا بعد أن أذهب بدهور سحيقة . ألم أكن شاعرا ؟

كان سور الكورنيش على اليمين ونحن نتجه إلى كامب شيزار عاليا جدا ، وتحته الكباين الخالية المتنوعة الأشكال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والتصميمات لكل منها خيالاته المجسّمة على هيئة مقاصير وأبراج من خشب ومظلات من حصير ونوافذ من زجاج ملون سميك . المربع منها والمستطيل . المسطح القريب من الأرض والعالي تطلع إليه بسلمتين أو ثلاث . وكانت كلها مهجورة وخشبها باهت وحائل من شمس الصيف . ومخرّم كالدانتيللا أو مصمت . وجدرانه مخططة بشقوق راسية رقيقة .

كنت أنحني على الرمل . وجمعت لها من قرب الشطّ كومةً من الصدف الأبيض الناصع والأحمر المُموَّج الصُهْبة والقواقع الصغيرة الكاملة التكوين . ما زال حيوانها الهلامّي حيا في كنّها العميق . متحيرا . ينبض

هبّ الهواء . قوياً من البحر وجاء من الأفق . بسرعة . سحاب قاتم واربدّت السماء وادلهمّت فجأة وخفق ضوء البرق واستطار . مرة واحدة . في نور الغروب . واشتد عصف الهواء . جلجل الرعد وقصف بعنف فوق رأسينا مباشرة كأن العالم ينقضّ . وقبل أن نتحرك انهلّ مطر كثيف ضخم القطر أغرقنا في لحظة . وأحسست الرمل تحت قدميّ داكنا ومتماسكا فقد هشاشته . وابتلّ شعرها الوحف كله دفعة واحدة ومنقط خصلاً غامقة لامعة على جبينها المدوّر وعلى ظهرها . والتصقت البلوزة الموسلين البيضاء بصدرها وتغير هبوب الريح فسمعت للنسيج صوتا طريا يمتلىء بالهواء من أمام وهو يلتصق بظهرها .

جرينا . دون أن نتكلم . كأنما على اتفاق . إلى أول كابينة . وكانت شرفتها الخشبية مغطاة عريضة . وأحسست الكفّ الجاف مطلوبا ومرغوبا بينما وابل المطر يدق السقف الخشبي دقات متقاطرة مليئة . والهواء يهز الحصير من على جانبي الشرفة وقد طلعت له رائحة ابتلال البيوض القديم الحادة الريفية . وسمعت حفيف تموّج الحصير تحت هبات الريح المتتابعة .

نظرنا إلى أحدنا الآخر . وفجأة . دون كلمة . انفجرنا معا بالضحك .

والبحر جثة يلقيها الغسق . تحت أقدام المدينة

الاسم يسقط مني . برغمي بين يدي الموت . فهل سمعت أبدا صوتك المجيبي ؟

وهل رأيتُ أبداً . على سقفي . نجمة الوجد الواجدة

ولكنها جاءت

الشيء الذي لا يُصدق ولا يُعقل حدث

جاءت في الميعاد . بل قبل الميعاد قليلاً فيما يبدو . لأنني وجدتها . هادئة الطير . في ردهة كازينو الشاطبي الدائرية التي كانت جديدة وفسيحة وخاوية ودافئة قليلا في بعد ظُهْريّة أكتوبر . وزجاج الردهة المقفل يدور حولنا . كل لوحة معتّمة قليلا بالزرقة الباهتة . تعكس بحراً خاصا لها . معووجا قليلا . تلعب أمواج الزرقة المدهونة بأمواجه الصغيرة وتؤطره بين جانبي الستارة القماشية المربوطة بكل نافذة على حدة . بحار كثيرة شائهة ومحبوسة

كان العالم في فجره الأول . خاويا ليس فيه أحد . والهواء النقي . صحراويا وصحوا . فيه بلولة البحر وجفاف خاص في الوقت نفسه

كان الوقت ظهرا وهادئا . كامل السكون .

الصمت ليس صلبا . صمت ناعم . كل شيء كان ناعما . وصافيا

كنت قد عدت إلى هذا العالم الذي لا ينقضي أبدا . وأنا مع ذلك غريب فيه أعرف أنني لست هناك .

وأمي تمسك بيدي ونحن ننزل من القطار إلى المحطة في أبو قير . وحدنا . لم يكن في القطار . ولا في المحطة . غيرنا .

أرصفة المحطة مرتفعة . قائمة مباشرة على الرمل الأصفر النظيف . وأرضيتها سوداء لامعة البلاط .

مبنى المحطة . بمدخله الرطب الظليل المفتوح على الرمال من الجانب الآخر . وسقفه المثلث المكسو بطوب القرميد الأحمر . وشباك التذاكر الوحيد المكتوب عليه بالعربية والإنجليزية . ومن وراء قضبانه الحديدية وجه ناظر المحطة . جامد في العتمة . يبدو كأنه مبنى مسحور

الخرطوم الأسود الضخم . معلقا بفوهته الحديدية المضلعة من الصهريج . متين العضل . جلده الخارجي مندى وحار . يتدفق منه سَيْل متماسك القوام من الماء . يضرب الرصيف ثم يسقط مندفعا كأنه شيء صلب . ويتقلب ويهضب ويُزبد برغوة شفافة وثقيلة وبيضاء . يهبط إلى الفراغ المستطيل بين الرصيفين العاليين . ويسيل على الفلنكات الخشب وبين القضبان الحديدية الممتدة . بثقة . إلى المصدات الحديدية الشريرة الشكل

نزل السائق من القاطرة القوية المدورة البطن . كاملة السواد . وعليها كتابة ذهبية اللون . وما زالت تنفث هبات كثيفة من البخار الأبيض في نور الظهر . انحنى بكل جسمه . وأدار . بجهد . عجلة ضخمة أفقية على الصنبور الكبير المنتصب على الرصيف . فانقطع انصباب الماء وتحول إلى سلسال رفيع يتقطع ويتصل . ويتقطر من على جانبي الرصيف إلى الرمال الخشنة التي تتشربه . بسرعة وعطش . تحت الحصى والزلط وتراب الفحم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان الرجل صامتا وهو يعمل ، وكان الماء صامتا ، والمحطة صامتة . لا صوت هناك ولا أحد .

كانت ترتفع من مرآة البحر الرصاصية اللون صخرةٌ ناتئة عريضة رأيتها مكسوّةً بأكملها بالنوارس ، كأنما حطّتْ عليها سحابةٌ كثيفة مبطّنة بالريش الأبيض ، ساكنةٌ عليها ، متشبثة بها . النوارس متجاورةٌ متزاحمة الجسم المَطْويُّ يلتصق بالجسم المطويّ ، وقد أحنت رؤوسَها وأدخلت مناقيرها الطويلة في صدورها ، محدّبة الظهور ، أجنحتها مطبقة إلى جانبها ، وكانت كلّها تبدو جافّة ، مكسورة .

والوان البحر قد أخذت تتخطط ، أمام عيني ، بنفسجيّة وزرقاء وبيضاء فضية مشعّة تحت سحاب أبيض تختفي الشمس وراءه ، وتضيئه باحمرار سائلٍ مُشاع ، وهدوء البحر عميق ، صفحته مبسوطة لاً تكاد تترجرج ، ووشوشة الموج الذي يترقرق ، على مهل ، ناعمة ، أسمع صوت الصمت المُطبق،وتُنمنمه ، فجأة ، زقزقةُ العصافير التي تتواثب على الرمل الطري ، وتنقر العشبَ اللزج والوَدَع والصَدَف الحيَّ بمناقيرها الصغيرة السريعة . ومن بعيد صدى نداء يتردد على الكورنيش .. حسّونة .. لا يكاد يسمَع ، وعلى آخر المدى أرى عاشقَيْن غامضيْن على الرمال العذراء . في هذا الفجر ؟ أي هُيام لا يُقاوَم ؟ أية رغبة مبهمة وخرساء ، مُطلقة ، تدفعهما يمشيان على هذا الشط الموحش المبلول ؟

عند التقاء الرمل بالموج خطٌ الطحلب الأخضر الذي يَبْيَضُّ حينما ينحسر عنه الماء ، غضٌ ويابس على التوالي ، بلا توقف . قلت لنفسي : أبديّ ، دائم ، أمام فنائنا وانتهائنا .

الشاطىء طويل هش مشدود ، مُلقىً بين الفراغ والملء ، خصرٌ هضيم ضامر مسحوب ، قابل للانكسار في أية لحظة ، في أية بقعة ، لا بؤرة له يتكثّف وراءها ويحميها بنطاقٍ وراء نطاقٍ من الحواجز الواقية ، خطٌ متموّج يقع على حرف هوّة لا قرار لها ، متلاطمة ، وخادعة عندما تهدأ لأنها دائما مُهددّة بالعصْف وضاربةٌ بجبال الماء ، سِحرُها جذاب لا يُقاوَم ، وجمالها لا يمكن أبدا الإحاطة به ولا الانتهاء من تَمَلّي مفاتنه ، قوية الأذرع ممدودة إليّ تدعوني دعاءً لا أعرف كيف أصده ، دعاءً في الاستجابة له وقوعُ القضاء الذي لا مردّ منه . على هذه الحافة الهشة القِلقة ، بين الحياة والعدم ، وطني الذي لا أعرف كيف أستقر إليه .

كنا في أواخر سبتمبر ، وشمس بعد الظهر تصنع على صفحة البحر ، تحتي ، ملايين النقط اللامعة التي تبرق وتختفي وتُعشي عيني ، وزرقة الماء تحتها عميقة وداكنة وكثيفة الشفافية في الوقت نفسه ، فأمد بصري من نافذة الكازينو العالية المفتوحة إلى الأفق الغامض في اتصاله بخط السماء المهتز بالضوء ، عندما رأيتها .

كانت تسبح تحت النافذة ، بالمايوه الأزرق الفاتح ، محبوكاً عليها ، لامعاً تحت سيولة الموج الخفيف الذي يترقرق عليه وينحسر في حركتها الناعمة ، ذراعاها لا تكادان تصنعان رغوة في انزلاقها المنساب على الماء . وعرفتها . رانا التي كنت نسيت كل شيء عنها .

جسمها فاتح السمرة وغضّ ولما يكد يكتنز بأنوثته التي تتفتح وتزدهر ، في أول امتلائها الباكر ، ولكنها أصغر سناً بكثير ، فتاة بعد ، ولها رشاقة سمكة في الماء .

خفق قلبي ، وتوقف . من هي ؟ هل هي أختٌ لها ، صغيرة ، لم أرها من قبل ؟ كنت موقنا أنها هي ، هي . أم هي الأخرى التي سوف أعشقها ، وأفقدها . تعلّقت عيناي بها ، مسحورا وغائبا ، وعندما انقلبت على ظهرها ، تطفو فوق الماء ، رأيت وجهها المدوّر الخمري ، مغمض العينين تحت الشمس ، طافيا إليّ ، وكان شعرها الخشن الوحف قصيراً حول رأسها ، مبلولاً وداكن السواد ، أعرف حرافة عبقه المُسكر ، وخداها الأسيلان يومضان في استدارة رخيمة كاملة تحت الماء ، وهي تبتعد ، ساقاها ، في بضاضتهما المخروطة العَبْلة ، لا تكادان تتحركان ، وذراعاها تضربان الماء بحركة خلفية منتظمة إيقاعها هادىء ، وهي تبتعد . وعرفت أنني سأحبها . في آخر العمر ، حباً كأنه الموت ، وأن قلبي هو ساحة بحرها اللجّي الجياش أبداً بأمواج لا هدوء لها .

أرى الولد ، صغير الجسم ، ساقاه رفيعتان في الشورت الأبيض الواسع ، وقميصه مفتوح . عيناه كأنما فيهما نظرة متأملة ، مبكرة كثيرا عن سنه ، وهو يقف في أول الصبح على حافة البحر الموحش ، عند المندرة .

أمامه صفحة ساكنة وشاسعة ، مشعّة ولا تكاد تترقرق ، دسامةٌ بيضاء في الضوء الذي يكاد يكون شتويا ، تنتهي برغوة شفافة تغوص في الرمل بوشيش خفيض ، متكرر .

وأُحِسُ ، عبر السنين الطويلة ، بالنداوة اللينة تحت قدميه الحافيتين ، والهواء المبلول على وجهه .

وأجد أن الشوق ، مثل نزوع الموج ، يرتمي على الشطّ ممدود اليدين ، بلا تحقُّق مثل اندفاع الماء ، مُستَنْفَداً بعد رحلة طويلة على ثَبَج العُمر ، ينكص محسوراً أبدا إلى عرض اليمّ العميق ، ولا يفتأ يعلو وينحسر ، حلمه يأتي ويعود ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يهدأ إلى راحة ، وكأنه لم يترك خط النهاية المتعرّج ، لحظةً واحدة .

فى تلك الساعة لم يكن هناك غيره على الشاطىء الواسع .

كنت أحس نفسى وحيداً جدا ، وهواء البحر يأتى على وجهى حاراً ثم رطباً على التعاقب ، مرة بعد مرة ، ومحملاً برائحة الماء الملحية ، وأضاءت أعمدة النور على الكورنيش ، معاً مرة واحدة ، بقعاً مستديرة بصفرة وهاجة إزاء نسيج السماء الداكن الزرقة الذى ما زال فى طرفه احتراق الغروب ، يسودّ بالتدريج ، ونور المصابيح المهتز يقع على أسفلت الكورنيش وعلى ظهور السيارات اللامعة التى تمرق بصمت وسرعة ، متباعدة وقليلة ، لتختفى فى انعطاف الطريق ، عند الكازينو البعيد .

وأمام الكابينة مباشرة التفتُّ فجأة فرأيت جسمها يدور تحت عجلات السيارة ، أمامى ، ناعما ولدنا بدون مقاومة ، فستانها يطير ويتقلب تحت السيارة ، والذراعان تهتزان ، والجسم يلتف مع العجلات ، مرة ومرتين .

أحسست العجلات المسرعة تطأ عظامى نفسها ،

وسمعتُ صرخة ثاقبة فى سكون الغروب .

كنا فى ليلة فى أول الصيف ، العالم قد خلا فجأة ، أصبح مجوَّفا . صفارات الإنذار تعول إعوالا موحشا ، وسمعت الكلاب تنبح ، بصوت مرتفع ، فى السكون ، والظلام الذى سقط .

نزلنا السلالم مسرعين ، من بيتنا ، فى حارة الجلّنار ، إلى راغب باشا . كنت أمسك بيد أختى هناء من ناحية ، وأختى لويزة من ناحية أخرى ، وكانت أمى تحمل أخى البير الصغير ، وأبى قد لبس البالطو على جلابيته البيتى البيضاء ، ومعه أختى عايدة ، صامتة وخجلة قليلاً من أنها كبرت الآن ولم تعد طفلة . وعبرنا شارع راغب باشا ، وكان معنا جماعات صغيرة من الناس يتحدثون بهمس ، ودخلنا من ميدان صغير فى تقاطع شارع إيزيس وشارع صغير لا أعرف اسمه ، ودخلنا من الفناء الصغير إلى باب الكنيسة الانجيلية المبنيّة بالحجر الأحمر ، ووقفتُ بالباب بينما نزل أبى وأمى وأخواتى إلى البدروم المتين الصلب الشكل .

كنا نعرف أن باب سِدرة قد ضرب أمس ، بطوربيد ، ونشرت الأهرام والمصرى والبلاغ خبراً واحداً وبنصّ واحدٍ معا ، أنه انهار بيتان كانا آيلين للسقوط وأنه لم تحدث خسائر فى الأرواح وأصيب ثلاثة أشخاص إصابات طفيفة . وكنا نعرف أن العمود ، صباح ذلك اليوم ، قد غصّ بالجنازات المتتالية وأن الكنيسة فى جبّانة الشاطبى أيضا قد ظلت أجراسُها تدق طول الصباح وأن العديد واللطمْ والشلشلة قد فاض من بين البيوت والأنقاض وأن صلاة الموتى والغائبين قد أقيمت فى جامع سيدى المرسى أبى العباس وفى الكنيسة المرقسية فى وقتٍ واحد معا . وقال أبى إنه فى طريقه لشغله رأى فتحة واسعة غائرة ظَهر الماء فى قاعها على دَوَران البياضة ، ورأى من خلال كوردون عساكر الجيش المُرابط ، الحيطان المتهدمة والأنقاض والأحجار المتراكبة ، وإنه رأى بينها سراير حديدية متلوية ومحروقة معلقاً بها جلاليب وفساتين كأن أصحابها قد خلعوها الآن فقط .

كانت السماء فوقى قد أصبحت شاسعة ومخيفة ، تحمل الموتَ فى بطنها ، الموتَ محدداً وضارباً وثقيلاً ونهائيا . وكان نور القمر قاسياً فى سطوعه الفسيح . وانطلقت أسنّة الأشعة الكاشفة سيوفا طويلة متحركة من النور القاطع ، آتية من أطراف المدينة ومن وسطها معا ، تدور فى الزرقة الصافية الحريرية ، تتقاطع وتتجاذب وتتفارق وتتلاقى أطرافها لحظة وتتركز فى نقطة واحدة وهاجة ثم تنْشعب ، تجوس فى البطنِ الفسيحة المغلقة عليها ، تبحث عن بؤرةٍ مُراوغة بينما طلقات الآك الآك الرفيعة الثاقبة المتعاقبة تطقطق دون توقف ثم تنفجر فى ورود حمراء معدنية تتناثر شظاياها على الفور وتنطفىء ، وهدير محرك الطائرة بعيدٌ وعالٍ ولكنه مسموع بين انبثاقات الطلقات من المدافع المضادة للطائرات ، فى الصمت الذى يجعل المدينة أكثر شفافية واتساعا ، من الأنفوشى إلى المندرة والمنتزه ، ومن الرَّمْل والبان والنخيل فى غيط العنب إلى اللبّان ورأس التين وأنسطاسى ، من جليمو نوبولو وزيزينيا إلى ستانلى والنزهة والورديان ، من حجر النواتيّة إلى كوم الناضورة ، من سيدى جابر وسيدى بشر وباكوس إلى سموحة والمكس ، ومن محطة مصر والرصافة إلى مصطفى باشا عَوْداً إلى عزبة الصيادين ، كانت حَبَّات اسكندرية عارية مطروحة ، تغطيها فقط اسنَّةٌ من شبكة الأشعة التى تطعن السماء .

كان العربجى يسابق ترام محرم بك وهو يقرقع بالكرباج فوق ظهر الحصان الذى له لون الكونياك الفاتح الذى يشربه أبى ، وكانت عجلات العربة تقرقع على قضبان الترام التى تومض فى الشمس .

ودخلت العربة إلى شارع الرصّافة ، وكانت الأشجار ظليلة فى الصبح والشمس تهتزّ من بين أوراقها التى لها رقرقةٌ سريعةُ الموج وجافة فى الهواء الرطب ثم حوَّدَتْ العربة الى شارع جانبى ترابى ولكنه واسع ، وفيه خرابات مسورة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالحجر الأبيض الكبير المكسر الضلوع وفى الحجر خطوط متعرجة داكنة اللون ، وفيه بيوت كالسرايات لها أسوار حديدية تتهدل عليها أغصان كثيفة وتهب منها رائحة الياسمين البلدى العبقة ورائحة الأرض المبلولة .

كنت فى الوقت الذى أحفظ فيه الشعر الجاهلىّ وأقرأ القرآن وأترجم روايةً مغامراتٍ اسمها « السهم الأسود » ، وأحبُ الفتاة الارستقراطية ذات الروب الحريرى الأزرق التى تطل من الشرفة ، أمام بيتنا فى محرم بك ، ثم تدخل مباشرة فى اتجاه الحديقة المسورة التى ترتفع من وراء الفيللا بأشجار النخيل والمانجو والموز ، أذهبُ للمدرسة العباسية الثانوية ـ كنت فى السنة الثانية ـ عن طريق تخريمة فى قلب محرم بك .

يرتفع بى الشارع الرملى الحجرى المدكوك النظيف وأنفذ من ثقب فى سور ضخم قديم من الحجر الأنترى الذى اصفرّ واربدت سطوحه الخشنة ، فاذا بى فى سفح ربوة رملية صلبة الأرض قليلة الارتفاع ، ورائحة الغنم والجمال وروثها وصوفها وجلدها تغمرنى كلها ، وخيام الشعر المغبرّة الداكنة أرى وبَرهَا ممزقاً ومرتوقاً بقطَعٍ من الجلد الجديد مرةً ومراراً عند خط المِزّقة نفسها ، وأطنةٌ ومظلمةَ الداخل ، متناثرةً على الربوة بين بضع نخلات نحيلة وسامقة الارتفاع . تُغاء الماعز دخان الكوانين يرتفع .

وعندما أخرج فى السابعة والربع تماماً ، حاملا كتبى وكراريسى فان الحركة فى مخيَّم البدو تكون قد هدأت ، فقد خرجت البنات وراء معيزهن التى ترعى على نفايات ورق الصحف وورق الشجر وخِرَق القماش القديمة فى شوارع محرم بك الهادئة ، وكنت أجد نفسى فجأة فى نَجْد ، أو تُهامة ، أو الحجاز ، وأنا على ناقة امرىء القيس ، مع البنت البدوية القصيرة الملفوفة . بثوبها المخطّط ، وأنفها مخزوم بحلق ذهبى مشرشر الحافة ، عصابةٌ حمراء عريضة تخفى شعرَها إلا من ضفيرتين مجدولتين بقماش ملون يبدو غير نظيف تمام النظافة ، ولكن العينين السوداوين تلمعان بوجْدٍ فى وجهها الخمرى المسحوب تحت نقاب نصفى سميك يخفى فمها فلم أر شفتيها قط ، ولا عرفت ابتسامتها . كانت تنظر إلىَّ ، وكنت أحبها جدا ، وأسميها ليلى الأَخْيليّة ، وأنا أمر ببطء تحت حافة الربوة .

تنزل برشاقة ، ردفاها المضمومان يتحركان بموسيقية لدنه تحت الحزام الأحمر العريض النازل على أسفل بطنها ، أنسَى البيوت القليلة المنخفضة التى تحيط بالمخيم من بعيد وأنسى الرائحة الحادة وخوار الجمل الشيخ الذى يهدر فجأة أجشَّ ومحبوساً فى حَلْقِه وأنسى دخان الكوانين الذى ينفذ إلى أنفى ولا أعود أحس الا بالمحُبين العُذريين وأعرف جميلَ بثينة وكثيِّر عزة والمجنون يقطنون هذا القلب الذى كان ـ وما زال ، على كهولته ـ شَيقاً وتواقاً وفياضاً بالحب والحلم .

وأخرج من الساحة الترابية المغبرة تحت الربوة كأننى أخرج من عالم سحرى رثّ ومختلط التاريخ ، طريق ضيق وعر ومتحدر ، وأجد نفسى مرة أخرى فى الشارع العريض المسفلت الذى فيه عيادة الليدى كرومر ، الإنجليزية التى كانت أمى تأخذنى إليها وأنا صغير جدا لأمس عينى ،

فى عشية عيد القيامة القبطى ذهبت إلى مسرح الجلوب فى تقاطع شارع السلطان حسين وشارع صفية زغلول . كان صديقى جورج قد قال لى إنه سيكون هناك على الساعة التاسعة ، كان الزجاج السميك الدائرى الذى يحيط بالقاعة الفسيحة مندًى ببخار الأنفاس من زحمة العساكر والضباط من كل صنف وجنس ، ورائحة البيرة تختلط بزعيق الموسيقى الصاخبة حقا ، والبيتْ الخشبى مكتظا بالعسكريين يراقصون الفتيات السمراوات الجعدات والشقراوات وبنات البلد النحيلات والممتلئات بزُواقهن الفاقع والانجليزيات من بنات ال A. T. S. الصافيات البشرة كأنهن أبيات شِعْر مصفًى ترفرف فى ضجيج الخمرة والقذارة والعرق والاحتفال الشرس بانتظار الموت الوشيك فى صحراء العلمين وطبرق وبير حكيم ، وكان وجه سيلفانا الطويل بشعره المفروش كجناحى مروحة بنيّة الخصل يطفو فوق الغمر . وكان العساكر يخرجون الى الحوش رأيتهم وأنا داخل يتقيأون ويتبولون دون تورع تحت العراء ويعودون متساندين على بعضهم على بعض أو حتى على نسائهم اللاتى ينتظرن غير بعيد ويصرخن لمرأى الرجال يبولون أو يقذفون ما فى أجوافهم ، بأصوات ثاقبة من السكر وانطلاق العربدة الحسية فى الأوصال الجافة الجائعة .

رأيت أننى أسير إلى كومة الدكة ، وفى الطريق ذهبت إلى الجنينة الواسعة التى تقع على المحمودية والتى كنت أشترى منها ، الآن وأنا صغير ، الخسّ والجرجير والبصل الأخضر والكرّات والملوخية والكرفس والبقدونس والخبيزى والفجل والسَلْق للقلقاس ، وفى كل مرة أسير إليها متمهلاً ، متأملا ، أمرّ بسياجٍ خشبىٍ عالٍ فيه ثغرات طولية بين ألواح الخشب ، أضع عليها عينى ولا أكاد أرى وراءه أسرار هذا المبنى الغامض البعيد الشاحب البياض ، وله أعمدة .

ورأيت أننى صعدت إلى أعلى تلّة كوم الدكة القديمة ، وقد جلا عنها الجنود الإنجليز سراً فى الليل ، ولأول مرة منذ وعيت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يكن اليونيون جاك يرفرف على ذورة التلة ، وكنت أعرف مع ذلك بغموض أن كوم الدكة القديمة قد أزيل وحلت محله ساحةٌ مسفلتة ومبانٍ حكومية ، وأننا كنا ننطلق فى جماهيرنا الغفيرة ، منذ الصباح الباكر ، نرتفع على طرقات كوم الدكة الخالية التى كانت مُحرَّمة علينا وقد أصبحت فى هذا الصبح حلالا ، جماعات جماعات ، أصوات هتافاتنا مبحوحة فى الهواء النقى : الجلاء الجلاء يسقط الاستعمار يسقط الاستغلال ، وكانت عنابر الجنود الإنجليز خاوية على عروشها ، ولم يتحرك الجيش المرابط لاحتلالها بعد ، ودخلناها ورنّت اصداء أحذيتنا فى فراغ حيطانها ، وكان بلاط أرضها متربا قليلاً وعليه قصاصات ورق ممزقة قليلة وبقايا القش ، وكأنّ اليوم عيد ، وجماعات المتظاهرين كأنهم يرقصون رقصات جماعية ، يشورون ويهتفون وينشدون من الفرح .

وكانت الأشجار القصيرة المشذبة على جانبى الممرات الترابية كأنها رؤوس خضراء مشعثة مطموسة العيون فى الجدائل الخشبية الغليظة المورقة بدغلات من الأغصان كثيفة جعدة مُنذرة ومهدِّدة وشرسة ، وعندما طوّفنا بكل انحاء القلعة المهجورة الموحشة ، ونزلنا ، وجدنا جنود بلوك النظام صفوفاً متراصة تحت سفح كوم الدكة ، وفى أيديهم دروعهم الخشبية الخضراء القاتمة ، على رؤوسهم خوذات حديدية صدئة ، رُكَبهم مدورة سوداء بارزة تحت الشورتات الكاكى الطويلة ، وشرائط الألْشين تلتف بسيقانهم النحيلة حتى تغيب تحت الأحذية الميرى الضخمة المتربة بجلدها الخشن المقبب ، وانتظمت الجموع بقيادة صديقى عبد القادر نصر الله الذى كان ما زال فى كلية الطب بينما كنت قد تخرجت سنَتَها من كلية الهندسة ، وكان قد انضم إلى جماعتنا الثورية الصغيرة ، ورأيت على جانبى شارع النبى دانيال جثث الأطفال المرمية هامدة ، حمراء لها قشرة لامعة ، كأنها جنبرى مسلوق ضخم ، أيديها وأرجلها ثُلاثية الأصابع مبتورة ومتورمة ومدوّرة وحول رؤوسها غلاف صَدَفى شفاف تحدّق من وراء زجاجه عيونُها المفتوحة المتّهمة ، وكانت المظاهرة تشق طريقها ، مع ذلك ، بحرص ، بين صفّى الجثث الطفلية تحاذر أن تمسها ، وعندما وصلنا إلى واجهةٍ كأنها بوابة فندق مُنيفٍ ، ناطحة سحاب ، ألواحها زجاجية مدخّنة شاسعة ، تقطعها أعمدة الألمونيوم المصقولة ، هجم جنود بلوك النظام فجأة دون إنذار ، وسمعنا فى الوقت نفسه فرقعات الرصاص فى الهواء كأنها غير جديّة لا تحمل خطرا ، آتيةً من نوافذ البناية الزجاجية الشاهقة ، ورأيت الناس يسقطون بصمت ، مضروبين بالرصاص ، وتمر عليهم الأقدام المتلاحقة ، والناس قد انطلقت تجرى فى كل اتجاه ، وكانت موجة الناس تصعد وتهبط ، ورأيت الأجسام التى أمسكت بها النار تُلقى من النوافذ العالية ، وتتقلب فى الهواء ، وتسقط بعيداً فى البحر ، وكانت الرؤوس تطفو فوق الأمواج مفتوحة الأفواه بصرخةٍ لن تصمت أبدا ، ورأيت وجهها الذى أحبه ، ويرودنى فى حلم مستمر ، يسبح فى مياه حبى التى لا تغيض ، ساطعاً بسمرته الخمرية وسط زَبَد الرؤوس المتلاطم من غير صوت ، وأحسست الطعنة فى قلبى من عينيها الواسعتين بموجها المخْضَرِّ الثبج ، وسقطْت فى الغمر ، ولما أفقت كانت الطعنة ما زالت تغوص فى عمقى الذى ينصهر ويتقد ويفيض حُمما كالبحار الوحشية الجَمُوح تنسكب متوهجة تئنّ باللظى وتُغرق جسمى فى ضرام اللهب ، وأحسست أجنحة الحمام المشتعل بوهيجِ النار ترفرف حولى وتصعد بى ، فى زُرقة السماء الصحو الناعمة محترقاً من غير انتهاء .

اخذت ترام الورديان ، وكانت عربة الترام تتأرجح قليلا فى اندفاعها وكان شارع السبع بنات خالياً تقريبا فى حر الظهر ، ورطوبة البحر تأتى إلىَّ من نافذة الترام المفتوحة ، ونزلت بعد كركون اللبان بمحطتين ، وكان الشارع مرصوفا باحجار البازلت السوداء المحدبة قليلاً وعلى جانبه مخازن الخشب والقطن العالية الحيطان ، والورش الصغيرة ، ومخازن الخيش والحبال ، وعربات الكارو الطويلة واقفة تحت الجدران المصمتة الخشنة القوية الحجر ، وكانت رائحة الفحم ونفايات البحر ، خفيفةً وجافةً قليلا . تأتى من ناحية الميناء تحملها بُلولة الهواء .

ولمحت البار فى منعطف داخل شارع جانبى ، اللافتة الخشبية على بابه ما زالت حروفها الانجليزية بطاطس وسمك مقروءة وإن كانت مطموسة تحت بقع مضطربة بالطلاء الأسود الذى لطَّخها به الطلبة الوطنيون بلا شك ، وقد أقلع جنود الحرب الذين كانوا يملأون هذه النواحى بعربدة اليأس والقهر والموت .

كنت قد نزلت من الترام ، وكنت أصعد على صقّالة خشبية بها حزوزٌ بارزة أُثبت بها قدمّى ، الى المركب الصغيرة المربوطة بالرصيف ، تتأرجح قليلا على المياه المخضرة الثقيلة القوام التى تطفو عليها ، وسط زَبَد أبيض كرغوة الصابون غير النظيفة ، عُكارة ، وأوراق خضراوات ذابلة ، وقطع خشب عليها بقع زفت سوداء ، حول جنزير الهلب الساقط فى العمق الداكن ، تبرق على موجه نقطٌ حادة من شمس بعد الظهر ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكانت المركب خالية تماما ، فجأة ، وأنا أجرى فى ممرات تفتح على ممرات مفتوحة وفيها نوافذ زجاجية مدورة أرى منها امواج البحر الزرقاء العالية وجوانب البواخر الشاهقة ومداخنها العريضة وابراجها الثابتة ، وما زلت أجرى وأجد امامى سلالم خشبية عالية تصعد إلى ما لا نهاية ، لا أصل إلى سطح المركب أبداً ، وكانت جدران المركب الداخلية بلون بنى فاتح جدا يكاد يكون اصفر ، ولامعة مصقولة تومض ، وانا أجرى بلا وزن ، على السلالم التى تصعد معى بلا نهاية ، واسأل نفسى ، من غير دهشة ، إلى اين تنتهى السلالم فى هذه المركب الصغيرة التى كنت اظن اننى سأقطعها ، طولاً وعرضا ، فى دقائق ، ولا أنهج ولا أحس ثقلا ولا ضعفا .

وانا أجرى الآن فى ممر طويل ، على سطح المركب ، خشبه مبلول داكن اللون من الماء الذى تشرّبه وينفث رائحةً ملح البحر ، وصرخات النوارس تحوم حولى ثاقبة وجائعة ، تصعد وتحوم وتهبط على الموج الراكد حول خشب المركب الواقفة ، وانا أطل عليها فجأة من حاجز حديدى طويل .

وتنقض علىّ نورسٌ سوداء ، صدرها صلب ومدور ومكتنز ، وفى منقارها الطويل الجارح رائحة أعشاب البحر الحادة ، وهى تنظر إلىّ بعينين حانيتين فيهما حُكْم علىّ بالقتل .

كان البحر فسيحا . مراكب الصيد الصغيرة بأشرعتها الضيقة تهتز على الموج الذى يكاد يكون صافيا ، وداكن الزرقة . رأيت الصيادين بالصديرى واللباس الاسكندرانى الأسود الواسع الطيات ، يبسطون شباكهم وينفضونها من السردين فيتتابع ويصطدم ويرتطم بخبطات طرية دسمة ويسقط على الكومة الفضية التى ترتعد ما زالت بالحياة ، فى قاع المركب ، وينحنى الصيادون ويلقون بالسمكات الصغار الى البحر ، والأولاد بأجسامهم المحروقة يسبحون حول المراكب ، منهم العراة تماما ومنهم من اكتفى باللباس العبك المتهدل الذى يكاد ينزلق من على وسطه ، يغوصون ، برؤوسهم أولاً ، ويخرجون على الفور وفى أيديهم السمكات التى تضطرب وتتملص وتتلوى وتنزلق ، فيرمونها فى أكياس مرتّجلة من الخيش الغامق المبلول يشرّ منها الماء كلما خرجوا يشقون سطح البحر . والنوارس الرمادية الضخمة الاجنحة تنقضّ فجأة من عل وتخطف صيدها من المراكب ، ومن أيدى الأولاد ، صدورهم المخسوفة يلمع جلدها مشدوداً على العظام النائة ، ترتفع وتنخفض باستمرار ، وتحلّق النوارس ظافرة ، صاعدة فى خط مستقيم ، وهى تنعق مهدِّدة ، غاضبة او خائفة .

أخذت ترام المكس المفتوح من الجانبين ، وكان الم الحب ، والغيرة ، والامتهان ، يعتصرنى وله رائحة المدابغ النفاذة العطنة التى خنقتنى . ولم اكن واثقاً أنها سوف تأتى . كنت قد تيقنت الآن أنها لن تأتى . أقف ، غير مدرك تماما ماذا يقع لى ، تحت سور القلعة القديم بأحجاره الكبيرة الرمادية ، يرتفع الى يسارى شناهقاً يحجز انهياراً دائم الحدوث ، وكأننى لا أرى البّياعين والصّيادين جالسين القرفصاء أمام مشنات ومغالق وقفف تفيض بالسردين والبورى والمياس والجمبرى والكابوريا ، وأحاذر أن أدوس على أجسام السمكات الصغار المنفيّة ، مهروسة على الرصيف ، مسطحة ، انبعجت من ابيضها بروزاتٌ مُدمّاة باهتة عند البطن والراس المدعوك المسوّى بالأرض .

كان كل شىء يبدو معادياً ، وقريبا جدا منى ، كازينو زفير بخشبه الأخضر الداكن وزجاجه المغبّش يلوح لى غير بعيد . كشك مزلقان السكة الحديد وعليه بالخط الثلث الكبير ، ثابت ثابت وشركاه نترات الشيلى الطبيعى . كانت هذه الكلمات تجعلنى أحلم باستمرار منذ أن كنت أجىء مع خالى ناثان الى الكازينو ، ونأكل السمك بالليمون والبصل والبهارات فى وَرَقةٍ دسمة طالعة سخنة من الفرن ، من البيت ذى الشرفات العربية المتمنعة الذى تعرّفته ، حائلاً وشكله مهجور ولكنه هو ، بعد ذلك بأربعين سنة . فندق سى جَلْ ـ لم يكن عندئذ مَطْعماً مزخرف الاناقة ـ مَبْنى مُصمَت الجدران رملىّ اللون مغلقاً على أسراره المشبوهة .

كانت رائحة البحر والسمك النيء الطازج تتغلغل فى الحوارى الموحلة قليلا ، مياه المطر من نَوْة الأمس ما زالت تترقرق تحت هبات الهواء الملح ، وتنتهى إلى الأرصفة البازلت .

كنت أمشى بسرعة بين البيوت المبتلة القليلة الارتفاع أحاذر أن أنظر ، بشكل صريح ، الى المداخل المعتمة قليلا المليئة بالنسوان ، منهمكاتٍ فى الطبيخ امام مواقد الجاز التى تفحّ وتنير العَتَمة بنورٍ أصفر ثابت الاتقاد ، او متربعاتٍ امام الطشوت المعدنية يغسّلن ويدعكن هدوم الرجال والعيال ، او محنيات الرؤوس عاكفاتٍ على تنقية الرُزّ فى الصوانى النحاسية فى نور النهار على عتبات البيوت ، وهن يرضعن أطفالهن تركن لهم أثداءهن بحركةِ نسيانٍ لهم وللعالم كله ، وكنت أحس عيونهن مفتوحة علىّ صاحيةً لى فى الوقت نفسه ، متسائلة .

عند صهاريج البترول الكبيرة والشعلة المتقدة المتطايرة

التى لا تنطفىء رأيت على سيف البحر صفاً من العساكر الأفريكان الشداد يقفون وظهورهم لنا ، ينظرون فى اتجاه البحر ، شاكى السلاح ، مشدودين ، وكانت البارجة الانجليزية شاهقة بيضاء راسخة فى البحر ومشرعة مدافعها نحو مركب حربية صغيرة رأيت عليها حروفا باليونانية والعلم الأحمر يرفرف من بعيد ، كأنما باستماتة ، على صاريها ، ورأيت صفاً من العساكر بخوذاتهم واقنعتهم الزجاجية التى لا ينفذ منها الرصاص ، مدججين ، يسدون الشوارع الضيقة التى ذرعها الانبياء والشعراء والحالمون ، فى القدس ورام الله والناصرة وبيت لحم والخليل ، يقذفون الاطفال بالرشاشات السريعة الطلقات والقنابل المسيلة للدموع ، يحيطون بالنصب الدائرى الجرانيتى الذى يلمع بالليل فى قلب ميدان التحرير ويضربون الاولاد والبنات بالهراوات ، ويسوقون الأسرى الى عربات السكك الحديدية المغلقة الخانقة والى الخنادق الموحلة المثلجة فى وارسو وسيبيريا وغرف الغاز فى داخاو ، ويجرّون وراء عمال الغزل والنسيج فى المحلة وكفر الدوار وكرموز وطلبة الحقوق والطب وسائر العلوم على ربوة العباسية فى محرم بك دباباتهم الصفراء الصغيرة عارفة بنواياها ، ويضربون بالرصاص من البنادق الطويلة القديمة الطراز فيسقط المئات فى الساحة الفسيحة أمام قصر الشتاء ، وتصفر سياراتهم السوداء المسدودة أمام السوربون ، ويَجُرّون بمقاودهم الجلدية الكلاب المدرّبة الشراسة فتنهش سيقان السود فى جوهانسبرج أو المسيسيبى على السواء . وسوف أعرف بعدها بسنوات ، أن الانجليز قتلوا مئات من البحارة الثائرين الذين انضموا الى جيش التحرير فى اليونان ، وأسروا الباقين ، حتى انكسرت الثورة بعد الحرب .

وما زالت أذرع شوارع غيط العنب ، كما كنت أعرفها وأنا فى مدرسة النيل الابتدائية ، واسعة ، نظيفة ، مستقيمة ، أرضها من الحجر المدكوك الملتصق به تراب رملى جاف ، والشجر على الارصفة أمام البيوت المنخفضة ، وفيها رائحة الملأحة الرطبة تأتى من وراء سور السكة الحديد .

شارع الترامواى وحده كان مكسوّاً بالأسفلت الاسود الصقيل تشقه قضبان الترام اللامعة الجديدة ، وكنا نسير ، أنا وأمى ، أمام مطعم الفول الذى كنا نسميه التركى ، وكان فسيحا ومبلطا ببلاط أبيض وأسود ، وبابه ذى المصراعين الزجاجين اللذين يُبرقان ، عريضاً جدا ، ووراءه مباشرة بجانب المنصة الرخامية الطويلة ، قدرة الفول النحاسية الهائلة . وكان يعلّق صورة الملك فؤاد جامد الوجه ببدلة التشريفة والشارب والنياشين ، وبجانبها صورة الملكة نازلى وعلى شعرها المرفوع فى شكل هالة صلبة مرتفعة تاجٌ نصفىّ صغير ، وعلى الجدران الأخرى صور تلمع من تحت إطاراتها الزجاجية ، فيها سبع يرفع سيفا ، وأبونا آدم وأمنا حواء ، مطرودين من الجنة عاريين إلا من ورقة التوت ، والحيّة ملفوفة بنظام هندسى حول الشجرة ، والخليل ابراهيم يرفع سكينا ليذبح ابنه اسحاق بينما الخروف واقف والملاك نازل من السماء ، وألوانها زرقاء وخضراء يانعة وخطوطها رفيعة مسطحة .

فى أول السنة كنت لابداً فى السرير متدثراً بلحاف وبطانيتين ، وكنت قد استقللت بغرفتى فى شقة شارع ابن زهر . وكأنّ البيجاما الكستور الثقيلة التى ارتديها تحت الأغطية غير موجودة ، وكان الفحم شحيحا فكان وابور الجاز يئز فى الغرفة وعليه كسرولة ماء يصعد منها البخار والدفء والباب موارب قليلا جدا خشية الاختناق ، وأنا أقرأ ، وأنا تحت اللحاف ، دليل المرأة الذكية الى الاشتراكية بشغف كأنه رواية بوليسية ، وسمعت صفّارات البواخر التى تصل إلىّ من الميناء الغربية حتى راغب باشا عبر سكون المدينة فى الليل ، تتجاوب ويرد بعضها على بعض . كان جيراننا الأروام والطلاينة واليهود والقليل من أهل البلد يقذفون ، مرة واحدة ، بالزجاجات الفارغة والقلل الفخار والأطباق الصينى المشروخة والأصص القديمة ، على الأسفلت ، فى تتابع بهيج ، سوف يصبح الصباح فنجد الشارع الواسع مغطى بحطام العام القديم . وكانت نوّة عيد الميلاد قد هبت منذ ٣ أيام فى ٢٣ كيهك ، والهواء يعصف والأمطار نازلة كأنها مُلاءات من المياه تقرقع وتصطفق بالشبابيك الموصدة ثم ترتخى وتعود ترتطم بالبيوت من جديد ومنذ أيام قلائل ، قبل الكريسماس بيومين ، كنت قد نزلت فى أول الليل إلى الشاطىء الذى يتسع عند الشاطبى وتصطدم الأمواج عنده ، إلى اليسار ، بأحجار سور السلسلة السوداء وتعود فى صخبٍ مُزْبِدٍ مدوٍّ داكن الزرقة . كانت النوارس تزعق فجأة ، تنقض وتعلو .

وقلت : أوقوفٌ ، بلا رحمة ولا دموع ، على ما باد من طَلَلٍ ، واندثر ؟

فماذا يُجدى ؟ وبم يُقام ؟

وقلت : وهل من مُعَوَّلٍ ـ بالعكس ـ إلا على الرُسوم الدَوَارِس ؟

العطف والحزن الربّانى الشفيق الذى يملأ علىّ شوارع طفولتى وهواجسها وآمالها فى غيط العنب ، أين هى الآن منى ؟ وهل أستطيع أبدا أن أبتعث من جديد هذه الجَنّات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الواعدة البعيدة مفتوحة الأبواب عن كرماتها وموصدة فى وجهى إلى أبد الآبدين ؟ وهذه الأشجار المثقلة برمان اللبن العسل والمرّ ، والخمر الصهباء التى يشعشعها لى أبى بماء حنوّه ومحبته ويسقينى ، وأنا طفل غرير ؟ فوانيس الغاز المضلعة الزجاج متقدة أشعلها لنا عفريت الليل بعصاه الطويلة التى يطقطق شَرَرُها ، ثم مضى فى مملكة ليله التى لا نعرف لها حدودا . من أين جاء ؟ وإلى أين يمضى ويترك لنا حبّات النور ، فاكهته المهتزة الغضة على شوارعنا الناعمة الغامضة التراب ، أين هى ؟ والبيت الخفيض جنب بيتنا ، من دورين فقط ، مقفل دائما وغريب ولكننا نعرف انه معمور . نحس الحركة الحيية فيه ولا نرى سكانه أبدا ، نوافذه لا تنفتح ولا يبوح بأسراره قط . دائما مكنون على بحيراته الشاسعة الخفية الساكنة الماء وعلى أهل مملكته البنات الطيور اللاتى يأتين مرة واحدة كل عام ويخلعن ريشهن فإذا هن الحور الخود لا مثيل لجمالهن فى الأرضين . أين ذهبت البنات ؟

قوة حضور الذِكَر تنقض القلب .

القاهرة : إدوار الخراط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سيـــدة وحيـــدة

عبـد الحكـيم قاسـم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحلت حتى بدت كأنها مرسومة على مُلاءة السرير . الرسم بالشحوب ، إلا من رفة أسيانـه عميقة السـواد فى عينيها ، والشوق فى ارتجاف باهت على الشفتين والظلال هنا وهناك ، ثم تقتم حتى تصل إلى الدكنة ، تتنهد ، تصرّف امتلاء القلب فى أنفاس .

تسمع صوت الرجلين فى مستراحهما ، وقـد دثّرت لهمـا الحشايا وزينت الغرفة بالنور ومدّت حلو الطعام وما يروّق من شراب يزدهيان الآن بالنعمة وينتشيان ، ويبدو على كل منهما كل لون . تصفو الأصوات وتعلو ، تحملها إليها ضحكاتهما مترقرقة متوثبة من قلب ابتهاجهما .

آه لو يدوم مجلسهما أبدا والودّ ! إن ذلك يحمل أملا . لكنه وشيـك التصرّم .. اضطـرب الرسم بـالشحوب عـلى ملاءة السرير من تندّى العينين بالدموع .

وكان لهما فى بداية كل مساء شأن ، يضطربان بالبدء ، يطيران فوقه ، يريدان أن يتجاوزاهُ إلى المتعة ، يجريـان فى البيت وهى معهما فى أول المساء ويصدهم باب ، الحيطـان شفّت عن الأصوات وعن روائح الطبيخ . مباهية بما طبخت تضحك . يخطفان الأشياء والخزائن مفتوحة والسلال يملآن الأطباق حتى يصير الكمال سمة المائدة ، والكمال هو دائما سمة « زينة » سيدة الدار مباهية بما ارتدت وبالزواق يجلس ثلاثتهم ، ثلاثة وجوه تبرق الفرحة فى العيون وفى لؤلؤ الثنايا ولون الشفاة ، ويتشرب الاسمرار برائق السرور . الرجلان ، تحبهما رجلها والرجل .

فى ذلك المساء أسرعت إلى هنا ، طارت إلى مخدعها هاهنا ، خفّت بما يُعمر الجسد من ظنون فرحة . خلعت عنها ثيابها مشت إلى الصـوان محلّقة هـل يختار هجس المسـاء ثـوب المساء ؟ ويحسن الاختيار ؟ ظهر جسمها فى المرآة سرّت بما رأت . ظلت تتأمل ، تميل وتنثنى وتتأوّد ، وسعادتها تـرسم الصور فى المرآة . حتى رأته ــ الرجل ــ كأنمـا نادتـه لها الأشواق ، أشواقها المبهمة المستحيلة ، أشواق سحيقـة .. وجاءها .

فى نسيانها اغمضت عينيها . فى ظنها أسلمته كيانها ، ينفطر عن دفق الرغبة لحظات قصار دامت فى الفكر طويلا فتحت عينيها لتجد وجه الرجل غارقا فى الذهول يعذبه النكوص وهى على هذه الحال ، وهو لم يفعل . أفاقت ، رفعت يديها لتذود عينيه عنها . الرجل استدار وخرج . مضى.تركها تستر نفسها بالثياب ، تحكمها على نفسها وتتأمل الصورة فى المرآة مشت إلى مستراحهما فى الغرفة القصية . تسأل نفسها ، أيكتم الثوب الأسرار ؟ إنهما الرجلان ، وأحدهما يعرفها بالزواج ، والآخر بما رآه خلسة وعلى ذات فجأة ، تقضى معهما المساء المكرس للمتعة .

أيظن زوجها بها الظنون ؟ أيأمل صديقها منها شيئا ؟ المساء صاخب بالضحك والزياط ، وتحت الضجّة تضرب الأحاديث المهموسة حتى لا تدركها الآذان ولا الأفهام أحاديث تحدس الوهم وتجسّد منه الحقائق . يثقلها رجم الشكوك حتى تكاد تختنق ، استعفت وقامت إلى مخدعها ، جاءت إلى هنا واستلقت حيث هى الآن راقدة . الشحوب ممدّد ، أسبلت جفنيها . وسحّت من العينين قطرات دمع .

جاءها الرجل فى عملها . لما رأته غشّاه عليها . غشاء من رقيق العبارات ، إنه هو الذى يعرفها . فرحت به ، وخافت منه ، ورحّبت به . لكن وجهه غارق فى الذهول ، يعذبه النكوص رفعت يديها لتذود عينيه عنها ، لكنها رجعت رصّنت ، لزمت الأدب الرجل فى ضيافتها فى عملها قدّام زملائها . حادثها مجاملا وهى أحسنت الرّد.ثم قام وخرج ، مضى وتركها تألم لفراقه ، والعذاب فى الأحشاء .

وفى المساء ــ بعد مسائهما ــ جاء رجلها إلى هنا لكى ينام ، تنصت لتردد أنفاسه ، تنصت للأحاديث التى تجرى من تحت صمتهما فى فراشهما ، هويتّهم وهى تدفع عن نفسها غيلة الشكوك ، والصمت عميق . إذن عبرت المسافة التى تفصل بين جسديهما التصقت به . مدت يدها العارية إليه ، أراحت كفها ــ رقيقا وسيما ــ على صدره يتحسّسه ، يغرق فى كثيف الشعر ــ خشناً ــ تتموج يدها بين الخصل والدفء . وهو برفق وقعت يده ــ كبيرة محيطة ــ على يدها ــ قبضت عليها ، رفعتها ، أبعدتها . من ثم تكونت المسافة بين جسديهما ، وكان أن رقد الرجل بينها وبين رجلها . الشحوب مستلق أرقا على ملاءة السرير ، تتحسس الخيال الراقد جنبها تحسّ دفئه ، يعذبها وجهه الحافل بالتردد ، ترقّ له وتبكى .

جاءها الرجل فى يوم عطلتها وهى وحيدة فى بيتها مشغولة بالترتيب والزينة وقد تخفّفت تتندى الأعضاء بآثار من العرق ، تسرب النسائم تجفف وتنعش ، تريد أن تحلق ، تطير على طرف قدميها فيسمُق الحسن فى القوام . لكنه طرق الباب ، وهى فتحت له وهى هكذا متخفّفه . قال لها : أحبك .. ! وعيناه طائرتان تائهتان استراحت فى حضوره المتّسم بالغياب . قالت له حالة كأنما تحدث نفسها : إننى مملوكة بالزواج .. ! قال لها : إننى أملكك بالحب .. ! وعلى وجهه صفرة ، همس : تعالى إلىّ .. وجاوبته لا أستطيع .. ! قال لها : لقد رأيت شوقك فى المرآة .. ! تعذبت بالرحمة له ، قالت : لا .. ياسيدى .. ! قام استدار لها وكلمها ، تحنثين فى عهدك للحب .. وهكذا للزوج .. ! ارتسم شموخه من ظهره فى قلبها وهى تسمع : إننى قادم فى هذا المساء ، وكل مساء .. كأنما لم تكونى أبدا .. !

وفى المساء ــ بعد مسائهما ــ يرجع رجلها إلى هنا لكى ينام . وجهه بسّام على وسادته مزده بالمتع . كم ضحكا ولعبا فى سهرهما . ويأتى إلى سريره يغرق فى النوم ، نوم غير مؤرق بالأحاديث والظنون ، وتبقى هى يقظانه . سيدة وحيدة . الرجلان ، آه لو يدوم مجلسهما أبدا .. ! إن ذلك يحمل أملا .. ! أى أمل ؟ فى أى شىء تقلّبت على الملاءة ، التم الرسم على ذاته ، وستر ليل شعرها تفاصيل ملامحها .

القاهرة : عبد الحكيم قاسم

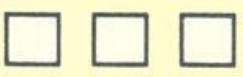

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البحـــر الـــرمـــادى

أحمـد الشـيخ

كان يسمينى مجنون البحر واسميه القرصان كنا نتلاقى كل صباح عند رصيف الميناء ، نتضاحك او نتشاتم او نتسابق لنزول البحر ، نطفىء فيه الأشواق المخبوءة فى الاعماق املا فى ان تسكن بملامسه الماء كان يلازمنى فى كل الأوقات ، ويشاركنى السُرحَات ، كأنه كان ظلى او كنتُ ظله لعلّنا كنّا فى ذلك الزمان البعيد اشبهُ بتوأمين ، غامت فى الذاكرة تفاصيل الاحداث ، لكنى أتذكّر كيف تبارينا فى نسج الأحلام وتحذير أهل المدينة من مداومة القعود على واجهات المقاهى المطلة على البحر يتأملون الفراغ والأفق البعيد ويلعبون بالنرد او يتبادلون السباب كنا نرغب فى تبديل الأشياء ، تحريك الأشياء ، نتجادل فى الوان الأشياء ووسط عيون الخلق الودعاء كنا نبوح بالأسرار ، كان يخالفنى فى لون البحر ، أراه رماديا ويرانى مثلَ القطّ البرى مصابا بعمى الألوان .

• • •

بالأمس وقفت وحدى اتأملُ امواجَ البحرِ وهى ترتطمُ بكتلِ الصخر المرمية أسفل السور الحجرى ، تتكسّر حدّتُها ويصيبها وهَن قبل أن ترتطم بالسور ، تحمل الريحُ الحائرة ذرّات المياة المالحة رذاذا باردا له طراوة الندى فى شمس الظهيرة تصحو خلايا ذاكرتى الراكدة فأتذكر ما كنتُ اقوله محذرا من ذلك المصير المخبوء الذى أصابنا ، فرّقنا ، هو البحر الرمادى يفصلُ بيننا ، يخفيه زمنا ثم يعيده بعد أن يجدّده ، يصوغه من جديدٍ بحسب هواه بينما يخيفُنى ويتوعّدنى بأن اتحوّل إلى مجرد وجبةٍ فى بطون احط انواعِ الأسماك وأدناها . اتماسك رغم قلةِ الحيلة وأناديه كما كنت افعل فى الزمن القديم لأشهده على صدقِ روايتى آملا فى الحصول على اعترافه برمادية البحر ، لكن صدى صوتى يرتد ، ونظرات الخلق تعبرنى فى اهمال ، يتأكدُ لى أننى صرتُ بفعل الشائعات المحبوكةِ نكتة معادة للمرّة الألف رغم سماجتها ، او سرا مفضوحاً لكل خلقِ الله إلى حدّ السأم ، اتلفتُ حولى لأستعيدَ صاحبى القديم الذى دار فى فلك البحرِ الرمادى فلا اراه ، ارسمه فى خيالى وأناديه بكل ما تبقى لى من عزمٍ فلا يصْغَبُ عليه حالى أو اسمع همسيسهُ المألوف مفلوتا من هديرِ دوامات البحر رغم ثقتى بأنه هناك وقد تحول إلى قرصانٍ حقيقى خلافا لكل تصوراتى عنه فى الزمنِ الفائت . أخطو موليا لأمواجِ البحر ظهرى وقد عقدتُ العزمَ على خصامه ، أتعثّر فى ظِل خُطواتى واكاد ارتطمُ بسورِ المدينة ، ذلك الذى صرتُ أخشى عليه من تدبيرِ البحرِ واحتمالِ أن يكونَ قد جهز نفسه لتدميره واغتصاب المدينة .

سكنت غرفتى المعزولة أسفل البناية واعتزلتُ الناس ، هى ركنٌ فى قبو شحيح الضوءِ راكد الهواء ، فيها اقرا اكداس الكتب المصفوفة فوق رفوف الخشب العتيق ، اراجع الخرائط وأرسمُ فى فراغات الورق الأصفر اقمارا ، اصنعُ من

الأصداف والقواقع وقشور الأسماكِ وَجلودها المقددة نماذج لمدينةٍ سكنتها مَع صديقى القديم الذى علا نجمه بفعل الصدفةِ المدبَّرة ففاتنى وهجرَ القبوَ والذكريات المشتركة ، أمشى وحيدا فى طرقات المدينةِ وأسرحُ بخيالى ، أستعيدُ فى مسامعى تلك اللهجاتِ المهجورةِ وأحدِّث أرواحَ البشر الفانين عز الأشواق ، يتحرَّك الهواء الراكدُ من حولى وتَرِفُّ فى الذاكرةِ تواريخ المدن التى خرجتْ من دوائر الجمود وتألقت ، أقرأ شهادة مجنونِ البحر الأول ، استاذى وملاكى المعشوق الذى ما زلتُ اتمثَّلهُ وأترسمُ خطاه ، ومن وسطِ أكداس المخطوطات أخرجُ شهادته المكتوبة بخط اليد الدقيق ، أفردُها أمامى واسمِّع لنفس سطورها باطمئنانِ الحافظ :

فى البدء كانت مدينةٌ عطشانة وسط مساحاتٍ من الرمالِ الملونة ، وكان الكهنة ودهاقينُ السحرةِ يستدعونَ الأمطارَ بالأضاحى والتعاويذِ المدهشة ، لكنَ الجفافَ كان أقوى من مصادفات المطر ، وكان طفلٌ رضيع يكابدُ العطش ، وكانت انثى جفَّ فى ثديها اللَّبن فبكت لواهب الزرعِ سرَّ الحياةَ والبلح ، وكان نبعُ ماءٍ تفجَّر قربَ جذعِ نخلةٍ مائلة ، وكانت واحةٌ وناسٌ وقطعانُ إبل ، وكان عبدٌ صالح تطيعه الطيور والجبال والوحوش الضارية يعيشُ فى طرفِ المدينة فاستدعى للمدينة بحراً واستجاب البحر ، وكانت أولَ مرةٍ فى تاريخ الدنيا المسكونة التى يذهب فيها البحرُ للمدينة لكنهُ ذهب ، أزاحَ تلالَ الرمالِ التى تحيطُ المدينة وسكنَ حولها بإشارةٍ من عبدِ المدينة الصالح سكنَ البحرُ هادئاً عند حدِّ السور ، تحوَّلت المدينةُ الى جزيرة مثمرة فى وسطِ البحر ، سقاها البحرُ وروى زرعها فنما وترعرع ، وحماها البحرُ فعششت طيوره على فروعِ الشجر وكثُرَ الحليبُ فى ضروع المواشى وولدتِ النسوة واختفى الصهدُ وزال العطش ، وصارَ العبدُ الصالح سيدا للمدينة وحاكماً لبحرها المرهوب المطاوع ، حتى رحلَ العبد الصالحُ فتمرَّد البحرُ ولم يعرف حدودهُ ، صار بحرا رماديا والناسُ فى غفلة يتحدثونَ عن زوالِ زمانِ الجفافِ وطولِ العطش ، كانوا فى حالة زهو بمجىء البحر ، يبنون البيوت قربَ الشواطىء ويطلون بالفتحات والنوافذِ والأبواب ناحية البحر ، ومن البحر دخل المدينة أول قرصانٍ رمادى ليفتحها ويأمرُ الناسَ فيها باعلان فرحتهم وتزيين الشوارع ، ومشى فى موكبهِ وسط الناسِ الودعاءِ وسمَّاها مدينة الرَّماد ، وباشارة منه لوَّنوها لتصبحَ كل بناياتها فى لونِ الرَّماد ، ووسط حرَّاس قصره كان يجلسُ تيَّاها مزهوا بطاعة الخلقِ وحسنِ الأدب ، وتبغدد مجهولَ الأصل وأفتى انه فى الزمنِ الرَّمادى يكونُ للرَّماد وسطَ بحرِ الرَّمادِ حسنهُ الأخاذُ وسحرهُ المكنونُ ، ولم يعترض أحد .

كان الدم المسفوح يلوِّن الأرض بالأحمر القانى ، يتلوَّنُ الزرع الرمادى وشطَّ البحر الرَّمادى الذى غزتهُ سفنُ القراصنة ، قالوا : لا يفلتنا من حرب القرصانِ سوى قرصان ، وطلبوه ليطلع فما طلعَ من جدرانِ قصر البغددة ، لكنه ظهرَ من أصلابِ الرجالِ الودعاءِ ومن بين أفخاذِ النسوةِ الضارعاتِ قرصَانٌ من مواليدِ المدينة ، كانت تغلى فى عروقهِ قطراتُ الدم ، وتتوهَّج فى خلايا عقلهِ الحيل والأفكار . وامتزجَ الدمُ المدافع بالدم المحاصر واحمَّرت الأرض وكفَّت المدينةَ عن استخدامِ اللونِ الرَّمادى فى دهانِ البنايات ، ولأن القرصان الجديد حارب بقلبِ رجلٍ فرَّت البوارج وغاصت تطلبُ النجاة غوَّاصاتُ الغرباء ، والآخرُ لابد فى قصره القديم مشغولاً بصدور النساء حتى طلعوا إليه وأخرجوهُ مزقوه بأظافرهم وأسنانهم ورفعوا راية العصيان فركب المحارب الجرىء موجةَ الزِّحامِ وصار على رأسها فيها فارسا يسعى لإعادة الأشياء إلى أصولها الأولى ، أبيض أو أسود ، رجلٌ أبيضُ القلب وآخرَ أسوده ، كتابٌ أبيض وكتابٌ أسود ، خبزٌ أبيض وآخر أسود ، رغيفُ الصغار أبيض غير رغيف أسود ، زمنٌ أبيضَ تملك فيه المدينةُ حق الحلم والتَّمنى بعد زمان أسودٌ عتَّمت فيه الأركان بالوعود المكذوبة المكررة ، حتى الكذب قسمناه أبيضَ وأسود ، ومن جديد انشغل الناس بتلوين المدينة لتصبح مدينة بيضاء تطل على بحر أبيض أو هكذا بدا لنا ، ولم ننس لونَ الدَّم المسفوح فرسمناه نقطة حمراء على شكل وردةٍ فى طرف المساحة البيضاء لكتب الأطفال ورايةُ المدينة عشنا زمنَ الألوانِ الصريحة حتى بدا لنا أن عنبَ البنات صار أحمرَ تماما مثل ثمارِ البرتقالِ وحبَّات البطاطس ، تهنا فى غيبوبة الدراويش من أثر القرعِ المتواصلِ لطبولِ الحرس ، واختلطَ علينا أمرهُ فما عُدنا نميِّزُ فى حضرته بين الانكسار والصعود أو حتى الهدم والبناء ، صار لنا وبنا قدراً أبديا ، باشارةٍ منه تذبحُ بناتنا العذارى فى عيد وفاءِ بحرهِ الأبيضِ الذى ملكناه له باختيارنا ، ونسقى أرضهُ السوداء بالدم لتزدادَ سوادا وقد حارزها بصكوكِ غفلةٍ موثقةٍ ناهباً كل حقوق الورثة من أشقاء وإخوةٍ لأمٍ أو أبٍ وقراباتٍ أخرى من كل الدرجات ، وصار هو وحده مالكاً للفراغ ومانحاً لحق التنفس ، وفرسانُ المدينة ، بإشارة منهُ أو بغير اشارة يسفحون ويقتلونَ ويسلُبون اللقمة من أفواهِ الفقراء وأفواهِ الأطفال .

● ● ●

صار يعايرنى بالفقر وأسميه الدَّجال ، وصاحبى القديم بارعٌ فى التناسى أو يدَّعى النسيان ، لكن الذاكرة حديد ،

كانت أمه تجلس عند مدخل الحارة وتنادى بصوتها المبحوح :

ـــ الوراور يافجل .

كنا نشترى منها بالرغيف المخبوز وكوز الذرةِ الناشف ومكيال الحنطة ولا نبخل عليها بالبيضةِ الصابحة ثمنا لحزمات الفجل والجرجير وفحل البصل التلاوى وصدغ اللُّفت وقد جلبها هو محمولة على كتفه من غيطان الزمام ، كنا نناديه بلا موارية ابن نميسة وكان يشاركنا سكة المدرسة ذهابا وإيابا ، ورغم اتساخ ثيابه كنا نحبه ونتنافس على الجلوس جواره ، كان صاحبى بارعا فى الحساب ، يجمع ويقسم ويضربُ دون الاستعانة بالورق كما نفعل ، حتى الكسور وكسور الكسور لم يخطىء فى حسابها ، وربما بسبب ذلك أشاعَ عنه مدرسُ الحساب المغلول أنه يفعل ذلك لأنه يمسك حسابات أمه نميسة وكلها ملاليم وخروان وسحاتيت ، كنا نتعاطف مع صاحبنا ونسخر من مدرسِ الحسابِ الذى يحاول إبعادنا عن ابن ند يسه لأنه فقير .

لكنَّ الزمانَ دار ودارتِ الأيام وتبادلنا أخباره فى مصادفات عابرة :

ـــ ابن نميسة نجح فى الاعدادية .

ـــ ابن نميسة دخل الجيش .

ـــ ابن نميسة خرج من الجيش

ـــ ابن نميسة دخل برج سعده

ـــ تزوج أجنبية وصار يرطن بالافرنجى

ـــ تاجر فى الجملة والقطاعى وركب الحنطور .

كان يتاجر فى الممنوع ولا ندرى ، ويوزعُ المبيداتِ البشرية المستوردة وقد الصقَ عليها اعلانات تؤكدُ فعاليتها فى القضاء على الحشرات والجراثيم المدمِّرة ، كان يبيع السلاح لا فساد طباع البشر ويسرِّبُ الأموالَ عبرَ البحرِ الرمادى ويرشو حراسَ الشواطىء لمساعدة أنصاره من قراصين الزمن ، لكن السر المستور انكشف ، وابتاعَ لنَفسه يختاً ودار فى أركانِ العالم متأنقا بالمالِ والثياب الفاخرة ، وتحدثنا فى أمره زمنا ، وخفنا من زمان يجىء يجفُ فيه الزرع والضرع ويزحف فيه الجوع ، فأخرجناه من حدودنا وأبطلنا تراخيصه بالنزول إلى الشواطىء وقتما يشاء وتابعنا أخباره حتى أشاعوا أنه تجنس وصار من طواغيت البحار البعيدة وأنه حليفٌ للبحرِ الرمادى يتربَّصُ عند حدود أرضنا ويزهو بتجارة الذهب .

● ● ●

كان القرصانُ يرتدى عباءةَ التركىِّ وثياب الشيخِ الحافى وأربطةَ العنق المجلوبة والزعابيط الرمادية ، كنا نغرقُ فى أمواجِ الأبيضِ والأسودِ والأحمر ويسمحُ لنفسه بالرماديات ، بل انه أشاعَ أن لونَ الرماد نعمة ، ولأن اللون الرمادى كان هناك ما يزال قابعاً تحت الألوان وفى مناطق النشعِ والسترات المصبوغةِ وعلى سطوح الأرضِ المخلوطة ، فقد طابَ للبعضِ أن يتحدث مثله عن روعة الرمادى وخلودهِ ، أن يَطلىَ واجهة دارهِ بلونِ الرمادِ القديم ، وتنافرت الألوان ، والنسوةُ يتبرعن بالمصاغَ وكشوف الأسماءِ تُعلَنُ على الجدران التى تبعث اليها شمس المدينة أشعة رمادية ويشحُ فى الأرضِ البريق / ويخفت صوت الأمواجِ / وتتكاثر الشائعات / على ألسنةِ الأعوان ، يقولون إنه يرتِّب نفسه لترك المدينةِ سأما أو شبعاً أو خجلاً ، ثم يشاعُ أنه مريض بداء عجيب لا برء منه ولا شفاء ، يقولون إنه لفظَ آخر أنفاسه وهو يُوحى بإحكامِ الحراسةِ عند الشاطىء الغربى / أو الشرقى ، ويتردَّدُ على السنةِ الأتقياءِ أنه طارَ بنعشه / وحطَّ فى صحراء جافة طاهرة / وأظهر للمشيعين عشراتِ الكرامات وتجرَّعنا خدعة العزاء الرسمى ولطم الخدودِ على قرصانٍ حىٍّ يرنق ببذخ وما زال فى مكمنهِ يتسمَّعُ مع الأعوانِ كلَّ همسة ويرقبُ كل خُطوةٍ نخطوها نحو قبره المزعوم ، يتضاحكون هناك من غباوةِ الرجالِ وحرقةِ الأحزانِ فى صدورِ النساء ، والكلُّ يسعى فى هوسِ الحزنِ المصنوعِ يردِّدون الدعواتِ للراحلِ العزيز وأنا أصرخُ فيهم محذرا من خرابِ بيوتهم وفسادِ أخلاق أولادهم ولا يصدِّقون ، والفارسُ القديم ينعمُ بأصوات الجموعِ تطلب له فى حياته المغفرةَ والرحمةَ وحسنَ المآل .

● ● ●

كان ينازلنى عند الشاطىء «باط» يفوزُ ولا أنهزم ، وكنت رغم الكبواتِ المتكررة لا أعترفُ بالهزيمة ، يتلهف على اعتراف منى باكتمالِ نصره فاردِّدُ أنه ما زالَ فى العمر بقية واحتمال لا نتصارى عليه وأنه يلزمُ أن يفنينى أو أفنيه . ليكون النصرُ لمن يتبقى فينا ، كان يعرف وأعرفُ ويعرفون أن الدنيا لا تدوم لحى ، تماما مثل أمواجِ البحر ، تبدو صخَّابة فوَّارة فى البدءِ ثم تصادفُ فى رحلتها ما يجبرها على الاتزانِ أو الوهن ، ربما تصلُ الى الشاطىءِ بقوةِ الدفعِ الذاتى ، لكنه هناك فوق رماله يحدثُ الذوبان ثم الانطماس ، جرَّبتُ مرارا أن أتأمل موجةً بعيدة ، قلتُ أتابعها ، وأرصدُ حركتها بامعان ودقة ، أطبعُ صورة فى ذاكرتى / معزولة عن كل ما يحيطها / حتى تصلَ إلى الشاطىء ، وتوهَّمتُ / أننى لو أفلحتُ فى تثبيتها فى الذاكرةِ / قبل أن تتكسر أو تتبدَّد / أكونُ قد أبقيتها ولو فى شكلِ صورةٍ أستدعيها فتطاوعنى ، وفكرت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أننى لو درَّبتُ نفسى على فرزِ ذرَّات المياه ومتابعة ما يتناثرُ منها أو يدخل دوامات الأعماقِ فإننى بذلك أكون قد افلحتُ فى التعرّف على مصائر أجزاء تلك الموجةِ الفانية فينتفى فى تلك الحالة فناؤها فى دواماتِ وأعماقِ أو سطح البحر ، لكنها كانت مجرَّد محاولةٍ فاشلة ، ربما لأننى لا أملكُ البصرَ الحديدَ الأكيد ، ربما لأن سطحَ البحرِ براحٌ ممتدُ بلا حدود وأعماقهُ غويطة تسكنها الوحوشُ والأحراش ، وربما تأكدتُ بعد تكرارِ تلك المحاولات من أنَّ الفناء حادثٌ مهما حاولتُ أو حاولَ هو ، وأنه وإن بدا للصديق القديمِ الذى غيَّرت المصادفاتُ مصيرُه أنه يخدعُنى فهوَ المخدوع ، فقلت لنفسى : أشاركُ باختيارى فى الخدعةِ الشائعة وأذهبُ إلى قبره الذى شيدوهُ فى الفراغ ، تمثلتُ وجهه القديم الذى أحببتهُ ووجهَ الولدِ الآخر الذى تاجر فى الممنوع ولم أستطع أن أكتُم الضِحكة وسطَ زحمة الخلق الآتين لتأدية واجب العزاء الزائف فتناثروا بالدهشةِ بعيدا عنى وأنا أبوح وبحرصٍ يتصنتون :

كانَ يسمينى مجنونُ البحر واسميهِ القرصانُ ، صار يعايرنى بالفقر وانا ديهِ الدجَّال ، كان يلاعبنى عندَ الشاطىءِ ، يفوزُ ولا أنهزم ، بينى وبينه البقاء والفناء ، يفنينى أو أفنيه ، يشهدُ علينا بحرهُ الرمادى وثوبُه الرمادى وزمنهُ الرمادى والذاكرةُ التى تُنكرُ إدعاءاتهم بموتِ الأحياء .

القاهرة : أحمد الشيخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة من أوراق الليل

محمد كمال محمد

فى فم الزقاق المظلم كانت ملامح البيوت مبهمة لعينيها .. دخل بها أحدها منسرقا .. كان يشد ذراعها تحت إبطه ، يلصقه ، ضاغطا بضلوعه كأنما يقيدها .. صعدت معه سلم البيت .. أحسته متآكلا تحت قدميها .

كان الأمر مألوفا لديها ، لطول السنين .

فى الحجرة الدافئة نوعا ، خلعت معطفها وألقته على ظهر كرسى قديم داكن .

طوح هو الآخر بسترته فوق السرير الحديدى المهوش .. خطف قبله من خدها وخرج يتقافز ..

بحثت عيناها فى الحجرة فلم تجد مرآه .. فتحت حقيبة يدها وتطلعت فى مرآتها .. اتاها « وش » الموقد الذى انقطع وعاد يوش متواصلا بارتفاع أكثر .

شمت رائحة الزيت المقدوح فالتفتت ناحية الباب .. تيقظت نظرتها .. تقلصت ملامحها .. اقتربت من الباب .. كان واقفا أمام المقلاة فى المطبخ الضيق يكسر البيض مشمرا أكمام قميصه .. وسمعت النشيش عندما القى البيض فى الزيت ..

تراجعت داخل الحجرة وتطلعت حواليها .. بدأ ذهنها يتحسس المعالم .. لابد أنها الحجرة المجاورة التى رأت بابها عندما دخلت .. ذات السرير كان هناك منصوبا فى ركنها .. والدولاب المواجه له كان مكسور المرآة : فيها رأت وجهها : الأنف النازف دما .. والفم أيضا .. على السلالم توقفت قبل أن تنزل الشارع لتمسح الدم عن وجهها .. وكادت تسقط على الدرجات ذاتها المتآكلة التى صعدتها قبل لحظات ..

سحبت سيجارة من العلبة التى فوق المنضدة .. أشعلتها وابتلعت أنفاسها فى صدرها الفائر الآن بالأشياء .

دخل مندفعا يبتسم بصحن البيض وأرغفة الخبز :

— تدخنين ؟! .. أليس بعد ما نأكل ؟

— لست جوعانة .

حدقت فى وجهه الآن بإمعان .. جلس يأكل بشهية وعيناه تبتسمان .. امتصت سيجارتها بانفعال ..

— جئت بى هنا من سنوات ..

تباطأت يده المستطيلة باللقمة التى تقطر زيتا .. حملق فى وجهها .. ألقى فى فمه اللقمة ومضغها فى بطء :

— ربما !

سقطت نظرتها على الشعر الكثيف الذى يكسو ذراعيه :

— ضربتنى وطردتنى ..

ابتلع اللقمة ومسح فمه متمالكا :

— فى الحقيقة لا أذكر !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ كنت أطلب النقود .

ضاقت عيناه للحظة .. نهض مغلّفا ملامحه بابتسامة متمسحة .. فى سخرية قالت :

ـ أظنك تذكرت ؟

وضع يديه على كتفيها مسترضيا .. أزاحتهما ونهضت واقفة ..

ـ لو خمنت السبب ما غظبت كست المرارة ملامحها :

ـ مضحك أن توجد أسباب !

جلس وأشار بيده عاجزا :

ـ لم يكن معى نقود يومها ..

قذفت عقب السيجارة المشتعل فى ركن الحجرة :

ـ كنت محتاجة للنقود ..

نهض وعبر الحجرة متباطئا ، وأغلق مصراعى النافذة الكرتونية وعاد إلى مكانه .. استندت بكتفيها إلى النافذة متجهة إليه بنظراتها :

ـ أخذت ... وأعطيتنى المزيد من القسوة !

نظر فى لون عينيها المغطى بالمرارة .. سحب كرسيه بعيدا عن المنضدة . أشعل سيجارة ، وعيناه تتجهان نحوها .. جلس يجذب أنفاس الدخان فى صمت .

خلف ظهرها كان خرق واسع فى اللوح الكرتونى تملأ استدارته ظلام الزقاق كستار أسود ..

ـ سنوات .. وحياتك لم تتغير !

أطلقت ضحكة ساخرة :

ـ ما الذى ذكرك بهذا ؟

اقتربت من السرير وأمسكت بعموده الصدىء تطل عليه بنظرتها :

ـ وحالك ؟

حملق فى ابتسامتها المقهورة فى غياب .. دار لسانه بين شفتيه .. ابتسم وهمهم متهكما على نفسه :

ـ مازلت أقلى البيض بالزيت !

قبض على زجاجة الجلوكوز القديمة من عنقها القصير .. كرع الماء بصوت مرتفع .. وضعها من خلف ظهره على المنضدة ..

وقف فى مواجهتها .. نظرت إلى عينيه وأفلتت يدها عمود السرير مبتعدة . ألقى السيجارة من يده واقترب منها .. أمسك يدها فجذبتها متراجعة .

ـ تريدين مقدما !

أخرج من جيبه النقود وشدها إليه .. تملصت منه .. عانقها فانفلتت متلبدة الوجه ..

اختطفت معطفها وحقيبتها وجرت ناحية الباب .. انفتحت الحقيبة وسقطت منها المرآة ومشط مكسور .. لحق بها واختضنها من الخلف .. جرها إلى السرير وطوقها بقوة ...

قاومت .. التقطت ذراعه بأسنانها .. صرخ فى ألم .. ضرب رأسها .. غاصت أسنانها أكثر .. ظل يضرب متوجعا ..

تركت ذراعه بقضمة تملأ فمها .. ارتمى على الكرسى متعبا يحتضن ذراعه .. بصقت على الأرض قطعة اللحم الدامية .

القاهرة : محمد كمال محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

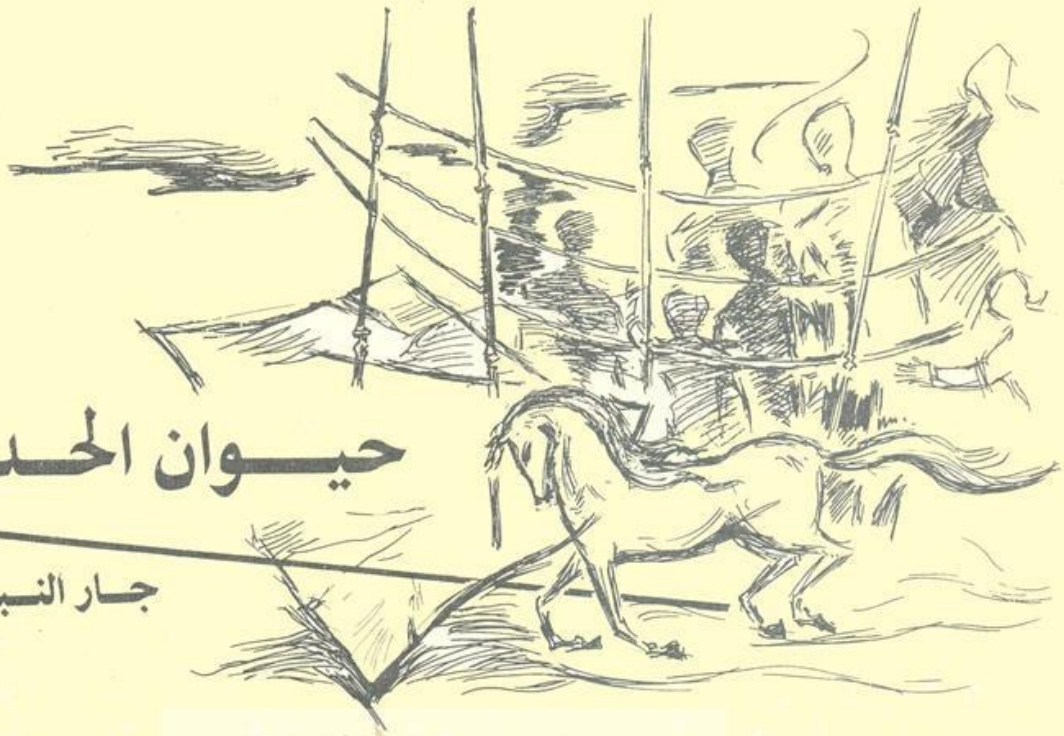

حيوان الحديقة

جار النبى الحلو

جاهدت كثيرا حتى أسمع ما يقوله المعلن فى الميكرفون ، وكانت العجلات تضرب فى الأرض المشوهة ، وشهقات العيال غير مسموعة . أصخت السمع حين كنت جالسا فى الحجرة الواقعة على الشارع والتى بها كتب ومكتب وكراسى ولوحة بومضات متلألئة فى الماء وقوارب وشجر . وما سمعته كان مدهشا ومثيرا إذ تردد الصوت يقول : افتتاح حديقة الحيوان . قفزت ابنتى التى تلون الصور عجلة أطفال على نحو غريب بألوان غير مألوفة . قفزت بفرح حقيقى . أخيرا تحقق حلم المدينة فى الحديقة . جرينا إلى البلكونة . قفزت من فوق حصان ودبة ونصف أرنب ودست على دمية تقول ماما وبابا . برقت الشمس فى عينى ، وضرب العصفور السلك الكهربائى وطار . لفحنى الصهد . وشاهدنا جرارا يجر مقطورة ، والمقطورة تحولت إلى مسرح فوقه شبان بزى موحد أسود وأبيض وقبعة سوداء وأطفال يرتدون الملابس المونة وفتاة ممسكة بيدها سلة من الخوص وترمى على المحتشدين أزهارا ورقية ملونة مصبوغة . بالضبط هذا مشهد رأينا مثله فى الأفلام القديمة ، الابتسامات جافة ومرسومة ، وثمة لافتات من الورق تحمل صورا لقرد وفيل وغزال وأسد . راقبت فرحة المحتشدين الذين غابت أصواتهم فى طيات صوت الميكرفون الذى يذيع أغنية لا تتغنى بالحدائق أو الزهور أو الطيور ، وفرحت ابنتى وزوجتى وولدى ، وأنا أيضا ، لأننا انتظرنا هذا الخبر من زمن بعيد ، حين أخبرنا أحد المرشحين الذين لا ننتخبهم وينجحون ، بأنه سيشرع فورا فى إنشاء الحديقة بتلك الأرض الواسعة الخلاء فى وسط المدينة ، وقال إنهم سيجلبون الحيوانات البديعة والطيور المدهشة . وانتهت عدة دورات برلمانية ، ونسيناهم جميعا ، فيما عدا بعض جدران بيوتنا التى شوهتها أسماؤهم بالجير الأزرق الذى بهت كثيرا ، ولا نكاد نرى سوى النخلة أو الجمل . وفى هذا الصباح الخرافى انطلق الصوت يعلن افتتاح الحديقة . اليوم لوح جارنا المدرس وصنع باصبعين علامة النصر وزغردت الحاجة فى البيت المقابل وتكلمت مع سيدة الطابق الأول رغم ما بينهما من قضايا فى المحاكم الابتدائية وخرج المريض إلى شرفته وبهجة ما غمرتنا مع الغبار الذى أثارته عجلات الجرار . فى الحقيقة هم معذورون ، فلقد سئمنا الحفر فى المكان المزمع إقامة الحديقة فيه ، زهقنا من شكل الطوب والزلط وأسياخ الحديد المركونة منذ انتخابات بعيدة ، حتى ان المكان تحول إلى دورة مياه سرية ، لا يرى من يدخلها لكنها فى النهار تفوح بكل الروائح الكريهة وسيفتتحا السيد فلان .. ياله . السيد فلان شخصيا . وهكذا قررت أن أنزل فورا لأحجز تذكرة . كيف لم ألحظ أنهم من شهور قد ضربوا خيمة كبيرة حول المكان أنا شخصيا بسوء ظنى تصورت أن أحدهم قد اشتراها وستطلع علينا عمارة بها الكوافير والسوبر ماركت والبنك ومكاتب تبيع الفيديو لتتاجر فى الدولار . غير اننى قررت أن أنزل للشارع وأجرى ، وأتفرج على المدينة وهى تستعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا ستقبال الحدث الجلل ، وسأحجز تذاكر للدخول لى وللجيران . هذه لحظة تاريخية فى حياة مدينتنا الفقيرة ، وهذه أفراحنا الصغيرة فلا بأس أن نفرح ، ولا بأس أن أرتدى أبهى ملابسى وأنزل . رأيت رجال البلدية فى كل مكان من عمال ومهندسين . يكنسون ويلمون الزبالة فى أكوام تجرها أحصنة متهالكة . ورأيتهم يضعون اللافتات المشيرة إلى الطرق الصحيحة للحديقة ، رغم أن مدينتنا صغيرة بها شارع يقطع المدينة طولا ، وآخر يقطعها عرضا ، وميدان محطة السكة الحديد ، والشارع التجارى الذى يعج بالناس والمحلات وهيئة البريد وقسم البوليس والمطافىء ومبنى الضرائب والسجل المدنى ، والأشجار المدهونة بالجير الأبيض ، ومحل كبير لصنع النظارات ومقهى قديم ومحلات الفيديو فى أماكن سرية تحت السلالم وأعلى السطوح وخلف الدكاكين .

مشيت بسعادة ووضعت يدى فى جيب البنطلون وانت أصفر لحنا لا أعرفه ، وداعبت يدى فى جيبى النقود الورقية . وصرخت اللافتات عن أوكازيون بمناسبة افتتاح الحديقة ، وتنزيلات لم يسبق لها مثيل . واستنشقت الهواء بسرور ، غير أن جنديًا يلبس الأسود منعنى ، وأفاد بأن التذاكر لا تحجز وأن الدخول عصرا بعد الافتتاح الرسمى . لا يوجد حجز . هذا أفضل . بعد الغداء . آه .. الخبز . تكورت ، على أن أذهب للمخبز لأقف فى الطابور الطويل المزدحم ، يدفعوننى وأدفعهم ، أزعق ويزعقون . وأخيرا أحصل على الخبز بعد أن أفقد كل رغبة فى أكله . وضعت الخبز على المائدة . التف حولى الأولاد والزوجة . سألونى عن الحديقة وهل رأيت الفيل ؟. قلت لم أرها بالضبط لكننا سندخلها عصرا ، فأكلنا ، ولم ننم بعد الظهر كعادتنا . وكانت نومة الظهيرة تعطينى القدرة ليلا على أن أعمل فى كشوف الماهيات بعض الوقت واقرأ الروايات بعض الوقت لكن الشقة اليوم تحولت إلى خلية نحل ، كل منهم يجهز ما سوف يرتديه ، كل يبحث عن حذائه وجوربه ، والبنت توسلت إلىّ أن أعطيها نصف الجنية لتشترى مشبكا للشعر من البلاستيك على هيئة وردة . أعطيتها قالت زوجتى من زمان لم نمش معا . قلت فرصة طيبة أن نمشى ، وتأسفت على ما فات . تمنيت لو أن مدينتنا يشقها نهر . كنت أخذتهم ومشينا على النهر بخطوات وئيدة ، نترنم بأغنية ، ولابد كان سيوجد بائع الأذرة المشوية ، وبائع الترمس ، والمثلجات ، وبعض المقاهى . كان يمكننى أن أذهب لمقهى على النيل والتقى بأصدقائى وأتكلم بطلاقة عن الأدب والأدباء وكان يمكننى أن أطل على النهر فى أوقات الامى أحكى للسمك حكاياتى البسيطة التى أحبها ، وأتذكر تلك العينين وبريق الفضة الذى سينعكس على صفحة النهر ، ثم تقع فى فمى زهرة من زهور البنسيانا القديمة ، ولن يسألنى أحد لماذا تحدق هكذا فى النهر ؟.. نطت أمامى وقالت ما رأيك فى الوردة البلاستيك الصفراء ستكون بديعة مع فستان العيد الفائت ، وجلسوا يتمشطون ، ويلبسون ، وكنت قد انتهيت من الجرائد اليومية التى لم تنشر خبرا صغيرا عن افتتاح الحديقة . هززت كتفى . لا يهم . لنسعد بها نحن . وقفت أمامى بجمال مفاجىء . همست بخجل : ما رأيك ؟ نظرت اليها باستغراب . زوجتى ... يالها من جميلة بين الجميلات . من زمان لم أرها وقد صففت شعرها بهذا الجمال ، من زمان لم يلمس أحمر الشفاه شفتيها . لم تزه بنفسها من زمان . همست رائع . قالت أنظر ، وأخرجت من جيب حقيبتها زجاجة عطر ، كنت نسيتها ، وتذكرت .. هدية لنا من مدرس كان معارا لدولة عربية . فجأة رشت صدرى بالعطر ، رشت وجهى ، ورشت نفسها ، ودارت فى سعادة ترش فى كل الأركان والأولاد والزهور البلاستيك كنت أتمنى لو أن مدينتنا مسرح ، إذن لأخذتها إليه وقفلنا باب الشقة على الأولاد ، وشاهدنا مسرحية ، ورأيتها تصفق ، ثم تنهض فأضع الشال على كتفيها ـ لكن زوجتى لا تملك الشال ولا عندنا المسرح . هيا هيا سننزل للشارع ، ولأول مرة فى حياتى رحبت بالضجيج . قالت لى سنشرب البارد ، ونشترى الفيشار للأولاد قلت بالطبع . ودخلنا فى زحام الشوارع . كنت أحاول أن أقترب من زوجتى أمسك يدها لعلنى أجدها من جديد . أنى الصغير وشد يدى ، والشوارع مرشوشة بالماء إلى حد لا نألفه ، ووجه زوجتى أجمل ما تكون امرأة كانت تحلم بلحظة تحققها تلك . نط صبى يبيع عقود الفل ، وشكرت فى نفسى الطيور التى سنراها والحديقة . قالوا إنها مبسطة . لتكن بعض العصافير الملونة ، لتكن نعامة واحدة أو زهوراً بديعة الألوان محتاج أنا لمساحة واسعة هادئة . أعرف أنها ستكون اليوم ضجيجا ، وبعد الاعتياد عليها تصير هادئة ، على أحد مقاعدها سأجلس ، استرخى ، ثم أنعم بنسمة الهواء وصوت العصفور . الحديقة هتفت زوجتى كطفلة . ازدحام شديد رجال ونساء وأطفال . دخلنا بينهم . أمسكنا بالأولاد جيدا ، اتجهت لشباك قطع التذاكر ، روائح عرق ، وروائح كولونيا رخيصة على وجوه حليقة ، وبعض العطور ذات الرائحة النفاذة الرخيصة ، تلك التى تباع على أرصفة مدينتنا مع الطاقية والمسواك . بالكاد رأسى تبين بين الأكتاف ، شاهدت زوجتى تبحث عنى بعينيها . فقدت بريقيهما . ابتسمت تشجعنى على احتمال الزحام . لكزنى رجل وبذراعه تقدمنى ، وسقطت نظارة شاب فصرخ وكاد يشتبك مع صدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السيدة المتأنقة التى أصرت على التزاحم ، وصرخت فتاة بفزع : شعرى . عندما شبك الايشارب فى ساعة أحدهم وبان شعرها المجعد . وكان العجوز والصبى والسيدة السمينة . وقبضت على كنزى الثمين ، وابتسم ذو الشارب وأخذ التذاكر ودخلنا . وكانت فرحة مباغته حين فاجأنا شاب يحمل آلة تصوير وأضاء وجوهنا بضوء خاطف ، ثم تقدم منى وقدم لى ورقة قائلا : جنيه واحد .. والاستلام غدا . بداية رائعة ومدهشة . لم أصور مع زوجتى من زمن بعيد . منذ ليلة الزفاف . وقفنا أمام الكاميرا ، تحيطنا الزهور البلاستيك المتربة . أخذ المصور العجوز يعدل من وقفتنا . يدى على كتفها هى تمسك يدى تبتسم لى ابتسامة خجلى مصنوعة . غلب إرهاقى ابتسامتى فجاءت ضحكة باهتة تحاسبنى عليها زوجتى حتى الآن . لم نعلق صورة الزفاف . جميل أن أصور معهم فى هذا الافتتاح بحثت أذنى عن صوت موسيقى ولم أسمع حاولت اكتشاف الحديقة على عجل ، السور العالى ، وبقايا الرمال التى داس عليها السيد فلان لحظة الافتتاح ، وبقايا الورود المدهوسة . أحسست بضيق المكان حاولنا التجوال سمعنا فجأة : الحيوان .. الحيوان . حمل الرجال أطفالهم لأعلى حتى يتسنى لهم رؤية ما بداخل القفص . نعم . بالفعل قفص كبير حديدى لونه بنى غامق . قفص دائرى بارتفاع مترين . العيال فى الأعلى يشيرون ويصرخون دون معنى ، وسمعت : ما هذا ما هذا ؟ والآباء والأمهات فرحون بأى شىء ضجة تعلو ، وموجات من الناس تتدافع .

احتميت وزوجتى والأولاد بالسور . أحسست بالاختناق كحت زوجتى ومسحت عرقها ، ولمت شعرها بمشبك شعر . ساحت الألوان على وجهها العرقان . وبكى الصغير وبدأ الضجر يغزو المكان . لا تتعجلوا ... الصبر .. نحن هكذا لا نحتمل . فى سنكم أطفال الحجارة لانستفيد من شىء أبداً . ثم أن المشهد يستحق أن نعيشه . ضغطت زوجتى على أسنانها غيظا ، وانتظرنا طويلا حتى أتيح لنا أن نمشى هذه المساحة الضيقة ، واتجهنا فورا للقفص الحديدى ، وكلنا لهفة لأن نرى حيوان الحديقة . الأضاءة خافتة لكنها كافية لأن نرى بوضوح الحيوان . وعندما وقعت عينى عليه دهشت ، لأنه ليس حيوانا كما ادعى الآخرون . إنه طائر طائر كبير الحجم . طائر !!

تأملته مرة ثانية ، بل أظنه حيوانا . نظرت لزوجتى باستغراب جرؤت ابنتى على السؤال : ما هذا يا أبى ؟ لم أستطع الإجابة . طائر ضخم يكاد لا يكون له أجنحة . شعره خشن فى الغالب ليس ريشا . وله فم يشبه المنقار غليظ ومدبب . خافت زوجتى . أمسكت يدى بيد باردة . قالت : اقشعر جسدى . له لون بنى غامق يتخلله سواد ما ، لاحظت أن الضجة خفتت ، والناس فى استغرابها بلعت السؤال ، وكانوا يهمهمون لا بأس .. حديقة .. حديقة جميلة . انسحبت ببطء واعتصمت بشجرة قديمة . حاولت إخراج منديلى من جيب معطفى ، وأنا أعبث بيدى المتوترة عثرت فى الجيب الداخلى على خطاب أخرجته عرفته من أول وهلة ، كلما ارتديت معطفا وجدت الخطابات القديمة !

تشممت رائحته فأخذتنى للهواء والمساحات الودودة والجسر الرفيع المعلق فى الهواء . عاودنى وجه آخر . همس النادل فى أذنى تنتظرك منذ عام . كانت فى الركن تبكى خطاب قديم برائحة قديمة موغلة فى التحقق والحياة .. كيف أنت أيها الغالى .. متى سأراك .. فيك نبض الحياة .. هى الشوارع والنهر المفتقد ، والليل المضىء بالأساطير . وضعتُ فى حجرى حدوتة معادة معذبة . طعم القهوة . والانتشاء . ضغطت على يدى فنمت على صدرها وعرفت تضاريس الخرائط ، ولون اليابس والماء ، والأخضر الزرعى ، وكرهت البنى الغامق ، وسلمتنى لمستحيل هادىء يركب بغلة من ورق . قلت لها . حصان وتذهب للتلاشى . أخذتها أمامى وركض الحصان وركض وركض . وهانحن لا نملك شيئا ولا رملة واحدة فى حدوة الحصان . قلت لها لا تنسى أوراقى التى وشمتها بغجرية ذات حاجبين كثيفين وبقلب ينتفض . ورأيتها مع الرجال تلوح لى . وتركت لى ذاكرة حادة كمدية .

نسمة بادرة مست قلبى الضعيف . مسحت عرقى اللزج . أغلقت الخطاب بسرعة . أخفيته فى صدرى ، فأسكن فىّ الشوق المستحيل توترت . نادت الصغيرة علىّ ، ودفعتنى زوجتى . كانوا فى ضجر . وزوجتى تعانى ضيق التنفس ، هى فى حاجة لبحر واتساع ، ومحارة توشوش لها عن أحلامها التى تبددت ، شددت صغيرتى من أمام هذا المسخ ، وحاولت الخروج .

المحلة : جار النبى الحلو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابتسامة

كمال مرسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى الميناء

وقف على رصيف التفريغ ينتظر .

فى جيبه الرسالة .

من أجلها جاء واحتمل صابرا سياط الشمس اللافحة ، كى يسلمها إليه عندما يفرغ من عمله ويهبط ، من غرفته الزجاجية فى أعلى الونش .

الرجل العجوز الطيب ، سائق الونش ، بلدياته .

والرسالة من ابنه فى الغربة .

غربة امتدت سنين طويلة .

يفلح الأرض فى بلاد بعيدة .

طالت وقفته على الرصيف .

عيناه المحمرتان من وهج الشمس الحامية ، معلقتان بذراع الونش العملاق الرابض بميناه البضائع .

الذراع الهائلة ـ وعليها العينان ـ تدور ..

فى الفضاء يدور نصف دورة .

استقرت الشبكة المعلقة بنهايتها على سطح السفينة الراسية بجوار الرصيف . انسابت هبات من نسائم البحر تملأ رئتيه هواء مالحا .. تحمل إلى أذنيه صراخ نوارس سابحة فى سماء زرقاء بلا سحب وإلى أنفه رائحة طحالب عفنة . طرف لسانه ذاق الملوحة حين مرّ ـ بلا قصد ـ حول شفتيه ..

لما امتلأت الشبكة بأجولة البلاستيك المختومة البيضاء من جوف السفينة ، تأرجحت معلقة فى الفضاء .

درات بها الذراع العملاقة نصف دورة أخرى . ورويدا رويدا هبطت بها على أرض الرصيف . فى بقعة تكومت فيها الأجولة التى سبقتها فى الهبوط استعرض صبى بجواره يلبس نظارة ويحمل كتبه المدرسية قدرته على قراءة المكتوب على الأجولة البلاستيكية المختومة .

دقيق قمح .

هدية من .. يو .. إس .. آيه .

إلى الشعوب الجائعة .

رقّت بجانب فمه نصف ابتسامة مرّة أسيانة ، بينما راحت بعض الموجات الواهنة تلعق حافة الرصيف فى تكاسل ..

وتموت بجواره ..

القاهرة : كمال مرسى

قصة قصيرة

رسـام فى القـرية

للكاتب المجرى : جيزا جاردونى

ترجمة : د . مـاهر شفيق فريـد

جيزا جارودنى (١٨٦٣ ــ ١٩٢٢) أمضى حياته بدءا فى إحدى القرى ، ثم اشتغل بالصحافة بدأ يعرف بروايته الرائجة واسكتشاته الفكاهية . فشلت اول رواية جادة له وعنوانها « المصباح » (١٨٩٧) فى الإيماء إلى المدى الكامل لموهبته ثم واتته الشهرة فجأة بنشر قريتى (١٨٩٨) وهى تصوير بديع للحياة الريفية . جعله هذا النجاح ينسحب من العالم ويكرس حياته ، كلية ، للأدب ، تتمتع رواياته التاريخية بنجاح مستمر ، ومن بينها نجوم إيجر (١٩٠١) وهى وصف حى لصراعات بلاده مع الحكم التركى فى القرن السادس عشر . أما الرجل الخفى فرواية مثيرة عن التاريخ الغامض للفاتح أتيلا وقبائل الهون . أما سجناء الرب فتعيد القارىء إلى هنغاريا العصور الوسطى . وإلى جانب رواياته كتب شعرا وعددا من المسرحيات وقصته القصيرة التالية مأخوذة من كتاب اثنتان وعشرون قصة قصيرة من المجر ، الصادر عن مطبعة كورفينا عام ١٩٦٧ ، مع مقدمة للناقد المعاصر : الفاريز .

اليوم حين بارحت بيتى ، بصرت بالأطفال يعدون جميعا نحو الطرف الأدنى من القرية ، فاستوقفت ابن بوروكز وسألته : ما الخبر ؟

هناك سيد يرسم لوحة . قالها وهو يلهث ، محمر الوجه من الانفعال . سيد يرسم لوحة ، هذا وصف لاينطبق إلا على رسام . يجمل بى ان أذهب بنفسى ، والقى عليه نظرة وسرعان ما وجدته .

كان يجلس فى مرج الأوزّبيْن أشجار الصفصاف . وكان ثمّ حامل صغير ثلاثى القوائم أمامه . ووراءه وقف بيستا كونكزول ، ملوحا بعصاه ، ليبعد الأطفال . وكانوا بطبيعة الحال ، قد تسلقوا الأشجار ليروا كيف تحدث المعجزة . إذ من ذا الذى كان خليقا ، على وجه الأرض ، أن يتصور ان بمقدورك أن تصنع صورة بهذه العصا الصغيرة ؟ كان كل طفل فى القرية خليقا ، خلال أسبوع ، أن يعكف على الرسم .

كان الرسام شابا أشقر الشعر ، من ذلك الطراز الذى تستطيع أن تراه فى كل انحاء الريف ، خلال الصيف . يضع على رأسه قبعة ناعمة واسعة الحافة ، ويرتدى سترة مخملية على الطراز الإيطالى .

كان ، على أية حال ، فتى مجريا ، وما أن قيل له إن مدرس القرية مقبل ، حتى وضع فرشاته جانبا ، وانتصب قائما .

قال : إنى أدعى استيفان ريز . وقد عدت من ميونيخ لأقضى الخريف هنا ، وأدرس قليلا .

ــ كيف وصلت إلى قريتنا الصغيرة ؟

ــ الله أعلم . كنت أتجول هنا وهناك ، تدفعنى الرياح . إنى أدرس ، وأمامى أسبوع يجب على بعده أن أعود .

ـ استمر فى العمل من فضلك . نستطيع أن نتجاذب أطراف الحديث وأنت تعمل ، إن لم يكن ذلك يضايقك .

كان يرسم جزءا من المرج : الجسر وشجرة الحور وبضع أشجار صفصاف على حافة الماء،والتقط فرشاته مرة أخرى ، وعاود النظر مرة فى اثر مرة ، ثم استمر فى رسمه . قال : بوسع المرء أن يدرك على الفور أنه لم يسبق لأحد له مهنتى أن جاء إلى هنا . إن القرية مليئة بالرؤوس الرائعة الجديرة بالدراسة ، ولكن كل من طلبت إليهم أن يجلسوا لأرسمهم قد روعوا ، واعترضوا .

ـ الله أعلم بما تعنيه عندهم كلمة : نموذج . يجمل بك أن تخاطبهم بلغتهم ياسيدى العزيز

ـ ولكنى قد فعلت ذلك أيضا . كان صبى صغير مصبوغ الوجه راغبا فى التغلب على خوفه ، لقاء قطعة من ذوات الست كرويتزر ، ولكنهم سرعان ما ابتعدوا به . قالوا له : لا تدع العين الشريرة تؤذى شبيهك ، أيها الود العبيط . وهكذا لم يعد لدى ما أرسمه سوى أشجار الصفصاف المملة .

ـ سأساعدك . فقط سمِّ لى الشخص الذى تريد أن ترسمه .

قال وهو يضع فرشاته جانبا : حسنا . لقد رأيت رجلا عجوزا ، بلغ من انجذابى إليه أنى على استعداد لأن أدفع اى شىء لقاء أن أرسمه أعرف اسمه : كيفيسى او كيبيسى أو شىء من هذا القبيل . حسنا . لقد نسيت اسمه . إنه لعجوز فاتن ، وأحدب . شعره بياض خالص ، ووجهه أحمر خالص . إن الرجل بأكمله الوان خالصة ! الوان لامعة : فرمليون ! قرمزى ! أبيض رصاصى ! سيارة محروقة ! كتلة من لون الأرض !

ـ أهو كيفى ؟

ـ أجل كيفى . إنه يعيش بجوار الكنيسة . سأمزج القرمزى بالأزرق لأرسم المنطقة المحيطة بأنفه .

ـ ما عليك إلا أن تنتهى من رسمك ، وسيجلس العجوز أمامك .

ـ فى هذه الحالة لن أرسم هنا غير ذلك . سأظل مدينا لك إلى الأبد . إذا نجحت فى إقناع العجوز أن يجلس أمامى .

وحمل أشياءه ، ثم اتجهنا مباشرة إلى بيت كيفى .

كان العجوز يجلس على جذع شجرة فى الفناء ، فى ضوء شمس الخريف ، يدخن غليونه . وعندما دخلنا ، عبر البوابة الصغيرة ، بدأ يدب على قدميه ، مقبلا نحونا ليلقانا ، ولكنى طلبت إليه ، ونحن على مبعدة ، أن يظل فى مكانه ، وإلا عدنا أدراجنا ، وأرضى هذا التهديد كبرياءه ، فمدّ لنا يده . المغضنة فى مرح ، ولم يشد على أيدينا فحسب ، بل ضغط عليها أيضا كالطفل .

قلت مشيرا إلى الرسام : هذا السيد رجل يستطيع أن يرسم صورا . ليست صورا ورقية متوسطة ، وإنما صور زيتية جميلة فاتنة غالية .

ـ زيتية ؟

ـ أجل ، كصور القديسين الذين تراهم فى الكنيسة .

ـ حسنا . إنى لم أرها قط .

ـ والشىء الذى جئنا من أجله ، ياعم كيفى . هو أن هذا السيد يرغب فى أن يرسم لك صورة ، أنت أيضا .

ـ لست قديسا .

ـ إنه لا يريد أن يرسمك لأنك قديس ، وإنما لأنه يريد أن يرسم صورة كبيرة ملآى بالمجريين . وستكون واحدا منهم .

فرمقنا كيفى مرتاباً ثم قال : أواه ! إنى أشد تقدما فى السن من أن أصلح لهذا وأبنائى هنا فليرسمهم .

قال الرسام : إنما أريد أن أرسمك لأنك ، على وجه الدقة ، متقدم فى السن ، هذا ما يعجبنى فيك . سأجعل منك هوميروس مخمر الجلد . يالها من فكرة ! سأرسمك جالسا ، تتغنى بمدائح الأبطال فى أشعار ملتهبة .

فانفجر العجوز قائلا : أى شىء هذا ؟ أتريد أن تجعل منى جلادا ؟

ـ كلا بطبيعة الحال ، اهدأ .

قال الرسام : إنه رجل يدعى هوميروس يونانى .

فتساءل كيفى وقد صدم مرة أخرى : يونانى ؟

قلت محاولا تهدئة الرجل : لا تسىء فهمنا . إنها لن تعدو أن تكون صورة .

وفكرت : لو أن هذا الرسام لزم الصمت بضع دقائق ! ولكن صديقى الرسام أراد أن يعيننى فى مهمة إقناع الرجل ، دون اكتراث بمضمون ما يقوله . فقال : المسألة كلها ، ببساطة ، هى أنى سأجعل لك لحية ، تلائم رأسك .

وهنا قال العجوز غاضبا : لن تفعل شيئا من هذا ياسيدى . إنى أحترمك ياسيدى ، ولكنى لن أدعك تفعل ذلك .

قلت للفنان : أرجوك أن تلزم الصمت ، ودعنى أتكلم .

فجلس الرسام ، آسفا ، على حافة البئر . وأخرج فرشاته : بدأ يرسم مخزن الغلال الواهى .

ولكن عند ذلك كانت النساء قد خرجن من البيت ، فتحولت إليهن . وقلت لمسز كيفى :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— انظرى ياعمتى ، أى شجار نحن فيه ، هنا . إن هذا السيد ، وهو رسام ، قد أقبل من بلاد بعيدة ، ليرسم بضع صور فى قريتنا . إنه يريد أن يرسم أجمل طفل ، وأحلى امرأة ، وأشد الرجال المسنين وسامه . وأنا لاأستطيع أن أتدخل فى شأنه إذا هو ارتأى أن العم كيفى اشد الرجال المسنين وسامة . وهو لا يطلب إليه أكثر من أن يجلس هنا أمامه ، لمدة ربع ساعة ، ولكن العم كيفى لا رغبة له فى ذلك . أى مجد سوف نناله فى تلك البلاد البعيدة ، لو أنه علق اللوحة وقال : انظروا أيها الأباطرة والملوك أى رجل مسن جميل ، أحمر البشرة ، يعيش فى المجر ! أى مدائح وبركات ستنهال على العم كيفى ! وسيظهر فى الصحف أيضا !

فسألته المرأة العجوز برفق : لم لا تدعه يرسمك ؟

فأجاب العجوز بلهجة الين قليلا : عنده الكثير من الشبان . فليست كل الخيل المسنة بصالحة لسباق .

— ولكن ياعمى ، حيث يُحتاج إلى رجل مسن ، لا يصلح شاب فماذا تقول لو أنهم رسموا لك القديس بولس شابا فى الخامسة والعشرين ؟

وهنا صاح الولد إيمر الذى كان واقفا وراء الرسام : انظروا ! هذا مخزن غلالنا ! كان المخزن الأصفر مصورا على لوحة قماش الرسام . وكذلك شجرة الجوز بأوراقها الكثيفة .

وأعجب العجوز أيضا باللوحة . ثم قال : فليكن . لاأدعهم يجعلون منى أحمق . ثم أضاف متحولا إلى : سأفعل ذلك من أجل المدرس .

وانتصب واقفا متجها إلى المنزل . ثم قال لزوجته : هات لى أحسن حللى ، تلك التى أرتديها يوم الأحد .

فقال الرسام : لا حاجة بك إلى أن ترتديها . فلن أرسم غير رأسك .

— رأسى ؟ وكيف أبدو دون ذراعين ولا ساقين ؟

فأشرت للرسام أن يلزم الصمت . وقلت : إنه سيرسمك ، ياعمى ، كما لو كنت تطل من النافذة ، إن ينظر إليك من الشارع لا يستطيع أن يرى ذراعيك وساقيك . أليس كذلك ؟

كان هذا شيئا يستطيع العجوز أن يفهمه ، ولكنه دخل البيت وارتدى أحسن حلله ، حلة يوم الأحد ، على أية حال . وهكذا ارتفعت روحه المعنوية . فسواء كانت حلته سترسم أو لا ترسم ، كان يشعر بأنها ساعة جليلة ، يؤخذ فيها شبيهه .

وجلس فى كرسى ذى مساند ، وظل بالغ الهدوء . ترك نفسه يرسم .

خيم صمت مهيب على الفناء . وبيد واثقة سريعة رسم المصور معالم الرأس ، وصور الأنف والعينين والشارب ، ورسم الخلفية بلون كستنائى بنى غامق .

ولاحظ الإسكافى وهو يتكىء على السور : أنه آخذ فى الاتضاح ، ولكن الشكل لم تتحدد معالمه بعد .

وسرعان ما لوّن الرسام الوجه بالأحمر ، والشعر بالأبيض . لم يكن من الميسور رؤية الغضون بعد ، وإنما مجرد بقع من اللون . ولكن مسز كيفى العجوز رفعت يديها مندهشة وقالت : ياإلهى ! هكذا كان يلوح منذ عشرين عاما .

ولم يأبه كيفى العجوز لما كان يلوح عليه منذ عشرين عاما ، وإنما كان يدخن غليونه ، رابط الجأش ، فى المقعد ذى المساند .

كان عدد المتفرجين فى الفناء فى ازدياد .

وكذلك أقبلت مسز بوزوكى . كانت امرأة ضئيلة حزينة نحيفة . ولست أدرى لم كانت ترتدى خير ثوب أسود لديها ، ولكن هذا هو ما حدث . وعلى حين كانت بقية النسوة يقبلن لإلقاء نظرة على الرسام ، ثم ينصرفن سراعا ، ظلت هذه السيدة ـ مسز بوزوكى ـ باقية ، تراقب الصورة بانتباه .

وسألت هامسة : كم دفعتم فى مقابلها ؟ ما المبلغ الذى تدفعونه ؟

— لم ؟ أخالك تريدين أن تُرسمى ، أنت أيضا ؟

— حاشا الله ! بالطبع لا . إنى فقط أسأل .

فقالت مسز كيفى : لا شىء . إننا لا ندفع شيئا فى مقابلها . فهو يرسم زوجى لمتعته الخاصة . ولكن الصورة قد بدأت تشبهه . أليس كذلك ؟

وقال الإسكافى معتمدا برسغيه على السور : لا تحرك أذنك ، فقد بدأ الآن يرسمها .

وظل العجوز ساكن الأذنين تماما .

وتزايد العجب . ففى أقل من ربع ساعة ، كان الفناء بأكمله يرن بالإعجاب والضحك هذا هو ، هذا هو تماما !

وقال الإسكافى : حسنا ياعم كيفى . الآن يوجد اثنان منك فى العالم .

ولاحظ حارس السكة الحديد : عندما تتم ، ستشنق !

وعندما سمع العجوز ذلك ، زايله هدوؤه ، فانتصب قائما ، وتقدم إلى اللوحة ، متثاقل الخطى ، وهز رأسه .

تمتم بابتهاج : أترانى أبدو هكذا ؟ حسنا ، إنى أبدو هكذا .

فأجابه الرسام : ليس تماما ، ليس بعد . سآتى غدا مرة

أخرى . وحتى ذلك الحين تكون قد جفت ، فنبدأ فى استخدام القار .

ـــ لماذا ؟

ـــ الزفت . هنا وهناك . سأغطيك بالزفت .

ـــ تغطينى أنا ؟

ـــ حسنا . لا أعنيك أنت . وإنما أعنى ظلك ، لأجعل عينيك أعمق ، أيها العم العزيز وفى الشارع كانت مسز بوزوكى تقتفى خطانا .

ثم قالت حين وصلنا إلى الجسر : سادتى الأعزاء .

وما إن توقفنا حتى شبكت يديها فى ضراعة :

ـــ أود أن ألتمس منك ، سيدى صانع الصور ، أن ترسم ابنتى الصغيرة ، ابنتى ايلونكا فقال الرسام . لا أدرى إن كنت سأجد وقتا لهذا . أى البنات هى ابنتك ؟

فقالت المرأة والدموع فى عينيها : إنها متوفاة ياسيدى ، إنها متوفاة .

وشرحت الأمر بقولى ، إذ راحت الأم تهتز : لقد كانت ابنتها الوحيدة . مخلوق صغير جميل أزرق العينين .

فقالت المرأة : هذا حق . هذا حق .

وأجاب الرسام : هذه مسألة صعبة . فهل لديك صورة فوتوغرافية لها ؟

ـــ كلا ، ليس لدى ياسيدى العزيز . وهذا هو السبب فى أنى أريد صورة لها ، فلست أملك صورتها .

وفى طريق العودة ، أخبرت الرسام بأن البنت الصغيرة لم تكن حبيبة أمها فحسب ، وإنما كانت فى الواقع أعذب طفلة شقراء زرقاء العينين فى القرية كلها . ولكن المسكينة ماتت بالخنّاق .

ثم شرعنا نتحدث عن أمور أخرى . تحدثنا عن الصيد ، وكيف كان فى هذا العام كثير من البط البرى . وأخيرا ، قرب المساء ، أخذت الرسام إلى الزورق ، واخترقنا بين أعواد الغاب ، منتظرين البط البرى .

لم تكن بالرسام رغبة فى الصيد ، وإنما كان يرغب فقط فى أن يشاهد منظر المستنقعات ، ساعة المساء . كان يريد أن يرى غروب الشمس فى برية الغاب .

وأخلدنا إلى الصمت حتى سألنى الرسام فجأة : أكانت البنت الصغيرة تشبه أمها ؟

كانت خليقة أن تكون صورة طبق الأصل منها ، لو أنها عاشت .

فقال بمرح : سأجرب شيئا . سأرسم تلك المرأة كما لو كانت فى السابعة .

ـــ أيمكنك هذا ؟

ـــ أجل بطبيعة الحال . سيكون الشعر أشد شقرة ، والعينان أوسع وأشد زرقة وسأجعل الحاجبين أخف وأعلى ، وأجعل الوجه أكثر استدارة قليلا . أم تراها كانت نحيلة ؟

ـــ كانت شديدة النحول والرقة كطير صغير .

ـــ هذا لايهم . فلابد أن وجهها كان أكثر استدارة ، والذقن الصغير لم تكتمل استدارته بعد ، والبشرة شفافة تقريبا بيضاء ، والعنق الصغير نحيل . وفى اليوم التالى شرع يرسم صورة الطفلة المتوفاة .

كانت الأم تقف أمامه للرسم بحماسة ، وإن لم تكن تدرى لماذا على وجه الدقة . كان كل ما تعلمه هو أنها إذا وقفت أمامه فستحصل على صورة ابنتها .

وعندما انتهت الصورة تناول الرسام شالا أخضر كبيرا ، وصنع منه إطارا يحيط باللوحة ثم دعا إليه المرأة .

وما أن وقع بصرها على الصورة حتى انخرطت فى البكاء ، فسألتها بتأثر عميق : أترينها فيها ؟

فأجابت : أجل ياسيدى ، وإن تكن المسكينة قد تغيرت كثيرا فى العالم الآخر .

القاهرة : ترجمة : د . ماهر شفيق فريد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

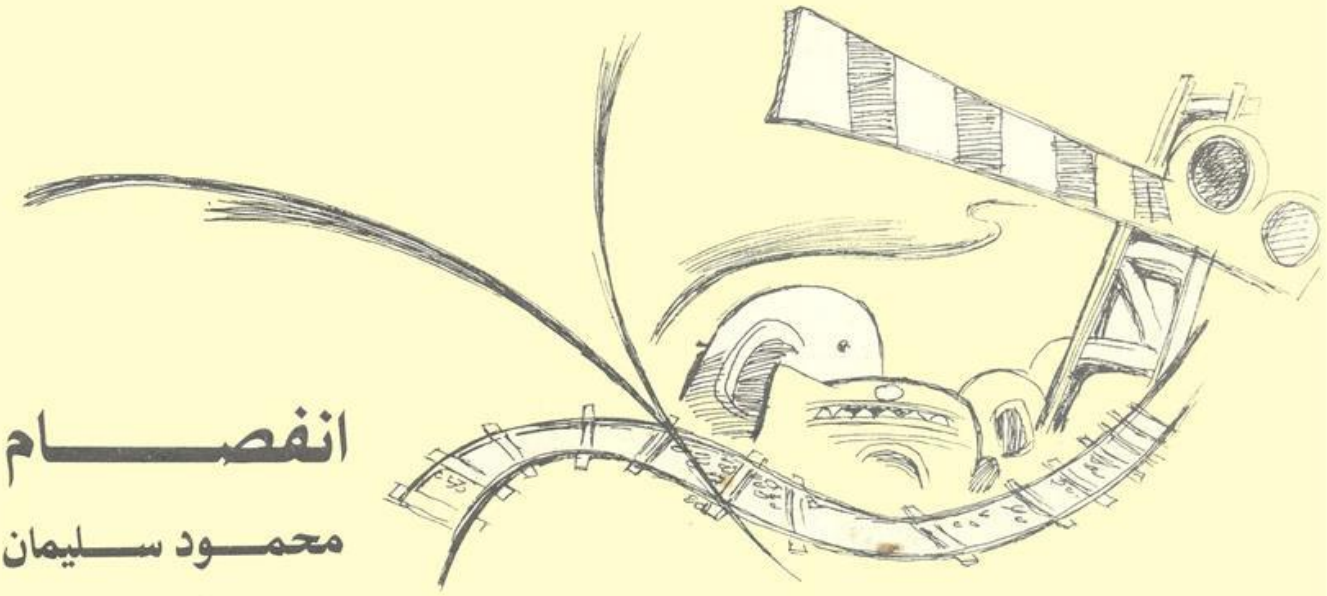

انفصـــــام

محمـــود ســـليمان

وسط زحام الخارجين من الصلاة يوم الجمعة وتبادل الأكف للسلام ، يغافل الولد الصغير أباه ، يهرب من يديه إلى أول البلدة بجلبابه الأبيض وغطاء رأسه المخرم ، يختال كالمهر ، وهناك يمسك بالحجارة يقذفها فى المدى ، تسقط قريبة منه ، ويتراءى له الطير ، يتابعه بعينيه حتى يختفى ، فيدرك لا نهائية الأرض من حوله ، ويدرك أن هناك بلاداً أخرى لا محالة غير تلك التى يسكن .

على الصخرة يجلس ينتظره ، تمر القطارات السريعة ذات النوافذ الزجاجية المغلقة ، يحرك الولد لها ذراعيه ، تهيل عليه التراب وتمضى ، يقوم ـــ يقذفها بالحجارة ، ثم يعود ينتظره حتى يلمحه آتياً من بعيد : الساند دوماً ظهره إلى مؤخرة آخر عربة فى القطار الحديدى الذى يمر من أمام بلدته كل حين . يشير له الولد بكفّه ، يرد عليه بكفيه ، يضحك الولد محركاً كل ذراعه ، يعدل الساند ظهره من جلسته ، يهز ذراعيه ورأسه ، يبتسم حتى تبين أسنانه .. يجرى الولد قصاده ، يناشد أن يحمله إلى تلك البلاد التى تصب القطارات الناس فيها ، تلك البلاد البعيدة التى يحكى المسافر عنها كل عودة .

يرجوه الساند ظهره أن يعود لأهله ، لكنه يجرى ويجرى فإذا انقطع نفسه ، ووقع على الأرض انتصب الساند ظهره واقفا حتى يقوم الولد ينفض ثوبه ويمسح عن شفتيه التراب فيتلطخ كفه بالطين ، وتتقلص عضلات وجهه ، وقبل أن تطلّ أول دمعة من عينيه ، يرمى له الواقف منتصباً عيدان القصب الحلوة المسكرة التى تضج بها عربات القطار . فيعود الولد للبيت متقافزاً ، وعيدان القصب بين ساقيه ، يسوقها ، ويضربها من حين لآخر لتسرع به .. تصرخ أمه : « ستمزقك القطارات المسرعة ذات مرة ! » وتعاتب أباه فيضربه . يضربه أبوه لكنه يغافله كل جمعة ويذهب ينتظره حتى يجىء .

وسط زحام الخارجين من الصلاة يوم الجمعة وتبادل الأكف للسلام ، يودع الولد الكبير أباه ، يهرب من أحضانه إلى أول البلدة ببذلته الجديدة ، يجرجر ساقيه وينظر إلى البيوت القصيرة المتلاصقة التى بدت وكأنها صفحة قديمة من كراسة رسم عبث بها طفل . وهناك تتراءى له أسراب الطيور فى كل اتجاه ، يتابعها بعينيه حتى تختفى فيعلم أى البلاد التى خبأت كل سرب .

وتضيق عليه الأرض بما رحبت ، يرتمى على أحد المقاعد ، ينتظره .. يمر ذو اللحية البيضاء المسنود ظهره دوماً إلى مؤخرة آخر عربة فى القطار الحديدى الذى يمر ـــ كالسلحفاة ـــ من أمام بلدته كل حين ، ويشير له بكفيه فيجاهد الولد الكبير فى رسم ابتسامة ، يعدل ذو اللحية البيضاء من جلسته ، يهز ذراعيه ورأسه ، يبتسم حتى تبين لثته ، فيشاغل الولد الكبير نفسه بالنظر إلى أى شىء ، يرمى له ذو اللحية البيضاء بعيدان القصب ، يدعوه للركوب معه ، لكن الولد الكبير يرفع حقائبه بسرعة تلبية لنداء القطار السريع الآتى من بعيد .

المنيا : محمود محمد على سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدوبلـــــير

محمد حافظ صالح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● وقف على رصيف مستشفى الحميات شارداً ألقى نظرة على الساعة الذهبية النادرة ، كانت عقاربها الفوسفورية تلتمع وتشير إلى الحادية عشرة مساءً ، أشار بيمينه لتاكسى ، وبيساره تحسس العلبة القطيفة التى يضوى بداخلها انسيال فاخر من البلاتين المطعّم بفصوص رائعة من الماس كان ضوء السيارات المسرعة يغشى وجهه لعدة لحظات ؛ فيطرف بعينيه وإن ظلت يده ممدودة للأمام راح يتذكر عبارات التحذير التى تلقاها من الممثل المشهور فارس منذ دقائق ، لأول مرة يطلب منه الحضور ويحذره من الإفصاح عن ذلك أو ذكر عنوان المستشفى لأى شخص كان . لكنه لم يتوقع أن يرى الممثل المشهور راقداً فى عنبر العناية المركزّة . لأول مرة يرى فارس بلا مكياج ، كان وجهه شاحباً مرعوباً ، تتناثر حبيبات دهنية وبثور رمادية داكنة على الجبهة والوجنتين كانت حبات العرق تتكور ثم تنحدر لتتجمع فى مصب حول الرقبة ؛ فتبلل ياقة البيجامة والروب الحريرى والمخدة رغم أن الغرفة مكيفة الهواء . قال له فارس فى صوت شاحب :

ـــ أرجو المعذرة إن كنت قد طلبت منك الحضور فى هذا الوقت وبهذه الطريقة . لاأحد يعرف أننى نزيل هذا المستشفى . الأطباء شخّصوا المرض على أنه التهاب رئوى حاد مصحوب بارتفاع شديد فى درجة الحرارة ، ويرجعون السبب إلى ضعف جهاز المناعة إننى أصارحك كأخ وزميل ، هذا سر بيننا لا يعلمه ثالث ، أنت تعرف وسائل الإعلام والصحافة بالذات ، قد يطلق أحدهم إشاعة أننى مريض بالإيدز ، تعرف جيداً ، كيف تولد الإشاعة صغيرة ، ثم ينفخون فيها كالبالون ، فيتضخم ويتضخم حتى ينفجر ، عندئذ سنفقد ـــ أنا وأنت ـــ كل شىء رغم أننى الممثل وأنت الدوبلير .. إلا أننا وجهان لعملة واحدة ، كيان واحد اسمه فارس لابد أن ندافع عنه ونحميه لذا سأطلب منك خدمة .. هى ليست صعبة .. لكنها تتطلب الدقة والحذر .. الموضوع ببساطة .. أن اليوم يوافق عيد ميلاد الممثلة بسنت ، لقد طلبتنى أكثر من مرة تليفونياً ووعدتها بالحضور إذا ما تخلفت ؛ فسيكون ذلك مثار تساؤل الجميع ، كل منهم سيفسر غيابى حسب هواه ومزاجه

الشخصى وموقفه منى ، لذا اشتريت لها هذه الهدية ، افتحها .. ما رأيك ؟ إنسيال بديع .. أليس كذلك ؟ الثمن .. ثلاثة آلاف ، المهم أن تحافظ عليه وتقدمه لها — نيابة عنى — بصفتك « فارس » هذه هى الخدمة ، ولقد رتبت كل شىء حتى تكون المهمة سهلة ، البدلة السموكن والقميص الحرير والبيبون والمنديل والشراب والحذاء فى الدولاب ، الساعة الذهبية والخاتم الماسى فى علبة قطيفة ، بهذه الطريقة لن يستطيع أحد اكتشاف الحقيقة ، أما الحسنة التى فى ذقنك .. فحاول أن تخفيها تماماً ؛ فهى الفرق الوحيد بيننا فى تقاطيع الوجه ، نصيحتى أن تقدم لها الهدية ، ثم تهمس فى أذنها بعبارة التهنئة بعيد الميلاد ، وتقبّلها فى خدها لمدة ثانية واحدة . بعد ذلك .. تبتسم وتعتذر بأنك على موعد هام وتنصرف فوراً ، لا تتحدث بصوت عال ؛ فصوتك يختلف عن صوتى . بعد انتهاء المهمة .. عليك بالاتصال تليفونياً بأسرع ما يمكن ، الدقة .. كل الدقة فى التنفيذ ، أى خطأ ترتكبه سيكشف حقيقتك ، سيدمرنا معاً . بل ستكون فضيحة الموسم .

— ياأستاذ .. على فين ياأستاذ .. ؟ صاح فيه سائق التاكسى .. فانتبه .. بصعوبة راح يرتب الكلمات : بسنت .. فيلا الممثلة المشهورة بسنت بحى الزهور . فتح باب السيارة ، دلف ثم جلس فى المقعد الخلفى ، حين رآه السائق فى المرآة . صرخ : النجم الكبير فارس مش معقول ! رد عليه الدوبلير بصوت خفيض : لو سمحت .. أرجوك .. بسرعة لكن السائق قاطعه : لا مؤاخذة ياباشا ، العربية مش قد المقام !

بلع الدوبلير ريقه ، وبالولاعة الذهبية .. أشعل سيجارة أجنبية من العلبة التى أخذها من فارس ، ناول السائق سيجارة وقال فى صوت مرتعش :

— « التمساحة » معطلة . ثم أدار وجهه ونظر من خلال النافذة الزجاجية للسيارة .

● كانت أعمدة الإنارة وواجهات المحلات وبراويز الإعلانات وأفيشات الأفلام تسبح فى أضواء النيون الحمراء والخضراء والصفراء ، وكانت صورة فارس تحتل مكان الصدارة فى ثلاثة إعلانات لثلاثة أفلام تُعرض دفعة واحدة فى أكبر دور للسينما فى المدينة .

* أستاذ « فارس » وصلنا بالسلامة . أفاق على نداء السائق ، مد يده بورقة من فئة العشرة جنيهات ، فى أدب جم .. طلب منه السائق التوقيع على الورقة باسمه للذكرى ، وقع عليها نزل ، وقف أمام باب الفيلا ، ضغط على زر الجرس ، زقزقت عصافير الكناريا ، فُتح الباب ، انحنى الخادم أمامه ، سار بخطوات مترددة على مشاية حمراء غاصت فيها قدماه ، تلفت حواليه .. أربكته الأضواء والألوان المنعكسة من شرائح عديدة لمرايا مختلفة الأشكال ، ومثبتة فى السقف وعلى الجدران فى أماكن متقابلة وزوايا مختلفة ؛ لتعكس صوراً متعددة لا نهائية .. للستائر المخملية ، للثريات الضخمة والسجاد العجمى ، للفازات والتحف النادرة ، للتابلوهات الرائعة والمثبتة على جدران مغطاة بقطيفة بارزة على هيئة نباتات وزهور وطيور وحيوانات مفترسة وأخرى أليفة . كانت كل مسامه قد تفتحت ؛ لتمتص عبير الورود مختلطاً بأرقى العطور الباريسية ، مصحوباً بدفقات آسرة لأنغام حالمة ، تتخللها ضحكات نسائية ناعمة .

تسلل إليه صوت نسائى يدلله : أهلا أبو الفوارس ؛ فانتبه ، وجد نفسه أمام الممثلة المشهورة بسنت وجهاً لوجه ، بعينيها الناريتين ، وعنقها العاجى وصدرها المرمرى المزدان بحبات اللؤلؤ . مدت يدها بالسلام ، احتوى يدها الطرية الدافئة بين يده ، وباليد الأخرى قدم لها الهدية ، أمالت له خدها الأيسر ، اقترب ، بشفتيه الجافتين .. تحسس خدها الأملس الوردى المعطر ، بصعوبة سحب شفتيه ، فتحت بسنت العلبة ، شهقت : معقول .. ! ميرسى ياروحى . ثم باغتته بقبلة خاطفة لم يفق منها إلا على تصفيق الحاضرين همس فى أذنها بعبارة التهنئة ، وطلب أن تأذن له فى الانصراف ، وقبل أن يشرح الأسباب .. سحبته من يده حتى وصلت به إلى منتصف دائرة الحاضرين ، ثم هتفت : سمع . هُس ، تصوروا ياجماعة .. أبو الفوارس عايز يحرمنا من أُنسه ويستأذن قبل البوفيه ثم اطلقت ضحكة مجلجلة ، اهتز لها قلبه بشدة تشابكت الأيدى وكونوا حلقة مغلقة حوله ، ورددوا فى صوت واحد : عايزين فارس .. عايزين فارس . سحبته بسنت من يده وتحركت ناحية البوفيه .

● كان البوفيه على هيئة مربع مفتوح ضلع ، تتصدره تورتة كبيرة ، بجوارها .. يتربع « أوزى » بالخلطة على الجانبين .. تتراص ديوك رومى مغلفة بالسلوفان ، وأطباق غربية لم ير مثلها من قبل . هتف الجميع : هابى بيرث داى تويو ، هابى بيرث داى تو بسنت .. ثلاث مرات ، ثم نفخوا فى الشموع .. فانطفأت ، قامت بسنت بتقطيع التورتة وتوزيعها على البوفيه . لاحظت أنه ما يزال مرتبكاً ، أمسكت بطبق كبير ، راحت ترص شرائح من فخذ الأوزى مع صدر ديك رومى وقدمته له مع كأس من نبيذ أحمر فاخر ، اعتذر بأن معدته ليست على ما يرام . لكنها الحّت عليه واستحلفته بمعزّتها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عنده : فلم يجد بداً من القبول ، كان طعم النبيذ حلواً ، فتح شهيته .. فالتهم ما فى الطبق فى دقائق .

قام المنتج السينمائى الكبير أبو السعد بتجهيز طبق من الجنبرى والأستاكوزا ثم قدمه للدوبلير مع الكأس الثانية ، وقال مازحاً : إديها فوسفور .. وعينك ما تشوف إلا النور ! .

قامت فاتنة الرقص الشرقى زمردة بتجهيز الطبق الثالث مع الكأس الثالثة .. لم يرفض . مع الكأس الرابعة .. راحت تتدفق موسيقى قصة حب : فتتمايل معها الأجساد السكرى الهائمة فى بحر من الأضواء الخافتة المرتعشة فى نشوة غامرة . مع الكأس الخامسة . كانت موسيقى رجل وامرأة ، وكانت بسنت تتخاطفها الأذرع الأخطبوطية لتلتف حول خصرها وتعصره بشدة . مع الكأس السادسة .. كانت موسيقى الحياة .. للحياة ، تقدمت بسنت ناحيته فاردة ذراعيها ؛ فاحتضنها وهمّ بتقبيلها ، لكنها غمزت بعينها وهمست : اعقل يامجنون ! مع الكأس السابعة .. كانت رقصة « زمردة » على موسيقى أغنية فكرونى ، أحس بدوار خفيف واختناق ، فك البيبون وخلع سترة السموكن ووضعها على كرسى ، كان جسد زمردة العارى يتلوى متأوداً ، وكان الدوبلير يتمايل معه مردداً كلمات الأغنية ، ويصفق بكلتا يديه مع الإيقاع الراقص . عندئذ بدأ الناقد الصحفى العجوز صقر يترك مكانه ويقترب منه . بعد انتهاء الرقصة .. ظل الدوبلير يتمايل ويغنى ويصفق ويطلق عبارات الثناء على الراقصة ، صمت الجميع ، بينما اقترب منه الناقد العجوز أكثر ، تفحصه ثم بادره بالسؤال : أنت لست الممثل فارس ، صوتك .. ليس صوته ، حواجبك أثقل من حواجبه ، هذه الحسنة التى فى ذقنك .. ليست فى ذقنه ، أنت شخص آخر بالتأكيد ، من أنت ..

● حاول الدوبلير أن يتماسك ، أجال النظر فيهم حتى استقر على الناقد العجوز وقال فى نبرة حزينة :

ـ نعم .. أنا لست هو ، أنا ظله .. وإن كنت أشبهه إلى حد كبير ، هو النجم .. وأنا الدوبلير ، هو الشهرة .. وأنا النكرة ، حتى اللقطات الخطرة التى أنفذها أنا .. تُنسب اليه ، النجاح والحب والورود .. له ، الجروح والكدمات والكسور .. لىّ ، ومع ذلك يقول إننا وجهان لعملة واحدة . نعم أنا الدوبلير ولكى تتأكد . سأخلع قميصى هذا ، انظر .. هنا فى الكتف الأيمن جرح .. ثمنه عشرون جنيهاً ، فى الجنب الأيسر ضلع مكسور .. الثمن سبعون جنيهاً ، تريد أكثر .. اذن سأخلع البنطلون ، ساقى اليسرى بها شرخ .. ثمنه أربعون جنيهاً ، فى الفخذ الأيمن ثلاث غُرزْ .. قفزة من سور ارتفاعه ستة أمتار ، فى منتصف البطن .. سحجة من ارتطام بالأسفلت بسبب قفزة من سيارة مسرعة . ومع ذلك .. فأنا لاأكرهه ، وأتمنى له الشفاء ، لسبب بسيط جداً ، حياتى ومصيرى ومستقبلى مرتبط به استمرارُه . هو استمرارى انكساره انكسارى . لا تتعجب .. هذه هى الحقيقة . هل تعرف ما هى المشكلة التى كانت تؤرقه حين طلبنى ؟ .. إنه مريض ولا يريد أن يعرف أحد ، هو الذى اقترح علىّ الحضور بدلاً منه ، ومع ذلك لم يكن لديه وقت ليسمعنى،أرجو أن تغفروا لى ثرثرتى ، أعذرونى ، هذه أول مرة أشرب فيها .

وقبل أن تستدعى بسنت الخادم ، انحنى الدوبلير وراح يلملم ملابسه قطعة .. قطعة ، انسحب ببطء وتحرك ناحية الباب ، فتحه ، خرج . وكانت طرقعة الضحكات داخل الفيلا ، تعلو على صوت نهنهاتة الواهنة المتقطعة .

دمنهور : محمد محمد حافظ صالح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العجـــوز والمدينـــة

رضـا البهـات

مثل قلعة سحرية فى رداء من غبش كثيف معتم ، بدت المدينة لقاصدها عبر هذا المطلع فى الفجر .. تلطخها هالات من ضوء مغبرّة البياض لمصابيح واهنة تتلامح فى ارتعاش إذ تقاسى طيلة الليل بث نورها القليل .. وتتحمل المطر .

وإلى تحت يتحدر المطلع ــ الذى هو أيضاً مهبط لأقدام آخر النهار ــ ليصلها بتخوم سكنت إلى هينة بيوت واضعة وأعشاش هجعى بدورها فى هذه الساعة من فجر شتائى لا يتسمع المرء فيه صوتاً سوى أزيز الليل المخبوء الغامض . وسريعاً يشقه صفير متقطع لقطار الصبح ، يصدى كزغرودة آتية من البعيد . حنيئذٍ يجوز للعين أن تلتقط عربة يد يجرها أحدهم يجهدان فى ارتقاء المطلع . أو تلمح أشباحاً مدثورة إلى آذانها والأنوف . تنقل القدم ثقيلاً أو تنزعها من الوحل اللزج نزعاً يفوت فيه فردة حذاء ، تجلله بضع زفرات من بخر أبيض فى دفعة أو اثنتين من أصوات الكحة والتمخط .

أتعرف هذين العمودين كثيفى التماسك كما سورتين بيضاوين يطلقهما منخارا حصان عجوز يجتهد مع عربة مثقلة بالأقفاص والأشولة . قبض الطين عجليتها فانغرزتا شمخ الحصان بعمودى البخار لأعلى وشدَّ قوائمه .. إنما تأبت العربة وطقطقت ألواحها . فعاد يشد صدره ويحمحم ضارباً بساقيه الخلفيتين فى دبدبة عصبية سريعة . وصاحبه العجوز فم كفله عنيفاً بيده . همَّ الحصان بجسده كله ، وحرك ناحيتين فى توتر زائد حتى أوشكت العربة .. هه ..

إنما زاد إحدى العجلتين مغرزاً أمال معه العربة ميلة كادت تسقط حملها .. فانهال العجوز بكفه على جانبى وجه الحصان الذى انتفض جسده ضارباً فى الطين بحوافره وهو يحمم مكرراً المحاولة .

هب .. هب .. هب .. انطلق العجوز صائحاً ، وعلت طقطقة تكسر مفاصل . فيما خطف الرجل جلبابه إلى فمه ، وخف إلى الخلف جنب المرأة صحبته ينشبان أقداماً أربعة فى كثيف الوحل ويزقان بعزم اثنين .

ــ بيدك معنا والله

صرنا ستاً من الأذرع ومثلها من الأقدام المرشوقة . ندفع فنحركها قليلاً ويئن صرير عجلاتها المكتوم بثقل الحمول ، حتى دوراناها نصف عجلة . هه .. هه .. وما كدنا حتى ارتدت بقوة إلى ذات المغرز .

انضم إلينا عابر ضخم البنية فأمّلنا خيراً . صرنا ستة سواعد وكتفاً تخفض لتعلق عليها عريش العربة هه هه هه ، إنما .. لا فائدة . صرَّ العجوز وجهه وهمّ ليحمل على خطم الحصان بقبضته لولا أنه لا حمحمة ولا صهيل . إنما خوار موجوع ونخير وقوائم سابية ، وعينان مرتخيتان وفم عن آخره مفتوح فاض بغرغرة لاهثة مكابدة .

لبث العجوز يدلك صدغى الحصان ورقبته ويمسد ويربت ويرمقه بعينى رجاء . ثم جثا ليدلك قائمتيه ، وبين الحين

والحين يرفع وجهه من جثوته إلى العينين المجهدتين فيجيء خفيضاً ممتلئاً ضراعة صامتة . خلته تخاطباً يفهمانه وحدهما . بل فعلاً راح يحادثه بصوت مخنوق شرقان لايبين ارتعش الحصان بنفضة فائقة ، مطلقاً حمحمة محشرجة اتبعها بأخرى رائقة ضارباً بقوائمه الأربعة مشرعاً رأسه وأعمدة منخارية البيضاء من جديد باتجاه الأعلى . وكانت تبينتْ المدينة بهيئة أبراجها والعمائر وزجزاج الأسفلت . وانجلت جهمة الغبش المعتمة إلى غلالة من ضباب زجاجي هش .

هممنا فى عزمة واحدة بصدورنا والأيدى ندفع ونزق . هب هب .. هووب هب ، هتف العجوز وهو منحن يفرق الطين بيديه عند زاويتى العجلتين المخلخلتين . ويدفع فيهما بحجرين .. ويدفع محتلاً كل قيد أنمله تنقلعها العجلتان . هب .. هب .

● نهاية بديلة :

صرنا ستاً من الأذرع وكتفاً لحيمة تخفض لتعلق عليها عريش العربة فيسهل دفعها هه هه إنما لا فائدة .. وفى قفزة واحدة كان العجوز أمام الحصان وعلى وجهه تكشيرة غاضبة متحدية . واندفع يهوى على خطمه بيديه لطماً عشوائياً . بل ويشب لفوق ليصوب لكماته إلى الوجه الهارب عبثاً .. فقد سدّت عليه مهاربه القبضة الملتاثة . وبقى للجسد المقيد إلى العربة أن ينتفض فى موضعه متوتراً ، أو تندفع مؤخرته لأعلى ضمن رفسات عاجزة . هدأ العجوز المنهك .. وكف كل شىء سوى غمغمة شاتمة وبصقة يصوبها كل حين إلى الوجه الساكن فى أسى .

عدنا نزق . حممم الحصان بزفرات مشروخة خنّاء . حاول أن يهم بصدره لأعلى .. حاول ، وأن يجأر ضارباً قوائمه فى غير ما توافق . بعد قليل .. ودونما حماس ، توقف كل شىء .

سكن الحصان .. سكن منهوكاً مدلى الرقبة . خذلته عافيته فنخ . فزع العجوز إليه والمرأة فى إثره تولول . فإذا هو إلى ذراع العربة يميل لاحمحمة أو صهيل إنما خوار موجوع ونخير ومنخاران يجهدان فى اجتلاب أنفاس موهنة وعينان كسيرتان منطفئتان شمخة ذاهبة وفم عن آخره مفتوح ملأته وفاضت غرغرة دامية مكابدة .

أسرع العجوز بفك رباطه من العربة . فلبث الجسد على وقفته للحظة كتمثال مائل هوى بعدها دفعة واحدة مرتطماً فى الوحل ، وآيلاً إلى رقدة ساكنة ، فيما سالت على جوانب فمه رغاوى دامية . وبدأ بخر أنفاسه القليل يرق .. ويرق .. ويتلاشى إلى بدد .

اندفع العجوز الذاهل يرفع الخطم ويحدق فيه بعينين فيهما عتب كسير ثم ليدعه يسقط من بين يديه وفجأة جن العجوز فانفجر بكل ما نخر فى روحه من مرار يرفع الرأس من الوحل ويرطمه ثانية فيه بقوة ، يرفعه ويرديه الطين .. يعليه ويرده وهو يرطن بكلمات غامضة متداخلة نخر حوافها حب يائس إلى أن أنهكه الفعل . فقعد إلى جوار الوجه المسلم إلى رقدته فى الطين دون حراك مجهشاً بالبكاء دفعة واحدة ، بينما كف سيل الرغاوى من جانب الفم المفتوح وإن ظلت خيوط دامية بين الأسنان والوحل .. وحل المطلع .

● نهاية ملائمة .

صرنا ستة أقدام مرشوقة ، ومثلها من أذرع تتبارى فى إظهار أقصى ما فيها من قوة . وكتف لحيمة رفعت عليها عريش العربة بيسر . ولما كان الجواد بعد فتياً ، فقد اشتد جسده كله وتوثب لعزمة نافضة يجللها صهيل مضى ممتلىء . وقد قبض شفتيه كاشفاً عن صفى أسنان قوية منتظمة . من فوقهما تنابعت أعمدة متتالية من بخر أنفاسه أبيض ملفوفاً ومتماسكاً إلى السماء ... إلى الأعلى وقد كشفت له طبقات الضباب المعتمة غلالة رائقة من ضباب الضحى الأزرق الشفاف وبدت له المدينة العالية كبيرة غامضة كالتوهة فى انفضاح أبراجها وعمائرها الشاهقة مرصوصة إلى جوار لا التصاقاً . فأطلق الحصان زفرات قوية وتطوحت إلى الجانبين دغلة عُرفه الناعمة فى بهاء وعنفوان . وأعمل كل عافية قوائمه المشدودة فى تحدٍ هاماً بكل جسده . وإن هى إلا همة واحدة حتى نهضت العربة بحملها الثقيل ليدرج بها على المطلع فى يسر وتحرر ؛ إلى أن بلغ اتصال المطلع الموحل بشريط الأسفلت النظيف فى بلل . حينئذٍ .. عنَّ للسيقان القوية الانطلاق سبق الريح .

وسهلت على العجلات المجاوبة وكأن العربة بلا أثقال وبلا شخصين يتربعان فى مقدمها بيد أحدهما مقود رخو لا حاجة إليه . إذ اندفع الجواد المشوق يركض .. ويركض فى خفة طائشة فرحاً بالمدى الخالى ، ومأخوذاً بنعومة الأسفلت المغسول الصقيل .. رامحاً فى فتوة بين الشمس التى وقفتها فى القصاد البعيد ، وبين ضحكات العجوز خلفه وصرخات ضاحكة للمرأة البدينة القابضة على ذراع العجوز احتماءً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تميل عليه ويميل عليها ويقعان ويعتدلان ممسكين ببعضهما مرة وبالأقفاص وراءهما مرة . تجلجل ضحكاتهما فى صراخ عابث مرح ، كطفلين فى أرجوحة .

أما الحصان الأرعن فبدا أنه يستمد من صراخهما العابث العافية . فيشرع غرته أكثر ثباتاً ويخفضها أكثر بهاءً ، فتخفض .. وتعلو . تخفض وتعلو فى توافق مع وثباته الرشيقة ، ومع دقات منتظمة لنزول حافرين وطلوع آخرين بمجرد أن يلامسا الأسفلت .. نزقاً .. خفيفاً .. مستطيباً نسمات الصبح الباردة المرذذة . فائتاً فى الأمام أبداً أعمدة منخاريه قبل أن تتلاشى ليفوت غيرها ، مشفوعاً بشمخة ذيله الثقيل . غير أن زلقة حافر .. زلقة واحدة لم تخطر بهذا الرأس الفتى الطائش الذى أسكرته فتوته وسحر المدينة .

المنصورة : رضا عطية البهات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفكـــــرة

سـعيد عـبد الفتـاح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عندما بزغت الفكرة فى رأس أحدهم . تداولوها فى فرح ، وغشيتهم المتعة المشوبة بقلق ، فامتـزجت داخلهم الرغبـة المحاطة بسيـاج من الخوف . لكنهم لم يستطيعـوا مقاومـة سحرها وعـذوبتها . نشـروا أبصارهم عـلى بدايـة الطريق المنحدر لمدخل القرية . فترة وقدة الظهيرة .

الـدّور محدد ومعلـوم : انتظار الخـواجة ، عـائـدا من عمله ،هدفُ هُمْ شديدو الإصـرار عليه . شملهم إحسـاس مفعم بالحيوية والحبور لحظة ظهوره .. بدأت أعينهم تتراقص تجـاهه ، تتـرصد خطـواته القـادمة نحـوهم ، تأكـدوا من سحنتـه ، فتدفقـوا وراءه منغمسين فى سـرور وانتعـاش ؛ بـإيقاعـات رتيبة ، وأكف ملتهبـة ، وصوت يكـاد يتوحـد : ياعزيز . ياعزيز . كُبَّة تاخـد الانجليز . يـردّدونها مـرات ، ومرات . مثيرين خلفهم غبار الطريق .

استبد به الغضب ، لكنه كره أن يبلغ به حد السباب . نظر إليهم مبتسما فى تبرم . هزّ رأسه ، ودفع يده اليمنى بجريدة مطوية كان يظلل بها رأسه .

قال :

ـــ يأولاد ال ..... الذى يحب أبويه ينصرف إلى بيته .

ثم استدار صامتا بوجه لا بشاشة فيه .. لم يتريثوا لحظة كلامه . لكن أحدهم توقف فجأة ، فتعرقل بعضهم وانكفأ ، ثم نهضوا يتابعـون الجرى فى حمـاس . متلذّذين بمـا حدث ، وإحسـاس غـامض فى صـدورهم ، يـدفعهم وراءه ، وهم يرددون : ياعزيز . ياعزيز .

كانوا أكثر فرحا واغتباطا من ذى قبل . شق عليه أن يسير داخل القرية ؛ يلاحقه بضعة أولاد ، يزفّونه كلما راوه حتى يصل إلى البيت . فتوقف للحظة رأى فيها : أن يسب أهلهم ، ويضرب فيهم ، لكنه أدرك على الفور عبثهم بوقاره . فتحرك صامتا .. كيف يتركون هذه الغرائز الطائشة تعبث إلى هذا الحد ؟. أولاد منعدمو التربيـة والأخلاق .. مـا هذا الـذى يقولونه ؟ .. أين أنا والإنجليز ؟ .. عمر مديد انقضى ! كـل العلاقة أن اسمى عزيز .. هذا كل ما فى الأمر .. هل أتركهم هكذا ؟

مضى شارد اللب ، والأولاد وراءه يصيحون فى صخب ، ويثيرون بأقدامهم عاصفة من الأتربة ، وهرجا شديدا . دفع بعض أهالى القرية إلى النظر إليه كلما مر ؛ يرسلون ضحكاتهم العالية ، ويخفونها من وجهه : الذى يستجديهم أن يدفعوا أولادهم عنه .

اهتزت صورته أمام عينيه ، وبرز الدم إلى وجهه : لابد أن أحدكم شاركهم ، أو دفعهم لما يقولون ... الهذا الحد تكرمون الغريب عندكم ؟

كانت عيناه تزدادان احمرارا وجحوظا ، لكنه اتجه لمدخل البيت ، يصفقه بشدة فى وجوههم ، فانتزع سرورهم خوف دفين ، وفراغ قلق ، خبا معه طغيان الرغبة الجامحة للّعب .

* * *

.... فرحوا كثيرا بوقوف الخواجة بينهم ، وتعجبوا أن يطلب منهم : أن يصيحوا بأعلى أصواتهم .. ياعزيز .. ياعزيز .. ! وهو يوزع عليهم كميات كبيرة من الشيكولاته ، والبونبون ؛ مكافأة لمن يرفع صوته أكثر .

تهافتوا عليه ، وتكالبوا . يرفعون أصواتهم بالهتاف ، يدقون بأيديهم أكثر فأكثر ، كلما ازداد نثر الشيكولاتة على الرؤوس . اغتبطوا بما يفعل إلى حد كبير ، وهو يشيع فيهم إحساسه بالفرح والسعادة لما يفعلون .

راحوا يضاعفون التهاب الأكف بالتصفيق الحار ، المتّسق ونغمات الصوت . وعندما تكلّ الأيدى ، أو تكفّ الأصوات ، يستزيدهم ، وهو يغمرهم فى سخاء لا ستجابتهم ، فيتبارون بتنغيمها وتحسين إيقاعها .

لا يدرون كم من الوقت مضى . لكنهم أحسوا بسعادة غامرة ، وقد تهادت أصواتهم تردد الهتاف فى نغم .

* * *

كانوا متوجسين من عدم حضوره ، شملهم قلق عندما تأخر عن موعده . لكن سرعان ما تبدد القلق ، وانطلقت عيونهم ترمق مجيئه فى فرح متوهج .. راقبوه عن كثب . رفع أحدهم رأسه متنهدا ، وهو يحرك لسانه على شفتيه . انتظر إشارة البدء منه ، وحين دخل الخواجة دائرتهم . هتف فيهم كقائد موسيقى :

ـــ هيا

فانطلقت أصواتهم تهتف فى حب لم يعهدوه :

ـــ ياعزيز .. ياعزيز .. كبّة تاخد الانجليز .

ظلّوا هكذا يردّدون ، وعند أوغل بهم سيراً . إلى مدخل القرية ، انخفضت أصواتهم شيئا . فشيئا . ثم توقفوا يتساءلون عن أكياس الشيكولاتة التى يحملها لهم .. وهم يتبادلون النظرات الهامسة ، المعاندة . فى اللحظة التى تركزت فيها أعينهم على يديه الخاليتين .

القاهرة : سعيد عبد الفتاح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بكاء الدمى

سناء محمد فرج

كان يتطلع الى الطريق من خلال زجاج النافذة المغلق ، عاقدا ذراعيه على صدره .. لم يلتفت إليها وهو يسمع من حين لآخر وقع خطواتها فى الردهة ، وهى تقترب من الحجرة ثم تبتعد . حينما شعر بالسكون نظر خلفه فرآها واقفة عند باب الحجرة ترقبه وبيدها دمية صغيرة تضغطها على صدرها .

اقتربت منه وربتت على كتفه برأس الدمية .

قالت : هل ترغب فى طبق حساء ؟ إنه جاهز .

قال لها وهو ما زال يتطلع إلى الخارج

ـــ لا أريد .

ـــ إنه ساخن وسيعجبك .

قال وهو يلتفت إليها ناظرا فى عينيها

ـــ أعتقد أن طعمه لاذع كالمعتاد .

ـــ تذوقه أولا ..

ـــ إنه لاذع ، أنت تغرقين أطعمتك بالملح كعادتك دائما .

ـــ لم أفعل هذه المرة .

ـــ إذن فدموعك المالحة هى التى تساقطت فى وعاء الحساء !

إن مذاق الطعام يتغير عندما ينقل إلى أوعية غير التى صنع فيها . رشف الملعقة الأولى ، انكمشت تقاطيع وجهه ، انتظر قليلا ثم رشف الملعقة الثانية . مال برأسه على الطبق الساخن . حملقت فى وجهه وهى تحاول أن تتذكر متى تذوقت هذا الوجه لأول مرة،أى طعم له كان فى بدايته ، إنها تتذكر الأشياء بطعمها ، كل شىء له طعم ومذاق خاص ، الوجه ، العين ، كل ما يقع عليه بصرها ، تتأمل وجهه وعينيه المستغرقتين فى صمت ممض ، تتنحنح وتحرك الأوانى بصوت مسموع ، تبدو على شفتيه بداية انقباضة ، ينظر خلف رأسها يتجاوزها تتلوى شفتاه وتضيقان ، ينطلق منهما الهواء فى تأفف وضيق .

ـــ ما هذا الطعم ؟

لاترد عليه .

ـــ إنه طعم دموعك التى لا تتوقف !

تنظر إليه فى هدوء متحفز ، هذا الكلام موجه إليها ، إن زوجها يعنى به شيئاً يخصها بلا شك . ترك الملعقة وأزاح الطبق بعيدا رفع عينيه إليها برهة ثم نهض وعاود النظر من النافذة .

ـــ ليتها تمطر ..

من النافذة تابع الرجل الذى طارت قبعته من فوق رأسه وأخذ يجرى وراءها ، ثم تابع طفلة بيضاء كانت تتسلق الأحجار المتراكمة فى الممر الضيق فتنزلق قدماها ، لكنها تتماسك وتصعد إلى أن تجلس فوق هضبة الأحجار وتفك أشرطة شعرها وتبقى فى انتظار طويل .

أحست أنه ينظر إليها ويتابعها رغم أن وجهه متجه إلى الخارج . اقتربت منه مترددة لكنها تراجعت إلى الخلف . أحست أنها لا تستطيع أن تنطق كلمة ، كلمة واحدة يتقبلها .

تقترب خطوة وتتراجع خطوة ، وهو ثابت فى مكانه ، ينظر خلال زجاج النافذة إلى بعيد ، يبدو وهو ينقل بصره من الأفق البعيد إلى الطريق أسفل البيت وكأنه منفصل تماما عما حوله ، منفصل عنها وعن محتويات الحجرة ، ودت لو تشاركه أحاسيسه ذات المذاق الخاص . لا تستطيع أن تسأله الآن ، عليها أن تنتظر وتواصل حركتها خلفه ، لعله يلتفت إليها ويحدثها إنه يفعل ذلك أحيانا ، تجذب الدمية إلى صدرها .

بدت المدينة العتيقة وسورها القديم يلتف حولها على امتداد الرمال الناعمة .. الأشجار العالية ، والقباب ، وأسطح البيوت ، وتوهج أضواء الشمس فوق البيت العريق .

بوابات المدينة مفتوحة ، والأطفال يلهون ، يلتفون حول الشجرة الكبيرة فى مدخل البيت ، يصنعون بأياديهم دائرة واسعة حول الشجرة ، يدورون حولها فى رشاقة وخفة وهم يرددون انشودة جميلة : فتحى ياوردة ... غمضى ياشجرة .. هنا قصر وقطوف .. هنا فرح وضيوف .. هنا شجر وزيتون .. هنا طير وغصون .. فتحى ياشمس .. هنا فارس وخيول هنا شعر مجدول ....

تتمايل الأذرع والوجوه الصغيرة الجميلة فى الظلال الناعمة وتنتهى الأنشودة وينطلق الأطفال من كل البوابات ، وتبقى هى الطفلة التى يأتى إليها الأطفال يطلبون عطفها وحبها . تلاعبهم لعبة الأم الكبيرة فتجلس تحت الشجرة وتأمرهم بالذهاب بعيدا والاختفاء حتى تأمرهم بالعودة من خلال بوابات المدينة .. فيختفى الجميع وتسكت أصواتهم للحظات ينطلق بعدها صوت الأم الكبيرة يأمرهم بالعودة بأسرع ما يمكن فتستقبلهم بالترتيب وتعلن أسماءهم واحدا وراء الآخر فى بهجة وفرح . تجمعهم تحت ظل الشجرة وتطلب من كل واحد منهم أن يأتيها بطائر مختلف له القدرة على التحليق . يتفرق الأطفال من جديد ، ويختفون وراء بوابات المدينة ، وتشغل هى نفسها لحين عودتهم التى قد تطول ، فتأخذ سلتها وتروح تجمع حبات الزيتون ثم تعود إلى الشجرة وتتذوق طعم الزيتون وعيناها تومضان تحت ظلال الشجرة والسماء الرطبة وتغيب الشمس لكن توهجها يبقى فى سماء المدينة العتيقة ، وبعد وقت تسمع الجلبة التى تسبق عودة الأطفال ، إذن فقد عادوا ومعهم طيورهم . عرضوا طيورهم عليها . تقدم الطفل الأول وفى يده عصفور صغير ، والثانى يقبض على فرخ نسر ، والثالث يداعب ببغاء ، والرابع يحمل هدهدا زاهى الألوان .. ويقبل طفل صغير من بعيد هو آخرهم ويعطى الأم الكبيرة طائره قائلا لها وهذا هو الوطواط جئت به من الظلام . وكانت هى تمسك كل طائر برقة بين أصابعها ، تمسح على ريشه ثم تطلقه ، وعندما أمسكت الوطواط وجدته ميتا .. نظرت إلى الطفل الذى أتى به فمال الطفل برأسه خجلا ، لكنه نظر فى عينيها وهمس لها بشىء ما ، قالت له خذه والق به خارج بوابات المدينة .. وتنتفخ النافذة الواسعة فى البيت العتيق وتطل رأس الأم تناديهم فيمشون إليها تملؤهم الغبطة .

ما زال واقفا بالقرب من النافذة يتطلع إلى الطريق خلال الزجاج الشفاف . أمسكت بالدمية وهى تتنهد ، سارت عارية القدمين فوق سطح البلاط البارد ، اقتربت منه فى صمت .

ـــ هل سمعت نشرة الأخبار ؟

أدارت مفتاح الراديو ، تلاحقت الموجات مصحوبة بصفير متقطع ، أخذت تعبث فى مؤشر الراديو وهو لا يلتفت إليها ، كان يتحسس شعره ويدعك أرنبة أنفه ، عيناه محملقتان هناك . سمعت صوتا غريبا يأتيها من الراديو ، تنبهت لعله يكون صوته هو ، لكنه كان صامتا ، فهو هناك والصوت يقترب من حلم بعيد .

الأشياء يصبح لها طعم آخر بعد أن تذوب ، هذا ما قالته فى نفسها وتردده من حين لآخر . أحست ببرودة ورعدة قبضت على الدمية بأصابع مرتخية ، ورأته يتكىء على الكرسى الكبير ورأسه لا يستدير إليها . تنتظر أن يلتفت إليها ، أن يشعر بوجودها .

ـــ منذ كنت وأنا أحبك .. لماذا لا تقول لى أحبك ؟

هز كتفيه بدون صوت . خرجت من الباب واستدارت تنظر إليه فى شرود . سمعت صوت بكاء ينبعث من الراديو ، تحمل الراديو إلى داخل الحجرة ، فى الصوت بحة ونبرة مرتجفة لعله يلتفت ، التفت .

ـــ لماذا لا تجلس معى وتحدثنى . ؟

ـــ تكفيك الدمية .

ـــ أتعجبك ؟

ـــ إنها تشبهك

ـــ تستطيع أن تحضر لى واحدة أخرى تشبهك .

ـــ كيف ؟

ـــ اقترب منى ، حاول .

ـــ لا أستطيع .

ـــ ماذا قال لك الطبيب ؟

تتبدل ملامح وجهه الملتهب ، يلتفت بعيدا . تضرب بالدمية على مفاتيح الراديو ، يضعف الصوت وتتحشرج الموجات البعيدة .. ودت لو سحبت سؤالها الأخير . يتظاهر بأنه لم يسمع ، لكنه هناك وقد سمع ما قالته . من خلال الزجاج رأى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لرجل ذا الجلباب وهو يدفع بالأرجوحة ويقف بجانب شارع ، يمتطى الأطفال الأحصنة وتدور الأرجوحة بهم أيادى الاطفال الصغيرة تقبض على الأسلاك الحديدية رفيعة ليحموا أنفسهم من السقوط . تدور رؤوس الأطفال حت مظلة الأرجوحة والرجل يتكىء على عصاه يراقب حركة أطفال فوق الأحصنة

آدرات مفتاح الراديو « الطفل فى المغارة وأمه مريم وجهان بكيان » ارتعشت وأرهفت السمع « يا مدينة السلام صلى » كرت أن تنهض لتتوضأ وتصلى ، تراءت لها حبات التمر رطبة تتساقط ، لماذا لا تذهب إلى النخلة وتهزها ؟ دفعها نه ، تذكرت أنها هوت فى البركة وتعلقت بسيقان النباتات تى تنمو على حافة البركة ، رآها طفل كان يبحث عن الزنابير خضراء ، مد يده إليها وأخرجها بذراعه الصغيرة ، يلوح ام عينيها وجه الطفل ، الآن هى لا تنسى ، لماذا لا تحكى له ا تتذكره وما تراه حتى تبعده عن النافذة ويخرجان من سمتهما . انصت إلىّ ، أريد أن أحكى لك ذكرياتى القديمة ، حلامى سأحدثك عن المدينة العريقة والبيت العتيق ، لم يعد ناك وقت نهدره فى الصمت ، لن أسألك عن شىء . يتابع طفلا ثر وهو يحاول أن يمتطى الحصان ، حمله الرجل ذو جلباب وأركبه فوق الحصان ودارت الأرجوحة . عادت إلى سمتها وهى تردد بين شفتيها الطفل فى المغارة وأمه مريم جهان يبكيان .. ياقدس يامدينة السلام ، صلى أى غياب

هذا ؟ لماذا لا يسمع ؟ صرخت ، هيا نذهب إلى هناك قبل أن نفقد كل شىء ، صراخها نوع من الصمت وبدت لها المسافة التى تفصلها عنه طويلة طويلة ، تتأمل ، رأسا منحوتا وعينين جاحظتين تائهتين فى الأفق ، نظرت فى الحجرة ، الملابس ملقاة على الأرض ، أبواب الدولاب مفتوحة تكشف عن رفوف فارغة وشماعات مائلة بلا قمصان ولا سراويل ، لم يبق إلا أن تسقط هذه الشماعات والكوميدينو المنحرف عن موضعه وعلى حافته صورة ممزقة وكوب مقلوب ، السجادة بهتت ألوانها وتلوت شراشفها ، فوق السرير تبعثرت كل الدمى الجميلة التى كانت تحتفظ بها ، وتمثال رأس اخناتون مدفوس بينها ، قوة خفية تمنعها من البكاء والحزن يفتت قلبها ، تتذوق طعم الملح على شفتيها وتزدرد قلبها . تمسك إحدى الدمى وترفعها فينقلب تمثال اخناتون على ظهره ، أخذت تجمع الدمى المبعثرة ، ترى فيها وجوها عرفتها وألفتها . رصتها حولها وتطلعت إلى عيونها ، كانت الدمى تبكى .

رأى الأطفال وهم يهبطون من فوق الأحصنة ، والرجل يتحرك راحلا بأرجوحته حتى اختفى . اقتربت منه حتى شعرت بأنفاسه الحارة تتصاعد ، أرادت أن تحوطه بذراعيها لكنها تراجعت إلى الخلف ، سمعت صراخا ينبعث من بين ساقيها ، انحنت وأمسكت بدمية كانت تتشبث بها ، أحاطتها بذراعيها فى حنان بالغ ومشت بها خارج الحجرة ❊

السويس : سناء محمد فرج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كـــــراســـــة

فريد محمد معوض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الخارج برزت عصاه قبل أن يدخل الفصل ، حبط بها على الباب خبطتين فأسرع كل واحد منا إلى مكانه ، التزمنا جميعا بالسكوت ، مدرس الإملاء .. يبدو نحيفا مثل أبى ، وله زعقة تحرك الأدراج .. قال : جلوس .

كنت فى مقعدى ارتجف ، غير قادر على الامساك بالحقيبة البلاستيك .

- أخرجوا الكراسات .

كان أبى قد صنع بالحقيبة فاصلاً من البلاستيك ، فأصبح للكراسات والكتب ناحية وناحية للقمة تدسها أمى فتتفتت من شدة جفافها كما أزعم ، أو من شقاوتى كما تزعم أمى . أدخلت يدى فى الناحية المستندة إلى بطنى ، ارتعشت أصابعى ، قلبت الحقيبة ، ونظرت ناحية السبورة . كان الأستاذ يكتب التاريخ الهجرى على اليمين والميلادى على اليسار ، وفى المنتصف الأعلى من السبورة كتب : رحلة إلى الأقصر . يدى ما تزال تبحث ، أخرجت المسطرة الخشبية ولاحت لى الأيام الماضية سوداء . طلب الأستاذ ممن لا يملك كراسة أن يخرج إلى السبورة ، سبعة وقفنا ، الصباح بارد والعصا قوية والويل لمن يسحب يديه وهو يُضرب ! ستلف العصا حول ظهره فيتلوى .

- امى أريد كراسة .
- كل يوم كراسة ؟ الم نشترى كراسة منذ أسبوع ؟
- كانت للحساب .
- والتى قبلها ؟ .
- كانت للعلوم . وأريد كراسة للإملاء .
- انتظر حتى يحضر أبوك .

يزعق أبى ، يلعن المدارس ، ثم يقول وهو خارج للغيط : انتظر حتى يحلها الحلال . وطلب الأستاذ ممن لا يملك كراسة أن يخرج إلى السبورة - كنا اربعة ، وكانت حصة الضرب قد زادت ، بكيت ، بل كرهت الأستاذ وكرهت البقال الذى أعطى لأمى الشاى ولم يعطها كراسة . قال لها : ليس عندى كراسات ، ألحت عليه أمى فقال لها : قلت لك ليس عندى .. من يسمعك يظن أنك دفعت ثمن الشاى ! حكت أمى لأبى ما حدث وسمعتها فبكيت واردفت أمى لأبى :

- إما أن تحضر له كراسة أو تقعده بالبيت .

ومنذ يومين كنا ثلاثة . اقسمنا للاستاذ أن نحضرها فى الغد فسامحنا غير أننا لما فارقنا السبورة إلى مقاعدنا ضربنا على ظهورنا ولطمنى بيده .

البارحة أشبعنى ضرباً ، كنت وحدى الذى لم أحضرها . ليلة أمس أحضر أبى الكراسة وقبلته ، وشرعت فى نقل الدروس الفائتة . فى تلك الليلة كان أبى يملك نقوداً كثيرة . أعطى البقال حقه ولم يعد يصرخ فى أمى ،! وفضلاً عن الكراسة أعطانى مصروفى . وجرت إلى أمى وأنا أصرخ فى الفراش . قالت : ما بك ؟ قلت : كنت أحلم يا أمى وليس لدى كراسة ، مسحت دموعى بطرف ثوبها وبكت وقالت سنحضرها عصر اليوم ، وبكت مرة ثانية وقبلتنى وقالت على غير أذان : افرجها يا رب !

السماء كانت غائمة صباح اليوم ، طلبت من الله أن تمطر فيصير الطريق الزراعى وحلاً ولا تسير عليه دابة ولا اتوبيس ولا يأتى الأستاذ . بل يموت . أريد له أن يموت حتى لا يضربنى فى ذلك الصباح البارد على أصابعى .. ما أمطرت السماء ولا مات الأستاذ ، لكنه لم يطلب خروجى للسبورة ، ربما لم يتذكر بعد ، ها هو يُملى على زملائى ،! وها هم قد كتبوا نصف الموضوع ، رأسى منحن وراء الدرج ،! لم يرنى لكن قلبى كان يرجف من هذا الولد الجالس بجانبى ،! كل دقيقة يهمس فى أذنى :

سأقول .. سأقول !همست أرجوه فسكت . جمع الأستاذ الكراسات وصرخ ففزعت قال : بقيت واحدة . انكمشت ، أحسست أننى أختنق وارتعشت أصابعى ، وحين أشار الأولاد نحوى ، انفجرت فى البكاء وقلت : أنا يا أستاذ .

طلب منى أن أخرج إلى السبورة ، شعرت أننى سأموت ، سيتضاعف الجزاء ، هو لا يرحم أو يعلق لافتة على ظهرى كتب عليها : بليد الفصل ، ويزفنى الأولاد . صرخ الأستاذ : أسرع وقال ليس منى فائدة . ثم زعق وطلب أن أمسك بأصبع الطباشير فأسرعت فى ذلك ، أملى على الأستاذ ، كتبت ، انتهى عند معبد الكرنك وقال بهدوء : تعال . العصا فوق دفتره .. تقدمت إليه بخوف قال : خطك جميل .. ما اسمك ؟ قلت : زكريا . ولم لا تحضر كراسة يازكريا ، لم أرد . انفجرت فى البكاء ، رمق سروالى وشد ناحية منه إلى أعلى فصارت بمستوى الأخرى ،! وضم بيده مكان الأزرار المقطوعة من مريلتى ثم ربت على كتفى وقال للتلاميذ : زكريا خطه جميل وله هدية عندى : سأمنحه كراسة للاملاء .. ففرحت والدموع ما تزال تبلل وجهى . مسح الأستاذ دموعى وطلب أن يصفق لى الأولاد .

المحلة ـ سامول : فريد محمد معوض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هـــديل العـــزلة

طـــارق الطـــيب

ARCHIVE

عزلة فرضتها على نفسى عمداً . سمحت حالتى المادية الميسورة بالسكن فى هذا الحى الهادىء ، البعيد عن مركز المدينة ، فى شقة واسعة بأعلى طابق من مبنى حديث . أشهد من أعلى جمال المدينة ، واستمتع بهدوء وحدتى ، حين يأتى المساء وتلبس المدينة ثوب السهرة ، ويغوص الهدوء فى سكون خاشع ، تنقطع صلتى بالعالم نهائياً . أطفىء الأنوار ، واتحد مع رهبة الظلام فى صلاة عشق حزينة .

فى الصباح أقف خلف زجاج غرفة المعيشة المانع للضوضاء ، أشهد سكون الساكن ، واتبع حركة المتحرك . أتحد مع الطبيعة بطريقتى . أقرؤها من خلف الزجاج ، ولا أسمح لأُذُنَى بالتصنت حتى لا أفسد ما يدور فى مخيلتى من حوارات أختلقها واركّبها كيفما شئت لمن وما أرى .

الجو يتقلب ، والحرارة تشتد أحياناً ، ولا مناص من فتح النافذة فى بعض الأحيان لتغيير الهواء الحار ببعض النسمات المنعشة لكن يبدو لى العالم مختلفاً ، يفرض وجوده على عزلتى ، وتغلب حاسة السمع على بقية الحواس ، تجبرنى على

أنصات : فأسمع شقشقة وحفيفاً ونباحاً ، وضجيجاً حركات عربات لا أراها ... وتتكرر الحكاية كل يوم ، وتتكرر أصوات ؛ فتفسد صفاء عزلتى ، وحين أغلق نافذتى ، ظف غرفة المعيشة جيداً من غبار الخارج ، أعيد اللمعة ثيرة لأرضية الحجرة الخشبية كما كانت . آتى بالدهان قضى وقتاً طويلاً ألمّع الأرضية ؛ رغم أنها لم تتأثر كثيراً من ح النافذة ، إلا أن إحساساً دائماً يسيطر على بأنها قد يرت ولابد من إعادتها كما كانت .

فتحت يوماً النافذة للتهوية ، وبالطبع أجبرت على أنصات . ثمّ تغيير ما قد حدث . صوت جديد طغى على جموعة الأصوات التى أسمعها .. كان هديلاً واضحاً . رجت رأسى من النافذة ، وجدتها بالقرب منها تمشى على افتها العريضة جيئه وذهاباً ، وتحرك عنقها برأسها إلى أمام والخلف فى حركة تسبيح منتظمة تتماوج فيها ألوان يف رقيقة على عنقها . بقيت أرقبها محاولاً ألاّ آتى بحركة اجئة لكى لا تطير ظلت تنظر إلى وأنظر إليها وقتاً طويلاً ، لمسافة بيننا ثابتة . استغراب منى وخشية منها ... دخلت حضر لها شيئا تأكله ، حين عدت لم أجدها .

ظهرت فى اليوم التالى فى نفس الوقت ، وفى نفس المكان فَت . كنت قد جهزت لها بعض الحبوب أملاً عودتها . ضعتها لها على حافة النافذة ، فكّرت طويلاً ، تقدّمت ببطء ، م أكلت ... صارت تأتى كل يوم فى نفس الموعد ، وتتجاوز لتدريج حدود الخشية الوهمية ... تعودت عليها وألفتها .. أصبحت أنتظرها .

خريف

كلما أتت كنت أترك النافذه مفتوحة وأبتعد قليلاً لأسمح ا بالدخول ، ظلت أياماً مترددة وبعد معاكسات الريح ، ناثر الحبوب من حافة النافذة مع الهواء ، دخلت خائفة ى ، مستعدة للهرب فى أية لحظة ... تعودت مع الأيام عند ضورها الدخول مباشرة الى غرفة المعيشة ، ومن الأكل الذى فظته لها تأكل بسرعة وهى تراقبنى ، ثم تعود بسرعة لتقف لى النافذة تكررت الحكاية حتى تعودت البقاء لوقت أطول عى ؛ فخصصت لها ميزانية أسبوعية لإطعامها .

نجَحت فى إجبارى على تغيير عادة الانغلاق التام تجاه لخارج نجحَت فى اجبارى على اعادة استعمالى لحاسة السمع لى نحو جديد . غيّرت من عالمى وحبَّبتنى سماع الهديل .

أسعدنى ان تكون لى صديقة تزورنى كل يوم ، تطمئن على حالى ، وضايقنى منها حريتها فى الهروب إلى الفضاء الواسع كلما أرادت بلا استئذان ... وجرتنى الصداقة إلى التعود ، والتعود إلى الرغبة فى الاستحواذ ... خططت لإبقائها معى فى شقتى الواسعة دون أن تهرب كل يوم إلى الفضاء .

حين أتت فى اليوم التالى ، كانت الخطة جاهزة : استدراجها للدخول أولاً ، ثم عدم السماح لها بالخروج بعد ذلك . جاءت ودخلت . أُغلقت النافذة أصيبت بالهلع وظلت تطير فى الغرفة فى دوائر مجنونة ، وترتطم مرات بزجاج النافذة المغلق . ثم وقعت على الأرض فى ركن الغرفة البعيد عنى ؛ قدمت لها بعض الحبوب والماء ! فلم تأكل ولم تشرب .

كانت سعادتى فى منتهاها تلك الليلة وأنا أعيد النظر من أعلى إلى المدينة النائمة فى حلتها القاتمة المرصعة بالجواهر المتلالئة ، وقد أغلقت نافذتى مرة أخرى ومعى صديقتى ... كانت خائفة تطير إلى أبعد ركن فى الغرفة كلما اقتربْت منها . تركتها فى الغرفة وأغلقت عليها الباب .

استيقظت فى اليوم التالى مبكراً على غير العادة وذهبت لأصبّح على صديقتى ... صُدمت فيما رأيت ، الغرفة النظيفة التى ألمعها كل يوم صارت فى ساعات قليلة كحظيرة الدجاج ، انتثرت الحبوب فى كل مكان ، وانسكب الماء على الأرض . بقع فضلات هنا وهناك . بقايا ريش وزغب فى أماكن مختلفة ورائحة غريبة تنبعث من المكان . ثرت عليها وحاولت الامساك بها ، طارت فى الغرفة بجنون وانتثرت بعض ريشاتها وسقط حوض أسماك الزينة فانكسر زاد غضبى . فتحت النافذة وهددتها بصحيفة كانت فى يدى وأنا أسبّها بأحط الكلمات .

طارت وحلقت فى الفضاء فى دائرة كبيرة قبل أن تهبط بين الأشجار البعيدة ، تابعتها بلعناتى حتى اختفت . عدت إلى الحجرة ، وجمعت زجاج الحوض المكسور ، وللمت الأسماك التى ماتت ووضعتها فى المزبلة . أحضرت أدوات التلميع وبدأت فى تلميع الغرفة من جديد .

بعد الظهر ، هدأت ثورتى ، فتحت النافذة أنظر لعلها أتت . لم أعثر لها على أثر؛ بحثت بعينى فى كل ما حولى من أرض فضاء . لم أجد طائرا وحيداً . تركت النافذة مفتوحة طول اليوم .. فى اليوم التالى .. طوال الأسبوع ولم تعد تأتى الىّ . ندمت على حماقتى ، وتمنيت لو تعود مرة أخرى لأسمح لها بالبقاء ولتفعل ما تريد . كل ما علىّ أن أزيد من مرات تلميع الغرفة ، ولا بأس من هذا . بل سأسمح لها بالبقاء على حافة النافذة إن ارادت ..... مرت الشهور طويلة كئيبة ، وأملى معها يبرد كأيام الشتاء الآتية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشتاء

فتحت نافذتى فى هذا الصباح البارد بقصد تنظيف زجاجها الخارجى سمعت الصوت الذى انتظرته شهوراً يطغى على بقية الأصوات عادت الىّ مرة أخرى . كانت تقف على نفس المسافة التى رايتها فيها أول مرة . شعرت بكل السعادة وقد عفت عنى وعادت مرة أخرى . هرعت للداخل ابحث عن طعام لها . عدت لم أجدها . تحيرت فى أمرى ؛ هل ما رأيت حقيقة أم وهم ؟ بقيت النهار حزيناً .

فى اليوم التالى عادت ووقفت فى نفس المكان . بقيت انظر اليها طويلاً لأؤكد لنفسى أننى أراها فعلاً ولم اتوهم ، ثم ذهبت بسرعة لأحضر لها حبوباً لم تتحرك من مكانها حين عدت . قدمت لها بعض الحبوب فى خط يصل إلى داخل الغرفة حتى تدخل مرة أخرى إن ارادت ، لكنها أكلت رُبع الخط الذى رسمته لها ووقفت مكانها على نفس حدود الخشْيَة الوهمية التى كانت عليها فى الماضى تلمست لها العذر هذه المرة ؛ فأنا الذى بدأ بالغدر . لم أشأ إجبارها على الدخول واكتفيت بتأملها من بعيد وتكررت الأيام . تأتى ثم تطير تأتى وتطير ، ومسافة الخوف ثابتة .

وبدأ العام الجديد وبدأ الثلج ينهمر بكثرة كانت تأتى إلى سريعة وتقف فى مكانها . أقدم لها الحبوب . تأكل ثم تطير إلى الفضاء .. .. تركت نافذتى أياماً مفتوحة علّها تدخل من تلقاء نفسها . أبت الدخول ، وأصبت أنا بالبرد والسعال .

مرة اضطررت للبقاء خارج المدينة يوماً كاملا ، وعدت متأخراً جداً . درجة الحرارة تحولت إلى درجة برودة فى ذاك اليوم . كان الجليد يغطى الشوارع والثلج ينهمر بلا انقطاع . فتحت باب الشقة وخلعت معطفى وقفازى وحذائى الطويل الضخم ، وبقية الملابس الثقيلة ، وجلست بالقرب من المدفأة انتظر سريان الدم المتجمد إلى أطرافى .

« آه ، صديقتى ، صديقتى ، لقد نسيتها اليوم » .

قلت هذا بصوت عال لنفسى ، قفزت من مكانى متعجلاً لأراها وأفتح لها وأنقذها من عذاب الخارج . كانت خلف النافذة مباشرة مغطاة بالثلج . فتحت النافذة بسرعة ونفضت عنها الثلج وأخذتها للداخل كانت جامدة كأنى اخرجتها من ثلاجة . وضعتها على مخدة صغيرة جوار المدفأه متمنياً الا تهرب منها الحياة .. .. انتظرت طويلاً ولم تتحرك .. .. تحركت دمعة كبيرة ساخنة من عينى . سقطت على ظهر ابهامى شعرت بها كأنها حجر سقط على راسى .

وقفت قليلاً انظر من خلف النافذه إلى الفراغ ، لم أر شيئا كان الثلج يهطل بلا انقطاع . لبست ملابسى الثقيلة من جديد وخرجت من الشقة لم أعرف إلى أين أذهب وماذا أفعل بها .. .. تنبهت على صوت مغلاق الباب وأنا أغلقه خلفى بالمفتاح . كان هذه المرة أعلى من المعتاد .

قبينا : طارق الطيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

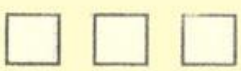

قلب الوردة

مصطفى أبو النصر

من تلك ، اللحظة الغائبة فى الزمن بدات استمد القدرة على الإدراك . نظرة غير واضحة ، هائمة فى الفضاء العريض ، أحاول الإمساك بها ، ولكنها تفلت وتتراوغنى قد أصل إلى ما أريد ، ولكن متى ؟

لا تظن أننى أحاول أن أبدو على غير الصورة التى أنا عليها . المرآة التى أمامى لا تعكس إلا الظاهر ، امّا اعماق فلا بدلها من مرآة أخرى ، انا نفسى ، لا أدرى عنها شيئاً .

هل الضحكة التى تنطلق من صدرٍ خلّى ، هى نفسها التى تطلقها القلوب المثقلة ؟

إنه مجردسؤال . الإجابة عليه ليست ضرورية ، ولا هى أصل موضوعنا .

سأقول ما أريد ، ولكن فى حذر شديد . فالعيون التى تحدق بى تبحث لى عن سقطة ، عن زلة لسان ، أو نظرة مستريبة .

سأغمض عينى ، وأعيش فى ظلمة ربما هدتنى إلى ما لم استطيع أن أراه فى النور . لماذا لا تريد أن تقول لى كل شىء ؟

سأحاول ما استطعت أن أتلمس لك عُذْراً ، قد يفتح لك أبواباً ظلت مغلقة سنين عددا . هأنذا اقف فى الساحة الرحيبة . ضوء الشمس عودياً . الأشياء تبدو واضحة لا ظل لها . الحركة سهلة وليس لأحد أنيصطنعمشية أو نظرة أو لهجة . كل فرد فى شُغْل بنفسهعن الآخرين .

هذا هو المكان الذى يصح أن أبدأ منه . من هنا يمكن لى أن أتخذ لنفسى موضوعاً ، علىّ أن أدور حول نفسى ، وفى الوقت نفسه حول الميدان ، ومن خلال هذا العروج ، ستتفتح لى الأبواب كالوردة حين تكشف عن قلبها .

أرجوك ، لا تقاطعنى ، فليس ثمة ما يدعو إلى التساؤل أو الاستفسار . الأشياء ليست واضحة ، ولكنها ليست عصية على الفهم ، فالدقة فى المحاولة قد تنتهى إلى النتيجة المرجوة ، الأصل أننى هنا ، وليست هناك ، ولكن الاستحضار الكامل لما مضى ، قد يحدد معالم المستقبل . سأقول كل ما يعنُّ لى . كلا ، لا يجوز لى أن أطبق لخيالى العنان .

الآن أرى الصورة . صورة مغلفة بضباب كثيف لصندوق قديم ، اسود اللون ، مكعب ، من أحد جوانبه يتدلى قفل نحاسى لامع فى حجم قبضة طفل . المفتاح ليس معى وربما ليس مع أحد على الإطلاق . الصندوق من الخشب ، وعلى الرغم من قِدَمِه ، فإن سواده يبدو لامعاً وإنْ علته طبقة رقيقة من الغبار ، حين أرقد على بطنى لأنظر إليه وهو قابع تحت السرير ، أمدّ يدى وأمسك بالقفل وأحاول أن أجذبه ، ولكنى لا أستطيع لمدى ثقله تتكرر هذه المحاولة مرات كثيرة ، فى كل

مرة يظل السؤال معلقاً بلا إجابة ؛ « ما الذى يحويه هذا الصندوق ، ولِمَ هو بذلك الثقل الشديد ؟ » .

تفاجئنى أمى وأنا على هذه الحال . يند عنها صوت تحذير ؛ « ابتعد ابتعد ! » ترتد يدى بسرعة والتفت لأنظر إليها . تندفع نحوى وتشدنى من قميصى ؛ « إياك ، إياك أن تقرب هذا الصندوق ! » أسألها عما فيه ، تتجاهل السؤال . فألح ، فتجيبنى وهى تدفعنى خارج الحجرة ؛ « لا شأن لك ، واحذرك أن تلمسه مرة ثانية . »

أبى جالس فى غرفة أخرى ، مستغرق فى قراءة كتاب ضخم . أقترب منه خطوات متلصصة ، وأمدّ رقبتى محدقاً فى الكلمات السوداء دون أن أعرف ما فى باطنها . يرفع أبى عينيه عن الكتاب ، يتأملنى لحظة مبتسماً ، فأبتسم أنا أيضاً يرفع يده ويربت بكفه على كتفى ويسألنى إنْ كنت أريد شيئا . أخفض رأسى وأفكر إن كنت سأجرؤ على سؤاله . فى هذه اللحظة تظهر أمى واقفة عند عتبة الباب ، ثم تقول فى صوت مشحون بالضيق ؛ « ألن تتخلص من هذا الصندوق ؟ . » لقد ابتسم لى وأظنه – لو سألته – سيخبرنى بما فيه. لم أر أبى يفتحه قط ، ولم يتكلم عنه قط . الآن جاءت الفرصة . كثيراً ما أساله عن أشياء غامضة أو مجهولة ، فيجلسنى على ركبتيه ويشرح لى ما سألت عنه . الآن جاءت الفرصة « ما الذى فى ذلك الصندوق ؟ ولكن أبى يتجاهل السؤال ، يتظاهر بأنه لم يسمعنى ، ويحول وجهه عنى . ويتجه بعينيه إلى أمى التى كانت ما تزال واقفة تنتظر الإجابة . « لا تخشى شيئاً » ولكنها لا تقتنع بهذه الإجابة ، فتقول له ؛ « لقد رأيته (مشيرة إلىّ) يحاول فتحه » . أنتهزها فرصة أخرى فأسأله فى إلحاح وأنا أتقافز ؛ « بابا ، بابا ما الذى فى الصندوق ؟ . » وللمرة الثانية يتجاهل أبى الإجابة « لا خطر من ذلك ، ثم إنّ المفتاح معى . قال ذلك ثم اتجه بوجهه وعينيه إلى صفحة الكتاب ، وكأنه بذلك قد أغلق الكلام فى هذا الموضوع . تغادر أمى الغرفة ، دون أن تقول شيئاً أو تعلق على ما قال ، وأظل أنا واقفاً فى مكانى بالقرب منه ، متظاهراً بأننى اتأمل ما فى صفحة الكتاب ، وفى داخلى رغبه مكبوتة ، ولكنى لا اتجاسر على السؤال مرة أخرى . بعد قليل أكتشف هناالسؤال مرة أخرى . بعد قليل أكتشف أنه لا لزوم لوجودى ، فأتسلل خارجاً وقد تبدد أملى فى معرفة ما فى داخل ذلك الصندوق .

ليس ثمة ما يدعو إلى الدهشة ومع ذلك كنت أتحرق شوقاً لمعرفة كل شىء . كنت أبدأ بالسؤال . سؤال مبهم غير مبين . القيه جزافاً ، وبلا ترتيب سابق ، وأظل أردده وكأن مصيرى وحياتى كلها قد تعلقتا فى كلمات هذا السؤال .

فى الوقت الذى تكون فيه أمى مشغولة بأمور البيت من تنظيف وترتيب ، أتعلق بذيل ثوبها وكأنى علقة . أينما تذهب أذهب . فى البداية تبتسم لى وهى تتأملنى من فوق وأنا أرفع لها رأسى وأبتسم وأنا أوجه إليها السؤال وغالباً ما يكون غامضاً ، والحقيقة أنه لم يكن غامضاً فهو مجرد كلمات مرصوصة بلا معنى محدد . عندئذ أرى الحيرة على وجهها . تحاول أن تحل الطلسم الذى القيه . تبدو شاردة وهى تستجمع كلماته ، ربما كانت تحاول أن تعيد صياغته حتى تفهم معناه ولكن ـ غالباً ـ ما كان يستعصى عليها فهم مرادى . وإذ تفشل فى أن ترد علىّ بما يقنعها ويريحها ، تعمد إلى التخلص منى ، فتدفعنى عنها وهى تنزع يدى المسكة فى إصرار بثوبها . أقف بعيداً عنها وأنا أتفحص ما حولى بعين زائغة دون أن أنبس . تنهمك أمى فى عملها ، وأنا أحوم حولها ، متحيناً فرصة أخرى ، ولكنها تمعن فى التجاهل ، وتتعمد التركيز فيما بين يديها . تتزاحم فى رأسى خواطر كثيرة ، فتحدثنى نفسى بأن أعوقها عما هى منهمكة فيه ، فأقف بالقرب من السرير بعد أن تكون قد انتهت من ترتيبه ، واتجهت إلى الشماعة لتأخذ ماعليها مما اتسخ من الملابس . الفكرة قد وضحت فى ذهنى ، وبلا أى تردد أمدّ يدى وأزيح غطاء السرير ، مطلقاً صرخة مدوية وكأن ثعباناً لدغنى . تلتفت أمى ناظرة من فوق كتفها ، وهى ما زالت ممسكة بالملابس ، فما أن ترى ما حلّ بالسرير ، حتى تسقط الملابس من يدها ، وتندفع فى غيظ وعصبية لتلحق بى . ولكنى بسرعة . انزلق مختبئاً تحت السرير ، وصوتها يصل إلىّ مهدداً متوعداً . تخنقنى ضحكة مكتومة ، وأقرر اننى لن أغادر مكمنى إلاّ بعد خروجها من الغرفة . فجأة أرى عينيها محدقتين فى عينى أزحف متقهقراً وأتداخل فى بعض ملتصقاً بالجدار . تمد ذراعها ولكنها لا تطولنى تظل عدة ثوانٍ هكذا وهى تنهج وأنا أزداد التصاقاً بالجدار . الصورة تشحب ثم تتلاشى .

* * *

أنت لا تستطيع أن تدرك الأشياء إلاّ من خلال أحداث معينة . النظرة المجردة لم تكن قد وُلدت بعد . تفتح عينيك مشدوهاً فى الظلمة المتراكبة ، تحاول أن تستشف منها معنى ذلك الصوت الذى يتردد بعيداً ولا يمكنك أن تفهم معناه . لحظة بين اليقظة والنوم . تتقلب فى سريرك وأنت غير متأكد ما إذا كنت تسمع حقاً ، أم يخيل إليك أنك تسمع ؟ ويتلاشى الصوت البعيد ، ويسود السكون ثانية ، وتغمض عينيك ولا تفتحهما ، وتستغرقك فكرة لا تلبث أن تغيب هى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأخرى ، وتنتابك سكينة لا تلبث أن تنطوى فى داخلها ، ورويداً رويداً يُسْدل ستار كثيف ، فيفصل بينك وبين الوجود كله . وحين يتسرب ضوء خافت من خلال شيش النافذة ، ترى الأشياء حولك وكأنها تماثيل حجرية عليها غلالة من ظُلْمة وانية . وتختلط فى رأسك الصور ، وتتساءل بينك وبين نفسك : « هل ما سمعته كان حقيقة واقعة ، أم مجرد حلم سيطر عليك فى لحظة بين الوعى والغياب ؟ »

لا تفتأ الأسئلة تنتصب أمامى كالعماليق لا أرى منها إلاّ حروفها الضخمة من خلال كلمات مبهمة وعلاقاتها المحيرة . لا تريد أن تفصح أبداً عن مرادها . سيكون لى شأن مع هذا كله . الفكرة لم تكن واضحة ، وربما لم تخطر على بالى إلاّ فى هذه اللحظة . الآن تبدو لى مجسمة ، وكأنها كتلة من حجر جرانيتى يستحيل على المرء أن يزحزحها ، ومع ذلك فهى تواجهنى أينما ذهبت . هل تريد أن تقول لى شيئاً ، أم أنها تتآمر علىّ لتفضحنى ؟ لا تدع مثل هذه الأفكار تحتويك أو تسيطر عليك . لماذا لا تكون حرّاً ، تفعل ما تشاء أينما تشاء حينما تشاء .

سأفتح الكتاب الضخم ، لأنظر فيما بداخله . من المؤكد أن أبى يرى فيه شيئاً معيناً يجذبه إليه . أتحين الفرصة . ليس أفضل من فترة غيابه عن البيت ، حين يكون فى الشُغْل . الكتاب موضوع دائماً على منضدة صغيرة بجوار الكرسى الكبير ، الكرسى الذى لا يجلس عليه أحد سوى أبى . أمى فى شُغْل عنى بما لديها من أعمال كثيرة . أسمع الآن صوتها وهى تساوم أحد الباعة أمام باب الشقة . أدخل الغرفة على أطراف أصابعى ، متلصصاً . بين كل خطوة وأخرى ألتفت ورائى وأتسمع صوت أمى . ما زالت تساوم . إذا أنا اقتربت من المنضدة وحملت الكتاب ربما سقط منى . لن أحركه . فقط سأفتح جلدته السميكة لأرى الصفحة الأولى بيضاء تماماً . أتأملها لحظة ثم أقلبها . فى الصفحة التالية ، وفى الوسط دائرة بها خطوط متعرجة . ما هى ، وماذا تقول ؟ لا أدرى . أقلب الورقة ، على الصفحة اليمنى إطار كبير يغطى الصفحة كلها وفى الوسط خطوط سوداء . أتملى فيها ولا أستطيع أن أحل طلاسمها أنظر إلى الصفحة المقابلة ، الإطار يشبه إطار الصفحة السابقة ، وقد تداخلت فيه الخطوط الملتوية والمتعرجة ، وفى الوسط — كما فى السابقة — تلك الخطوط السوداء التى لا تفصح لى عن شىء أرفع عينى عن الكتاب ، ثم أعود وأنظر إلى الصفحة . أقلب أوراقاً كثيرة ، وأنظر ، متشابهة ولا خلاف . لم أجد صورة واحدة كالتى أراها فى الجرائد والمجلات التى يأتى أبى بها معه من الخارج .

لا فائدة . أغلق الكتاب ، ولكن الخطوط السوداء ما زالت تتخايل أمام ناظرى . لماذا يطيل أبى النظر فى هذا الكتاب ؟ فى الصباح بعد أن يرتدى ملابسه ، يجلس على الكرسى ، ويمسك بالكتاب ويفتحه ، ثم أسمع صوته هامساً وهو يقلب ورقة بعد ورقة

* * *

الأسئلة مازالت تحاورنى وأنا أرفض أن أعيش أسيرها . لتتكأكأ علىّ الأسئلة ، ولينزعق كل سؤال بما يشاء ، أو لينطق عنهم لسان واحد بسؤال واحد ، فلن أسمع شيئاً سأجعل أصابعى فى أذنى ، وسأغمض عينى ، وسأتحرك بقوة دافعة ، ولتظل هذه الأسئلة معلقة كالمشانق ، لا تُبْعث ولا تُوارى التراب سأقول كل ما يعنّ لى ، وسأرفض أن أقف فى الوسط . ما فائدة أن أظل متأرجحاً .

الخيط الفاصل بين ما هو كائن ، وما سيكون ، خيط لا يُرى بالعين المجردة ، ولكنه يُحس . يدركه المرء وهو غارق فى هذه اللحظة غير المتناهية . الزمن فوق الأشياء وتحتها ومن حولها وفى داخلها . أسخر من ذلك كله ، وأعود إلى التفكير . أبدأ فى رصّ الكلمات : كلمة بعد كلمة بعد كلمة ، جُمْلة بعد جُمْله . الكلمة يجب أن تعنى شيئاً ، والجملة يجب أن تقول شيئاً ، والجُمل يجب أن تفصح عما فى باطنها . لعبة الكلمات لعبة صعبة ذات وجهين : وجه واضح شديد الوضوح ، ووجه غامض ممعن فى الغموض . تلهج الألسنة بالمدح أو الذم ، ولكن — فى النهاية — تستقر الكلمات فى الأذهان لتعيش فى الزمن وتصير جزءاً لا يمكن فصله أو تجاهله أو إعدامه . تختلج الكلمات أمام عينى ، أحاول أن أكشف سرها ، ولكنها تغمز لى بعيونها الكثيرة ، ثم تأمرنى أن أصمت ، إلاّ أن شيئاً ما يُبْعث فى داخلى ، فأقترب من كلمة تروغ منى ، فتختفى فى جحر ، فأتقمص شكلاً دنيئاً وأحبو على يدىّ وقدمىّ ، وأنفذ من فوهة الجُحر فى محاولة لمطاردتها ولكن تعترضنى ظلمات من فوقها ظلمات تتخللها أصوات متداخلة مبهمة ، فأجاهد لأفك طلاسمها ، فتفقأ عينىّ ، وتسحبنى إلى حيث كنت . أقف مذهولاً ، ثم أستجدى أن يعود إلىّ بصرى ، فأشعر بلمسات رقيقة حانية على جفنىّ ، ثم تأمرنى أن أفتح عينى ، وعندئذ أرى الكلمات وقد اتخذت أشكال كائنات غريبة شوهاء ، تحدق فىّ ولا تقول شيئاً ، ولا تفصح عن شىء . أمدّ يدى لأمسك بها ، فأكتشف أنها فى صلابة الفولاذ وثقل الحديد . أحاول أن أزحزح ولو كلمة واحدة ، ولكن عبثاً كان كل ما قمت به من جهد ، فقد أخذت تتحرك فى قعقعة عالية متباعدة فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نفور ، وكأنها تفرّ منى ، حتى تلاشت تماماً . أين ذهبتْ ، وفيم كان وجودها ؟

ألن تكف عن طرح الأسئلة ؟ لِمَ لا تُذْعن للأمر الواقع ؟ هل أسمع وأطيع ، أم أتصامم وأتمرد ؟ لا فائدة من ذلك كله . اللسان فى الفم ، والمخ فى الراس ، وليس عليك إلاّ أن تقطع المسافة بينهما فى أقل من لمح البصر . جف حلقى ، وتخشب لسانى ، وضاعت منى الأفكار .

هذه المرة لن أنخدع . أوليت لها ظهرى ، ومضيت مبتعداً .

أنت الآن فى المأزق الحرج . لماذا لا تبدأ من جديد ؟

فى البداية ، يجب أن تكون واعياً مدركاً لكل ما يحدث من حولك ، وإلاّ فما معنى أن تلقى بنفسك فى خضم الأحداث دون أن يكون لديك أدنى فكرة عما يحدث .

من الضرورى أن تعرف الأسباب المباشرة وغير المباشرة . عليك أن تغوص إلى الأعماق لتستخرج ما خفى عليك وعلى الآخرين . ليكن ذلك ديدنك الذى على هديه ستسير .

حينما تقف هناك ، سترمقك الأنظار ، وقد يحدقون بك متسائلين . لتختر لنفسك وضعاً معيناً ، وهيئة لا تخفى على أحد . إن اقترب منك أحدهم وسألك ، فأجبه بكلمات معدودات ، لا تسهب فى الكلام ولا تستطرد قف عند الكلمة التى ستشعر أن ما بعدها سيكون من فضول الكلام .

هذه النظرات التى يصوبونها تجاهك ، تحمل فى طياتها معانى كثيرة غامضة . لا تحاول أن تستشف المعنى المراد ، ذلك ما ستعرفه فيما بعد . عليك أن تقابل نظراتهم بابتسامتك المعهودة ربما ستخدعهم بذلك ، أو فى الأقل ، ستأمن جانبهم . قد يتحسس أحدهم طريقه إليك ، محاولاً أن يتطفل عليك . دعه فيما هو بسبيله ، واعتصم بالصمت . سيغرقه هذا فى حيرة وارتباك . فى هذه اللحظة ، ابدأ أنت ، ولكن على ثقة كاملة من أن أية خطوة تخطوها ، ستكون هى الفاصلة فيما اعتزمت من أمر .

ما الذى سيقوله لك ذلك الآتى من بعيد ؟ دعه يقترب . تظاهر بأنك ترحب به وبما يعن له من قول . قف فى مواجهته مباشرة واطبع على وجهك استسلاماً وعلى شفتيك ابتسامة غامضة ، تقول ولا تقول شيئاً . سينخدع فى مظهرك الخارجى ، أمّا ما فى باطنك ، فدعه مطموراً لا يطلع عليه أحد . حاول أن تجعل من عينيك رسولاً له ، دعهما يومضا له ببريق يحسبه دعوة صريحة ، وحين يسقط فى الفخ ، ابدأ أنت .

لا يجوز لك أن تكون عنيفاً . كن أملس كالحرير ، وناعماً كالحية ، وليكن صوتك كالهمس ، لا يكاد يسمعه ، حتى إذا ما اقترب ، تحينت الفرصة ، وفى هدوء بركة آسنة قل كلمتك ، فإذا أُرتج عليه ، فاعلم أن تلك هى اللحظة الفاصلة ، بين ما كان وما سيكون ، وليكن ذلك إيذاناً بالعداء السافر .

القاهرة : مصطفى أبو النصر

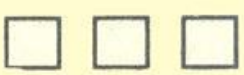

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

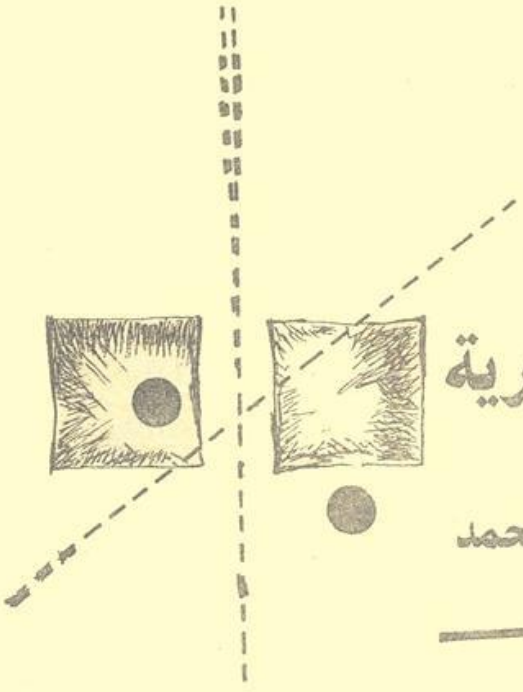

.. سـيميترية

محمد زكريا محمد

لا أعرف ما الذى جذب انتباهى اليوم اليها ، وكيف لم أر هذا من قبل . لكننى فجأة اكتشفت أن السجادة التى تغطى أرضية غرفتى ــ ولا تكشف منها الا القليل ــ ليست موازية لحواف بلاطات أرضية الغرفة .. حدث هذا فجأة وبطريق الصدفة صباح اليوم وأنا أمارس أعمالى اليومية المعتادة فى حياة العزوبية التى أحياها ... دهشت لأننى لم ألحظ ذلك من قبل ، حاولت أصلاح وضع السجادة لكننى أكتشفت أننى كلما حاولت أن أجعلها موازية للخطوط التى تصنعها البلاطات من ناحية أصبحت مائلة من الناحية الأخرى . بعد عدة محاولات كان علىَّ أن أتوقف : إذ أضعت فى محاولاتى تلك نصف ساعة كاملة وكدت أتأخر فى النزول إلى عملى ...

مجبرا على أهمال عشقى للسيميترية خرجت وأغلقت الباب ورائى عاقدا العزم على أن أحل المشكلة عند عودتى من عملى ...

* * *

فى الظهيرة ــ قابلنى جارى الذى يسكن الشقة المواجهة لشقتى ، بدا عليه الانزعاج وهو يخبرنى أن مالك البيت كان قد رفع قضية إخلاء زاعما أن البيت آيل للسقوط . فلما أخبرته أن هذا الموضوع قديم وأننى أعرفه ، أخبرنى بغضب ظاهر أنه يعلم هذا لكن القضية قد تحدد لها جلسة للحكم فيها . ويجب علينا ــ نحن السكان ــ أن نتخذ موقفا ضد هذا الرجل الجشع ، خاصة أن البيت ــ (وأقسم بالله وبأولاده) ــ متين ويصمد مائة سنة أخرى . قلت له : نعم يجب هذا . وأنا قمت أمركم فى أى إجراء تتخذونه . ثم استأذنته ودخلت شقتى وأغلقت الباب ورائى .

كان لابد أن أعرف ما المشكلة . هل الخطأ فى السجادة أم فى حوائط الغرفة ؟ أحضرت شريطا للقياس ، قمت بقياس السجادة من الناحيتين ، كانت متساوية فى الطول . بحثت فى أشيائى القديمة عن مثلث قائم الزاوية مما كنت استعمله أيام دراستى . وجدت المثلث ، قست به زوايا السجادة بطريقة بدائية . كانت كلها تقريبا قائمة . بعث فى أكتشافى هذا سعادة طفولية غريبة . العيب ليس فى السجادة إذن ، أيكون فى الجدران ؟ أم فى ترتيب بلاطات الأرضية ؟

كشفت أرضية الغرفة كلها . وجدت البلاطات موازية لحواف الجدران . ما الأمر إذن ؟ كان التعب قد تملكنى وأحسست بألم فى معدتى فتذكرت أننى لم أتناول طعاما منذ الصباح . أكلت ثم أعددت كوب شاى وشربته بسرعة قبل أن يبرد ثم اتجهت إلى حجرتى للنوم ولم أنس أن أفصل الكهرباء عن جرس الباب حتى لا يوقظنى أحد . كنت محتاجا للنوم وأشعر بصداع شديد . تناولت حبة اسبرين وأستلقيت على سريرى . فكرت أننى يجب أن أحصل على ميزان مائى فى اليوم التالى لقياس أتزان الحوائط فى الميل واستغرقت فى النوم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى الصباح ــ ورقة على باب شقتى : (حضرت ولم أجدك . سنجتمع اليوم بشقة الدور الأرضى . رجاء الحضور) . عرفت أنه جارى ، طويت الورقة وقذفت بها فى جيب سترتى الداخلى . فى الظهيرة ــ وفى طريق عودتى ، اشتريت خبزا وبعض المعلبات . مررت على أحد عمال البناء الذين أعرفهم ، أستعرت منه ميزاناً مائياً متعللا ببعض الحجج الكاذبة . أعطانى الميزان فشكرته ووعدته برده سريعا وانصرفت .

عند باب المنزل قابلنى أحد الجيران وأكد علىّ ضرورة حضور اجتماع السكان بشقة الدور الأرضى . سألته عن الميعاد ، قال : الثامنة مساء . فوعدته بالحضور . قلت فى نفسى (إننى حتى يحين الميعاد سأكون قد وصلت لحل) . ولم أصل ، ولم أحضر الاجتماع .

أفرغت الحجرات من الأثاث ونقلت الصور والمصابيح المعلقة على الجدران ، قست جميع الحوائط ــ فى كل جزء منها ــ كانت كلها متزنة وفقاعة الهواء داخل الميزان فى منتصف المسافة فى كل الجوانب وعلى كل الجدران . عندئذ كنت قد وصلت إلى درجة من التعب لا حد لها وكان الليل قد حل فارتميت على سريرى بملابسى ولم أشعر بعدها بنفسى .

فى اليوم التالى ــ قابلنى جارى ولامنى لأننى لم أحضر أجتماع السكان ، وعاب على وعلى السكان عدم الاهتمام ــ إذ لم أكن الوحيد الذى لم يحضر وذكر كلاما كثيرا عن المالك والقضية وضرورة أن نوكل عنا محامياً جيداً وأشياء أخرى لا أذكرها . اعتذرت له وحييته ووعدته عن نفسى بالحضور فى المرة القادمة ، وانصرفت إلى عملى .

* * *

كان قد مر علىّ أسبوع وأنا منشغل بمشكلتى هذه ويؤرقنى كثيرا أننى لا أعرف السبب فى أن حوائط شقتى منحرفة ، لدرجة أنى ما عدت أقابل أحدا من السكان ، وأنزع الكهرباء عن جرس الباب معظم النهار وطيلة الليل . لكننى هذا المساء صممت على الاستعانة بأحد عمال البناء فربما لا أستطيع استخدام ميزان الماء بصورة صحيحة أو ربما ليس هو الأداة المطلوبة .

فى المساء ــ وبمعاونة أحد عمال البناء فى المنطقة . أفرغنا الحجرات جميعها وأصررت على قياس حوائط الشقة كلها . ورغم أننى من حين لآخر كنت أؤكد له أن هذا ضرورى لبعض الديكورات التى أنوى إدخالها على الشقة ، فإننى كنت ألمح من حين لآخر نظرات الرجل وإيماءته خفيّة واضحك فى سرى . كان الرجل يظننى مجنونا .

لا أعرف كم من الوقت مضى علينا ونحن نحاول معرفة السبب . ولا أعرف كم من الوقت مضى علىّ وأنا أحاول وحدى بعد أن تركنى عامل البناء وتقاضى منى مبلغا كبيرا من المال نظير عطلة يوم كامل فى أمور تافهة ــ هكذا أسماها هو ــ ولم أكن أظن أن حوائط شقتى المعوجة شىء تافه ..

* * *

عند السلم المؤدى إلى الدور الأرضى قابلنى جارى الذى يسكن قبالتى . كان غاضبا وهو يحدثنى وكنت أشعر أنه سيبكى . عرفت منه أن المالك حصل على حكم بطردنا من البيت وقال إن الرجل حصل على تقارير ومستندات (من المؤكد حصل عليها بطرق متلوية) ــ هكذا قال ــ قدمها للمحكمة وأقنع المحكمة بأن البيت آيل للسقوط فوق رؤوسنا بين لحظة وأخرى وحصل بذلك على الحكم والتنفيذ بعد أسبوع .

قلت : الإخلاء ؟ !

قال : نعم ... حكم شامل النفاذ والتنفيذ بعد أسبوع .

فى المساء ــ كنت أجلس على حافة سريرى أمام السجادة كانت مائلة ولم أصل إلى حل فيها بعد . التنفيذ بعد أسبوع ! الحوائط معتدلة ، البلاطات متوازية والسجادة قائمة الزوايا . أين الخطأ إذن ؟ التنفيذ بعد أسبوع . أين الخطأ ؟ ! أطفأت المصابيح استعدادا للنوم .

محمد زكريا محمد

□ □ □

الساعة والولد الطويل

مصطفى ابراهيم الضبع

ARCHIVE

على غير العادة . أطلقت ساعة الميدان دقة غريبة أنصت لها الشاب النحيف الواقف أسفل الساعة فطوح ذراعه فى الفضاء وسدد نظراته إلى الشرفة العالية وتفحصها بعيون ساهمة .. البنت البيضاء الجالسة هناك على مقعد شاطىء وتعطى ظهرها للميدان لم ترفع عينيها عن المجلة .. فقط عدلت من وضع نظارتها وامتدت يدها فجمعت القشور فى ورقة الجريدة والقتها خلف ظهرها فتناثرت بعض قشور الموز فى عرض الطريق .. الولد الأخرس الجالس على الرصيف بجوار صندوق القمامة رأى اللفافة تسقط فى الصندوق فنظر حوله فى تلصص وامتدت يده فقفزت القطط الهزيلة .. ظنا من الشاب النحيف أن باللفافة شيئا يخصه . هم بأن يقفز لاستكشاف اللفافة .. لكنه بقى مكانه عندما أخرج الولد الأخرس اللفافة وسكب محتوياتها فى طرف ثوبه والقى بورقة الجريدة فى الطريق تتقاذفها العربات المسرعة .. حملق الشاب النحيف فى وجوه المارة رفع عينيه للشرفة كانت البنت تلاعب قطتها والقطة تتمسح فى اقدامها ثم تصعد على حاجز الشرفة وتلقى بنظراتها للميدان .. الولد الأخرس التهم بقايا القشور ولما لم تسد جوعه راح يقلب محتويات الصندوق والقطط تتقافز فى وجهه فيقذفها بيديه .. تسلل إليه قط عجوز فقبض عليه بكلتا يديه وألقى به بين العربات المسرعة تردد صوت فرملة العربة الفارهة فأطلت الرؤوس من خلف الأبواب .. وهم جالسون تطلع رواد المقهى كف الجرسون عن النداء على الولد ماسح الأحذية .. مد أحدهم قدمه أسفل الكرسى فظهرت ثقوب حذائه فجذب قدمه وأعادها لمكانها . قال له رفيقه : كش ملك .. مر بائع اليانصيب : شاب صفعته نظرات المتحلقين حول المائدة التى تقام عليها مباراة طاولة .

حملق الشاب النحيف فى بقعة الدماء اللامعة تحت الضوء فشعر بتقزز . قضم أظافره وطافت نظراته حول ورقة الجريدة التى تتقاذفها العربات المسرعة تابعها وهى تتطاير انتهز فرصة خفة سيل العربات والتقطها وعاد إلى مكانه ... تحت الضوء المنسال من العربات حدق فى الكلمات العريضة والصغيرة تشابكت الحروف فى قاطرة دقيقة متساوية . من بين المساحات العمودية أطلت عليه وجوه عدة وخزته ابتسامات العيون والأسنان اللامعة . فرد الصفحة وراح يرسم شوارب سميكة على الوجوه اللامعة .

الساعة أطلقت دقة باهتة . نظر رواد المقهى فى ساعاتهم ... تحلق الصغار حول الرجل السمين الذى يطلق نكاتا صاخبة .. رسمت أضواء السيارات ظلالها الداكنة على الأرض والجدران ... شحب ضوء عمود الإنارة الوحيد المنتصب فى الميدان . لمح الولد الأخرس عربة البوليس فأخفى نفسه فى الصندوق .. أمام المقهى وقفت سيارة مزينة .... نزل منها عروسان تتقدمهما راقصة .. تدحرجت نظرات رواد المقهى إلى الموكب والأجساد الناعمة وعندما راحت الراقصة تؤدى رقصاتها المتشنجة ترك رواد المقهى أماكنهم وراحوا يشاركونها حركاتها .. ترك الولد الأخرس مكمنه وسار للموكب .. دار حول الأجساد حتى يجد فرجه للدخول . تلاقت نظراته مع ولد صغير تمسك به أمه ويمسك بقطعة حلوى تلمظ الولد الأخرس وحملق فى الحلوى .. اقترب من الولد الصغير الذى اندس بين أقدام أمه التى تركته وأخذت توائم حركة جسدها مع حركات جسد الراقصة .. كادت البنت البيضاء الجالسة فى الشرفة ترفع رأسها لتتابع مايدور دخلت أمها الشرفة وأقتادتها للداخل وأغلقت الباب طوح الشاب النحيف الجالس أسفل الساعة يديه فى الهواء احتجاجا .

أخرج الولد الأخرس من جيوبه مجموعة من المفرقعات ضم يده على واحدة نفخ فيها وقذفها على الجدار فأحدثت دويا باهتا .. ابتسم الولد الصغير . اقترب الولد الأخرس وأشار للحلوى فاندس الولد الصغير مرة أخرى .. خلعت الراقصة ملابسها وطوحت بها فلتقفها الرجال .. انفتحت أبواب عدة خرج رجال كثيرون وقفت امرأة بملابس شفافة تحاول منع زوجها من الخروج فأفلت وانحشر فى موكب الراقصة .. وقفت المرأة حائرة تمسح عرقها .. اقترب منها شاب كان يتابع الموقف دخل معها وأغلق الباب . همس الشاب المسدل الشعر لرفيقه وهما يحملقان فى جسد الراقصة . ساعة الميدان استجمعت قوتها ودقت دقة عالية .. انطفأت أنوار المنازل .. طوحت الراقصة بجسدها فى حركة لولبية معلنة انتهاء الرقصة .. أطفأ المقهى أنواره فانداح الظلام على الموكب امتدت أيد عديدة إلى مكان الراقصة كانت يد الرجل السمين أسرع للإمساك باليد الناعمة .. جذبها إلى ركن منزو وفتح باب سيارته .. ضغط الرجال الواقفون على أسنانهم ومسحوا لعاباحارا .. اهتزت الرؤس فى حركة يائسة .. اختفى الولد الصغير عن أعين الولد الأخرس ... بدت الحركة رتيبة فى الميدان ... عادرواد المقهى إلى أماكنهم ارتموا على المقاعد .. تسلل الولد الأخرس إلى صندوق القمامة وقبل أن يعتلى حافتة ألقى بالمفرقعات على الميدان بكل قوته فتدحرجت فى الطريق كحبات الحصى . وقف الشاب النحيف .. حدق فى عقارب الساعة المتحركة .. تسلل الحامل الأملس وبكل قوته سدد ضربة قوية للساعة اندفع الدم حارا ساخنا .. فراح يلطخ العقارب كان الولد الأخرس على حافة الصندوق يحدق فى العقارب الملطخة ويميل بجسده إلى قعره فتنطلق صرخات القطط .. عندما تصبح العقارب حمراء داكنة يسقط الشاب النحيف مغشيا عليه .

سوهاج : مصطفى إبراهيم الضبع

□ □ □

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقعد

خالد عميرة

ـــ تأخذ القطع البيضاء أم السوداء ؟

أفاق على صوت ابنه محمد ، خشناً ، مزعجاً ، نظر إلى وجهه ، لاحظ شاربه الكثيف .. يشبه أمه كثيراً لولا هذا الشارب ! (أمه ... رفيقة العمر الطويل .. كيف حدث ما حدث بالأمس ؟)

كانت أول مرة تركب رأسها إلى هذا الحد ، أصرت هى ، وأصر ، قالت :

ـــ لن أخرج معك لو ارتديت هذا القميص « العيالى »

ـــ لم أزل شاباً ياامرأة .

ـــ شاب !

قالتها وابتسمت ابتسامة لاتحمل إلا معنى واحداً من وجه أملس كالتمثال الشمعى البارد ابتسمت ، فى القديم كانت البسمات أحلاماً وأزهاراً وانهار ضياء لم يكن للبسمات يومها طعم الخنجر .

تذكر الليالى الماضية ، منذ عام أو يزيد والليالى خائبة ، انزوى فى داخله تحبب جلده ، حارت عيناه بحثا عن مخبأ من عينيها ثم استكانت تحت الجفون المسدلة حاجبة الهزيمة .

بحركة آلية بدأ يرصّ قطعة ، قطعة .. قطعة ، فى حين جلست هى إلى جوارهما بريئة الوجه ، باسمة العينين ، كأنما الأمس لم يكن ، وعلى مقربة منهم وقف اثنان من الأحفاد يتبادلان الكرة بملابسهما الصيفية ، زاهية الألوان ، تملأ ضحكاتهما حديقة البيت الصغيرة ، الأحزان بالنسبة لهما علامات استفهام مالها من جواب والدنيا قطعة حلوى ، تذكر عبارة شعرية قرأها يوماً ، كانت تقول :

« المجد للضفائر الطويلة »

وأحس بجمالها وصدقها وأيضا بمرارتها

ـــ كش ملك . مات فى ثلاث نقلات يابابا

منذ بدأ الدور . وهو يعلم أنه سيخسر ، نظر إلى اللوحة ، منظرها غريب عليه لكأنما ينظر إليها لأول مرة ، لم يمت الملك فجأة ، ولكن سقطت قطعه أولاً قطعة .. قطعة ، وضاق الخناق على الملك شيئاً ... فشيئاً ، ثم بدأ يتلقى تهديدات الموت ، كل « كش ملك » بمثابة ضوء أحمر .

سأل نفسه (لماذا لا يموت الملك دون أضواء حمراء ؟ كل إنذار بالموت أقسى آلاف المرات من فعل الموت نفسه ، كل إنذار بالموت هو موت أيضا ، لكنه محسوس ، مدرك ، ومستمر .)

ـــ ليس لك حظ اليوم فى الشطرنج . هل أحضر الطاولة ؟

نظر إلى أقدام الحفيدين تتبادل الكرة ، لم يتقنا اللعبة بعد ، تذكر أيام « الحسينية الثانوية » ، كانت كل المدارس تعمل له الف حساب ، أما الآن فعليه ألا يفارق مقعده الخشبى البارد ، حتى وهو يلعب عليه ألا ؛ يفارقه شطرنج .. طاولة .. أو ماشابه ، لكأنما أصبح قطعة من هذا المقعد القديم بنقوشه الغارقة فى التاريخ .

وحين اقتربت الكرة من مجلس الكبار لم يمنع نفسه من القيام ، استند إلى ذراعى الكرسى الخشبيتين ، اعتصرا جنبه ... لم يبال ، أحس بثقل فى قدمه .. لم يبال ، كان مدفوعاً بقوة خفية وهائلة ، قوة عشق الحياة أو الموت .

بأصابع المحب حمل الكرة بين راحتيه ، « جدُّو سيلعب معنا يابابا ، » ، ابتسم ارتفعت الحواجب مندهشة قلقة ، وضع الكرة على الأرض ، رفع قدمه اليمنى ببطء ، يسدد ، زلت قدمه ، دار حول نفسه ، ضباب يحيط بأجفانه الثقيلة المرتخية ، دوامات غير محددة الأبعاد والألوان تنتشر وتسود ، خفَّ إليه محمد ، احتضنه قبل السقوط ، أعاد حشره ثانية بين ذراعى الكرسى الخشبيتين ويعتصرانه من جديد .

القاهرة : خالد عميرة

الباب

هادية صابر السيد

فيما بعد منتصف الليل بقليل اندفع حسين غاضباً وصفع الباب خلفه فى صوت مزعج وكأنه أطلق الرصاص على إنسان ما وأرداهُ قتيلا .. وانطلق فى طريقه بينما انكمشت زوجته منى تبكى بحرقة وقد تجمدت فى مكانها . لم تعترضه لتمنعه من الخروج كما اعتادت بعد كل خلاف .. ، واستمر حسين فى اندفاعه لا يرى .. ولا يسمع ... ولا يتكلم .

فجأة .. قبضت يدٌ قوية على ذراعه تجذبه بعيداً عن عجلات السيارة الضخمة المنطلقة كالصاروخ وسط الطريق المظلم . لم يكن بينه وبين الموت .. إلاّ .. تلك اليد التى جذبته فى اللحظة المناسبة .

أفاق حسين من ذهوله وأنفاسه المبهورة تتردد بصعوبة وهو يتابع السيارة الضخمة كزوبعة تبتعد فى نهاية الطريق وما زال ضجيجها يصم أذنيه حاملا إلى جسده قشعريرة وكأن قطعاً من الثلج تتراكم فوق قلبه المهموم .

التفت حسين نحو الرجل الذى ما زال يربت على ظهره فى حنان .. نظر إليه حسين فى عرفان دون أن يجد كلمات ينطق بها . وترك لعينيه مهمة الإفصاح فوضع العجوز يده الممتلئة على كتفه قائلا : مهلا يابنى .. الحمد لله .. هيا عُد إلى بيتك .. عد ..

ودفعه بيديه وبابتسامته معاً ليرده إلى طريق البيت . بينما حسين ، قد سكت لسانه ونطقت عيناه المدهوشتان : هذا الرجل .. هو .. ولكن كيف ؟ مستحيل . لا يمكن أن يكون هو .. إن الآخر قد مات منذ زمن بعيد .. حتى إنه لم يره أبدا .. كل ما رآه كان .. صورته .

أطبقت الحيرة على حسين واستدار عائداً وما زال العجوز يربت على ظهره فى رفق أزاح عنه شعور البرودة .. وزال توتر عضلاته . فمشى بجانبه مطأطىء الرأس .. هادىء النفس ، والعجوز يحدثه حديثا . ينفذ إلى أعماقه كأنه موسيقى تدفىء القلب

ودون أن يجيب بكلمة كان يحاول بعينه وبخياله مقارنة هذا الوجه ووجه صاحب تلك الصورة المعلقة فى بيته . وتوقف حديث العجوز . وتنبه حسين إلى أنه قد أصبح أمام باب منزله .. والعجوز يدفعه بإلحاح ليدخل .. وقد تحول صوته جزعاً .

أسرع حسين يصعد الدرج قفزاً . وطرق الباب بشدّة وأعاد الطرق قلقا .. وتكراراً دون جدوى .

واضطر أن يقتحم الباب عنوة بكتفيه ليدخل ويجد بالداخل صمتاً قاتماً . وهدوءاً مريباً . وتيقظت حاسته إلى رائحة غاز الاشتعال الخانق يتسرب فى أنحاء الشقة . فاندفع إلى النوافذ كلها يفتحها ويغلق أنبوبة الغاز . وواصل بحثه عن زوجته والجزع يحث خطاه حتى وجدها فى حالة إغماء ممددة بجانب أحد المقاعد ـــ كما اعتادت ـــ كلما بكت بشدة من أعماق قلبها . وأخذ يسعفها حتى أفاقت وفتحت عينيها فرأته يحتضنها بلهفة فأغلقت عليه ذراعيها وسمع حسين تنهيدة ارتياح عميقة تتسرب إلى أذنيه .

وتنبه العجوز ! والتفت حوله .. لم يكن هناك أحد .. لا فى الشقة .. ولا فى البيت كله .. ولا فى الطريق الذى تمدد نائما فى العتمة .

التفت حسين متأملاً تلك الصورة ذات الابتسامة الهادئة تطل عليهما ـــ هو وزوجته ـــ يحتضنان فى حب . وتسأله زوجته فى براءة : لماذا تطيل النظر فى صورة المرحوم أبى ؟ .

ويرد وهو شارد الذهن : يخلق من الشبه أربعين !

القاهرة : هادية صابر السيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصتان

فاروق حسان

شتات :

أمام الباب المفتوح وقفت الأم والولد والبنت يودعون الأب . بدا الرجل متماسكا برغم أنه كان حزينا حزينا ، أما الولد فكان يرتدى فانلة واسعة عليها حروف أجنبية ملونة ، والبنت تقبض على عروسة لها ابتسامة عزبة .

قال الولد وهو يلكز أباه:

ـــ لا تنس السيارة ... سيارة كبيرة !

أومأ الأب برأسه مهموما ، فيما كانت الأم تقبض على ذراعه وشفتاها ترتعشان .

قالت البنت متعلقة بذراعه :

ـــ أريد لعبا كثيرة .

غمغم الأب كلمات غير مفهومة ، وخلص ذراعه من قبضة الأم ، ثم استدار حاملا حقيبته . وعندما صار الرجل فى البعيد استدار الولد يركب دراجته ، وطفقت البنت تغنى لعروستها ذات الابتسامة العذبة ، أما الأم فهرعت إلى غرفة النوم ، وألقت بنفسها على الفراش ، وأحتضنت الوسادة وأجهشت بالبكاء .

رسالة :

الصديق العزيز

لأول ولآخر مرة أجدنى مضطرا إلى أن أكتب إليك بعد أن بلغ اندحارك مداه وفاض حولك . لقد حاولت مرارا أن ألفت نظرك الكليل إلى ما وصل إليه حالك لكنك ـــ لغبائك ـــ لم تفهم (هل لأنك لم تمارس الفهم طوال حياتك ؟)

والحق أن أمرك أعيانى ، فعلى مدى سنوات عمرك وأنت تعيش فى الركن كالكلب .. عذرا ... ليس كالكلب وإنما كالجرذ ! نعم كالجرذ حتى بلغ انسحاقك حده الأقصى دونما ومضة تعلن انتماءك إلى عالم الأحياء .

واسمح لى أن أسأل : هل حقا عشقت الموات ؟

لا تغضب ، فالواقع يقول إنك ميت باليقين ، ميت لم يبق منه حتى الهيكل ، ميت لا تنقصه إلا شهادة الوفاة حتى يأخذ الأمر شكله الرسمى . فماذا بعد أيها المتضائل .. ماذا بعد ؟؟ هل ستقضى مابقى من عمرك هكذا ، مجرد صفر كبير بلا نبض أو قيمة ، يترنح فى غمار الهوان دون أن يحاول مرة مجرد البحث عن كوة للخروج ، أم أنك سوف تلملم بقاياك المبعثرة بطول عمرك لتصيغ منها شيئا جديدا مفرود القامة ؟

أطرح هذا التساؤل لآخر مرة ، أكرر : لآخر مرة ، فهل ستدير ظهرك لكل ما جرى مادًا بصرك للأمام ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل تفعل ؟

هل ياترى تفعل ؟

أملى ..

ودمت لتوأمك ..

وما أن انتهى من تحرير الخطاب ، وأعاد قراءته مرتين حتى تنهد فى راحة . قال :

ـــ خطاب جيد .. يحرك الجماد

ووضع الخطاب فى ظرف عليه طابع بريد وكتب الاسم والعنوان بخط واضح ، وبعد أن ارتدى ملابسه على عجل ، هرول ليلقى به فى صندوق البريد .

وفى الصباح استيقظ مبكرا على غير عادته ، وحلق ذقنه ، وارتدى حلة كاملة ، ثم جلس فى الصالة مرهفا أذنيه منتظرا طرقة ساعى البريد .

سوهاج : فاروق حسان

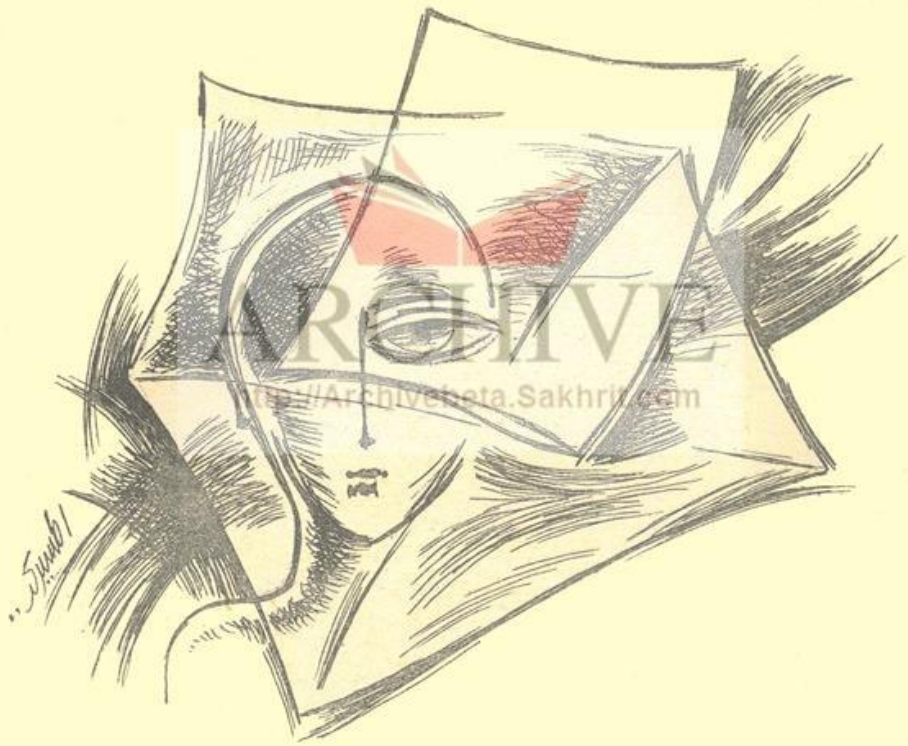

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحدثنى نفسى عن ...

غادة حسين أنور

تحدثنى نفسى عن شىء ما بداخلها بلغة لستُ أفهمها ولا أعرفُها ..

.. تتجاذب الأقطاب فتتنافر ..

ماذا تريد نفسى .. ؟ لم أعد أسمعها .. أو لعل صوتها قد ضعف .. اصرخى يانفسى بداخلى .. تخلل خلجاتك .. أظهرى ملكاتك . قوة كلماتك . لا تكونى بداخلى صماء .. بكماء .. ففى الحياة توجد حياة .. وفى الصمت توجد النجاة وفى السعادة توجد الآلام .

أفتح عينى . فإذا بالظلام حولى شعرتُ أنى كنت نائمة فاستيقظت . لكنى وجدتُ نفسى وجسدى يهويان معاً .. يهويان .. عندها أشعر أن دقات قلبى تدق .. فأُخفق فى الوقوف على أرض وأظل أهوى ... وأنا هاوية أتساءل ..

من الذى يحتوينى فى جوفه . ويملأ عقلى وقلبى بسُمِّه ؟

هل أنا هاوية فى بئر الحياة . لأرتشف الآلام ماء بارداً يروينى ؟ أسمع رداً .. غير أنى أهوى .. أهوى ..

وفى الهاوية .. كانت ومضات الحياة تبين وتختفى وبسمة فى الظلام ترى .. وكلمات فى الصمت تسمع .. ولفتات فى الطريق تقرأ . وجدت الهواء خيوطاً بشدة تتجه نحوى فصنعت من أهدابى شبكة لأتصيّده . لكنهم يسلبوننى إياه . يريدون قتلى فى جوفه .

ـــ وأنا هاوية أصادف فى الظلام أيدياً تمتد نحوى ، تناديني ، تدعونى إليها فأبعث يدى فى الهواء .. تغشل فى أن تلمسها ولكنى أحاول .. وأحاول . تتشابك بها ولكنها مثلى تهوى . تهوى . لن أدعهم يقتلوننى أو يسلبوننى إياها ..)

هذا ما قرأه الدكتور سامح عندما فتح بعض أوراقٍ كانت فى (دوسيه) إحدى مريضاته .. إنها سلوى محمد سالم .. المدرسة الشابة الجميلة التى مرضت منذ ستة عشر شهراً بالشك فى الناس ثم بشعورها القوى بأن هناك من يتربص بها .. وأخيراً الهلوسة .

ينظر الدكتور سامح إلى الأوراق التى أمامهُ فى حزن ويقول

ـــ لا فائدة .. إنها وصلت إلى مرحلة خطيرة .

ثم شرع يكتب تقريره :

اسم المريضة : سلوى محمد سالم

قسم : (ب) الأمراض العصبية بعد ثلاثة عشر شهرا من العلاج بالعقاقير وجلسات الكهرباء أرى أن حالة المريضة فى سوء وأنها بتلك الخواطر قد وصلت إلى درجة نهائية وارى نقلها إلى مستشفى للأمراض العقلية والنفسية .

الدكتور سامح شحاته

بعد أن انتهى الدكتور (سامح) من كتابة التقرير بدأ يجمع أوراق المريضة ويرتبها ودخلت من الباب الدكتورة (سمية) ببسمتها الرقيقة وخطواتها الرشيقة وجمالها

الفاتن .. عندها ترك الدكتور الأوراق وحيّاها تحية الصباح وأجابته فى بشاشة :

ـــ صباح الخير يادكتور . لقد ضاعت منى بعض صفحات من مذكراتى . فهل تسمح لى أن أبحث عنها هنا ؟

ـــ بالطبع .. هل أساعدك ؟

ـــ كلا .. أشكرك

ثم شرعت تبحث عن أوراقها . والدكتور (سامح) ينظر إليها بإعجاب شديد يراقب كل لفتاتها وحركاتها إلى أن قالت :

ـــ أخيراً وجدتها

ينظر لها الدكتور فى سعادة ويقول :

ـــ هل لى أن أعرف ما بها ؟

مدَّت يديها إليه بالأوراق وشرع يقرأ أول سطورها وهو فى دهشة وذهول :

.... تحدثنى نفسى عن شيء ما بـداخلها .. بلغـةٍ لستُ أفهمها ..

القاهرة : غادة حسين أنور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرحلة

سحر وحيد الدين

جلس الدكتور عصام صامتا يفكر . لقد افتتح عيادته منذ عدة أشهر ولم يأت إليه مريض واحد حتى الآن . ترى هل أخطأ عندما قرر افتتاح العيادة . لقد استأجرها من صاحب المنزل منذ أكثر من سنة ولا يزال يدفع إيجارها دون أن يربح من ورائها مليما أو يرى مريضا واحدا .

كانت الأحلام الوردية تتراقص أمام عينيه عندما التحق بكلية الطب . كان يسمعهم يقولون إن الطبيب يمتلك « خمسة عين » : عيادة وعربية وعمارة وعروسا وعزبة . فكان يرد قائلا : أنا لاأطمع فى الخمسة عيون بأكملها أنا فقط أتمنى عيادة صغيرة وشقة بسيطة وعروسة بنت حلال وكفى . إنه يذكر جيدا ما فعله أبواه من أجل إتمام تعليمه بكلية الطب ، فقد باع أبوه قطعة الأرض الصغيرة التى يمكلها وأنفق ثمنها على تعليمه والتحق بالعمل كأجير من أجل تعليم ولده الوحيد . أما أمه فقد باعت مصاغها وعملت كخادمة فى البيوت حتى توفر له مصاريف الدراسة الطويلة بالكلية .

إنه الآن لا يحلم بالخمسة عيون . إنه يحلم أن يكون مصدر سعادة لأبيه وأمه . وقد سعدوا سعادة الدنيا يوم أخبرهم بنجاحه وتخرجه من الكلية ولكنه يريد أن يريح أباه بعد أن اعتلت صحته ، أن ترتاح أمه عن العمل بالخدمة فى البيوت يريد أن يحقق لهما حياة كريمة سعيدة ليعوضهم عن سنوات الكفاح والشقاء المرير .

إن مرتبه البسيط لايفى ببعض التزاماته . لا يكاد يكفى أجرة المواصلات اليومية . أغمض عينيه ووضع رأسه بين كفيه وراح يفكر . ثم .. سمع بعض الجلبة والضوضاء فى صالة الانتظار . أخيرا حضر أحد المرضى إلى العيادة . ثم .. اختفت الجلبة والضوضاء مرة أخرى . نادى على الصبى بالصالة : محمود ماذا حدث ؟

ـ إنها إحدى الجارات تبحث عن ابنتها التى خرجت منذ ساعة ولم تعد .

ـ آه ... ظننته أحد المرضى .. اذهب يامحمود .

ثم .. مرت لحظات وسمع بالخارج صوت حركة وكلام يدور فنادى مرة أخرى :

ـ محمود ... من بالخارج ؟

ـ أبدا .. إنها سيدة أخطات الشقة . ظنتها شقة الجيران بالدور العلوى . مرة أخرى عاد الهدوء يخيم من جديد فأسند رأسه على المكتب وراح فى سبات عميق .. مرت فترة من الوقت ثم إذا بيد تهزه ويقول صاحبها :

ـ هيا يا « دُكْتُر » الساعة الآن قد جاوزت الثانية عشرة .

حرك ذراعيه فى كسل وفتح عينيه فى بطء قائلا :

ـ ألم يأت أحد ؟

ـ لا

ـ هل أغلقت النوافذ والأبواب جيدا ؟

ـ نعم

ـ إذن .. هيا بنا

وانصرف الطبيب ومساعده ..

وفى اليوم التالى حضر الدكتور عصام إلى عيادته فى موعده المعتاد وكانت بانتظاره مفاجأة ! كانت العيادة مكتظة عن آخرها بجمع غفير من الناس .. ما هذا ؟ أحقا ماأرى ؟ ياإلهى ! أخيرا جاءوا كلهم دفعة واحدة !

ألقى عليهم السلام ثم توجّه إلى محمود بالسؤال :

ـ متى حضر كل هؤلاء المرضى يامحمود ؟ إنهم ليسوا مرضى يادكتور .

ـ من هم اذن ؟

ـ لقد توفى صاحب المنزل وطلبوا أن أفتح العيادة لاستقبال وفود المعزين لأن شقتهم ضيقة لاتتسع لهم

تمتم الدكتور عصام بكلمات غير مفهومه وتغير لونه ثم بحث عن ابن المتوفى وصافحه مواسيا ثم جلس بين وفود المعزين .

سحر وحيد الدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حُمّى الأسد

محمد الهرادى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ناس من طين ، قلوب من حجر ، مدينة من تراب ، ملل وضيق . ملل يفوق الحد ، وكل عمل تحكمه العادة والابتذال . وأيام الرجل تمضى دون مغامرة أو شوق . رجل لا يعجبه أى شىء . رواية . يوغل فى العزلة والتناقض وأحيانا يسير فى طرق مدينته وسط رجال السوق وهم يملأون العين .

وليبتعد الرجل عن الزّيطة والزّنبليطة ، قرر الخروج عن العادة ، ومضى حثيثاً صحبة رفيقة إلى حديقة الحيوان . كان منشرح الصدر وهو يغنى .

* * *

كانت حديقة الحيوان تشهد زواجاً كبيراً نهاية ذلك الأسبوع . زوار لا يمكن تحديدهم ولا عدهم : صبيان بالشورت وفتيات مسرولات رجال يحملون أطفالهم الرضع على أكتافهم ونساء متعبات بسبب مرض قديم ، باعة متجولون ومصورون ، حلقات أطفال ورجال وحيدون متسكعون . سماحة يوم الأحد بادية على الجميع ، خصوصاً حين يصادف المرء ثنائى العشق ، حيث الكف تضم الكف ، والعين تبحث عن مخبأ ظليل بعيداً عن عيون القرود ، وابتساماتها الخبيثة ..

ـ ماذا تقول فى القرد النجار ، والقرد الخياط ؟

ـ « حيوان مليح ذكى سريع الفهم يتعلم الصنعة » .

ـ وماذا تقول عن شخص صبّح على وجه قرد ؟

ـ « من يصبح بوجه القرد عشرة أيام متوالية جُلب إليه السرور ولا يكاد يحزن واتسع رزقه وأحبته النساء محبة شديدة .. » .

* * *

هنا يوجد الببغاء الذى لا يشرب الماء أبداً . واللقلق آكل الحيّات ، والقطا عاشق البرارى الذى قيل عنه « من بنى لله مسجداً ولو مثل مفحص قطاة ، بنى الله له بيتاً فى الجنة » هنا البلبل حارس الورد . والحبارى الأبله . هنا الدّيك المبشّر والطاووس الذى خلقت ألوانه من بيضته . هنا يوجد السمانى الذى كان ينزل على بنى إسرائيل فى التيه . هنا حفيد الهدهد الذى صاد جرادة خنقها ورماها فى البحر وقال لسليمان : « كلوا يانبى الله ، من فاته اللحم نال من المرق .. » . هنا الحمام والإوز . هنا السباع الكاسرة ، الضبع التى لا تأكل إلا لحوم الشجعان ، الدّبّ والثعلب العجيب ، السبع والخنزير والنمر وابن آوى ، هنا تجد الفيل اللطيف الظريف الحقود ، والفهد الكثير النوم الذى قال عنه الجاحظ إنه يحب

الأصوات الحسنة ويصغى إليها إصغاء شديداً . هنا توجد القردة من كل الأصناف ، مرحة ضاحكة ، تحكى عجيزاتها المسلوخة على نتواءات الأغصان ، كاشفة عن أسنان مرصوصة فى فم عريض . هنا يوجد من كل صنف زوجان ، وحده طويل الرقبة ، مالك الحزين ، يقف وحيداً بسوق المياه ، لا يشرب خوف أن يقل الماء ، وربما يعطش فيموت عطشاً ..

* * *

ـ أنت فى غاية ما يكون ..

ـ صح . أحس أننى بين أحبابى ، ولذلك لا أحس بأية غربة وأنا بينهم ..

* * *

هدى الله الرفيق أخيراً وسأل بوجه معصور :

ـ أين طريق الحمام ؟

ـ خذ اتجاه السهم ، تلك هى الطريق .

جلس الرجل على مقعد وانتظر . هواء العشية البارد يجمد الأطراف . هواء بارد ينقل أصوات الأطفال قرب بحيرة البجع . بضعة أطفال يحثون أمهاتهم على النزول إلى محطة البحيرة . أطواف مطاطية مستديرة تحركها المياه لَعِب ولُعب . الطيور المائية تمد أعناقها الطويلة لالتقاط حبات الذرة . فى الجهة المقابلة خرتيت قذر ، وعلى البعد يمكن رؤية العجل المائى يغطس فى الماء الموحل ، وعلى التوّ ، يترنح خارجاً بسمنته الخرافية كاشفاً عن فكين هائلين ينفتحان على أشداق موردة . وتوقف بالقرب مصوّر يجر حصانه الخشبى المصبوغ بألوان باهتة . وجرى أطفال خلف أطفال ، وتابعهم الرجل بعينيه . ورشقه طفل بحفنة تراب . وتلقى الطفل صفعة على قفاه وبكى . وقال الرجل للجلاد « لماذا » ؟ لم ينتظر أى جواب . وتأملته فتاة مراهقة . بحنان حين مرت قربه دون عجل ، وقال لنفسه إنها تناسبنى . وفكر الرجل فى اتساع هذه الحديقة وفى غناها الكبير ، وربما تصور أنها حديقته ، محصّنة مسوّرة وعلى جنباتها يوجد العسس ، فيها المياه والأشجار والطيور والسباع ، وفيها من الخيرات ما يشتهى ، ووضع فى ذهنه تفصيلا لكل ما سيقع لجزيرته ، سيجعل بناية المقهى مسكناً له لأنها تطل من سفح على الأركان كلها ، سيشتغل داخل « بيته » فى الأيام الباردة ، وفى الليالى الدافئة سيضع سماطاً على الشرفة المطلة على الخراتيت والبجع ويدعو أصدقاء القليلين إليه ، لن يضع نظاماً للتشريفات ، سيمحو كل أثر للماضى ، سيضع قانوناً لمملكة الحيوان لم يتصوره « بَيْدَبا » ، وسيعيد الاعتبار لمالك الحزين ، لن يستشير أبداً فريد الدين العطار أو الجاحظ أو افلاطون ، سيجد كل قانط هنا راحته ، وستكون كل الخيرات مشاعة ، وسيقفز الأطفال ويتراكضون ، وسيجلس بمفرده كل عشية ليراقب الشمس وهى تغرب ، والقردة العزيزة حوله ، تقلد حركته وهو يدخن الغليون ، وهو يرفع كأس الشاى ، والقردة المرحة تومىء له أن يرمى المزيد من حبات اللوز ، ثم تلّوح بأذرعها وتتلقف تلك الحبات وتودعها بين أضراسها الحادة ، مطلقة صيحات فرح نادر وفى كل الجهات ، فى كل الجهات ستكون هناك غرف للراحة ، حمّام معطر أبيض الجدران تحوم حوله موسيقى خافتة ، وهنا وهناك ستوضع أراجيح للطيور ، وماريا لتعليم الببغاوات الكلام . واستدار الرجل ليرى مواقع كل ذلك ، وسقط نظره على الرفيق يخطو نحوه راضياً بشوشاً ، متحفزاً للتجوال

* * *

سرنا فى صمت بين ممرات معشوشبة . كنا نسمع صوتاً مرعداً يأتى إلينا من الأبعاد النائية . وعاود الصوت حضوره مرة أخرى ، صوت يصدر بانتظام ، تنهيدة عميقة تنفث كل الآلام الممكنة ..

* * *

ـ أى نوع من الحيوان صاحب هذا الصوت ؟

ـ « هذا النوع من الحيوان شديد الشبه بالشياطين لما فيه من الكبر والغضب وضيق الخلق وكثرة الفساد وقلة الاستئناس » .

ـ أقول لكل صوت من .. ؟

ـ هو صوت غليظ الرقبة ، ملك الغاب ..

* * *

أطللنا من علو على عرين دائرى الشكل ، يحيطه سور فاصل ، وبدت الأسود منبطحة على جنوبها تقاوم النعاس ، بينما اللبؤات النحيفة تراقب ذكورها وهى تخطو بحذر حولها . ونهض أسد رفض تناول طعامه بتكاسل واتجه صوب الأجساد الآدمية المعلقة . كان واسع الصدر رقيق الخصر ، لم يرفع الله البركة عنه لأنه لم يكثر من الفساد ، وتطلع نحونا بعينين لا مباليتين . كان صاحبى قد رفض أن تلتقى نظراتهما فحوّل عينيه ، ودعوته بإلحاح لتأمل هاتين العينين الناطقتين الأليفتين ، لكنه فضل رؤية القرود وهى ترشق بعضها بالحصى .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أيها السيد الذى يحبّ الغناء وصوت الدف والشبابة ،
قلما تفارقك الحمّى ،
ومع ذلك ، فجميع الحيوانات تهرب من زئيرك ،
إلا الحمار !

* * *

سماء واطئة ، غمام كثيف يتراكم ، وممرات الحديقة فارغة ، بين الفينة والأخرى يرسل الأسد تنهيدة عميقة هى مشروع زئير ، صوت خشن يشبه حشرجة مغارة عميقة ، يسير وئيداً ، والرجل مع صاحبه فى اتجاه باب الخروج . لبؤتان خفيفتا الحركة تتابعان خط سير الأسد . كان يبتعد عنهما متحاشيا الاحتكاك بهما كرجل عجوز قهره الزمن ولا رغبة له فى النساء . وكلما همّت لبؤة بمشاكسته التفت نحو الرجل والتقت نظراتهما وأرسل تلك التنهيدة العالية ، وكان الأسد يبدو عاطلا وبلا هدف . ملل وقنوط . لبؤات من طين . حديقة من حجر وغبار ..

* * *

ياغليظ الرقبة ،
قيل إنك تخاف النمل ،
وتهرب من الديك الأبيض ،
وتأكل قرداً حين تمرض ،
لكننى أشعل ضوءاً فى هذا الليل ،
فاقترب منى ،
ليسكن غضبك ..

* * *

اجتزنا باب الخروج وكان الأسد وراءنا . تخطى الأسد حواجز الحراسة بقفزات خفيفة لا أثر فيها لجهد ، مرّ بين أسراب الأطفال وهم يتصايحون حول حلبة السيارات الآلية ، اجتاز الحصان الخشبى للمصور وعربة بائع الذرة ، وحين فتح باب السيارة كان الأسد أول من قفز داخلها ..

لم يقدم صاحبى أى تعليق لأنه لم ير شيئا ، وشككت فى سلامة حواسى . لاشك أننى توهمت ما رأيت ، فعلى مرآة السيارة بدا لى الأسد متكئاً يتأمل الطريق التى اصطف على جنباتها زوار الحديقة فى انتظار الحافلات ، يرمش بعينيه فى فتور كأنه يقاوم حالة نعاس أبدية .. لاشك أننى توهمت ما سمعت . كان يهمس من لحظة لأخرى :

ـــ هَنْنْنْن .. حَنْنْنْن .. حَنْصْصْص .. حَنْصْصْص ..

واستدرت نحو الصاحب ، كان شارد البال يردد لسانه المرتخى مقطع أغنية عن المرأة ولذة العسل ، وفهمت فى الحال أن الأسد يناديني لأصغى إليه ، لكن اسمى ليس حنص ولا حنصال ..

* * *

ـــ حنصال ..
ـــ نعم ياسيدى ..
ـــ ما أخبارك ؟
ـــ أصابتنى الحمى ..

* * *

ناس من طين قلوب من حجر .. مدينة من تراب . ملل وضيق . رجل يحادث ظله . رجل أصيب بالحمى . أصيب بحمى الأسد .. فمن يريد أن يتكلم ؟ ..

المغرب : محمد الهرادى

□□□

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مـن أجلـــهم

درويـش الزفتـاوى

وقف عبد القادر بين عمال المصنع يقسم بأغلظ الأيمان وهو يلوح بيده فى الفضاء ، وينفى عن نفسه السرقة :

ـ لم آخذ علبة سجائر أحمد بسيونى الفضية .. اقسم أنى لم آخذها . أنا برىء ياهووصدقونى العلبة سرقها ..

وصمت عبد القادر قبل أن تقدر شفتاه على نطق الاسم .

فغرت أفواه وهو يضرب كفا بكف ويبلع ريقه ويصمت هذا الصمت الثقيل ..

تطعنه العيون وتنتظر .. وعبد القادر يقف مشدوها بقامته المرفوعة وعوده الفارع وقد هاله الموقف ، الوجه السمح الوضىء تقلصت أساريره ، والحاجبان الكثيفان تقوسا إلى أعلى ، والجبهة العريضة انكمشت فظهرت خطوطٌ أخدودية مثل قنوات الأرض التى كان يعمل بها فى مواسم الحصاد .. وانفه الطويل المحدودب انتفش وطلى بالاحمرار حتى يخيل لمن يراه انه يكاد يشتعل .. وصدره العريض المنتفخ بثديين كبيرين مليئين بالشعر الاسود الخشن الذى يخترق فانلته الممزقة أخذ يعلو ويهبط فى سرعة غير منتظمة ..

عبد القادر برغم ما يتمتع به من قوة جسدية غير عادية تميزه عن سائر زملائه من عمال المصنع نفسه منطوية على طيبة متناهية وإخلاص لكل الناس .

وأخيرا وبعد سنين طوال ،وذلك ما آله يتهم بسرقة علبة سجائر أحمد بسيونى الفضية !

كان عمال المصنع يلتفون حوله .. وقد وقف أمامه أحمد بسيونى صاحب العلبة يملأ المصنع بصياحه المطر ينهمر رذاذا والعمال لايبالون بالحبات المنهمرة ولا بالصقيع الذى يلعق أجسادهم العارية بألسنته السامة وكأنه يكاد يذيبها فقد كان المصنع بلا سقف ، والنيل يحتضنه بذراعه اليمنى ـ بقرب الجيزة ـ ثم يرسل دفعات من الزمهرير التى تكسى العمال بأردية عذاب الصقيع وتغلف أرديتهم المكونة من أغلال رقيقة لا تكاد تستر بضعة أجزاء من أجسادهم المفتولة .

يحملون المقاطف المملوءة بالطين من ماكينة الخلاط التى تحول التراب إلى عجين مخلوط بالتبن .. فينقلونه إلى آخرين لضرب الطوب فى (فورمة خشبية) . .

والمسافة بين الخلاط وبين فورمات الضرب نحو ثلاثمائة متر .

وأحمد بسيونى رمى مقطفه ، وأخذ حفنة تراب مسح بها يديه المملوءتين بالطين وعرج للابسه الموضوعة على حائط الطوب الجاف المرصوص فوق بعضه .

تحسس ملابسه ليخرج علبة سجائره ليشعل منها واحدة .. هذه العلبة التى كلما أمسكها وأشعل منها سيجارة ووضعها بين شفتيه .. طافت برأسه الذكريات .. واسترجع فى مخيلته أيام العز التى كان فيها .

.....

الأيام دوارة فأحمد بسيونى أهله من ذوى الأملاك .. ولكنه مدمن خمر ونساء . أفرط فى معاقرة الخمر والجرى وراء النساء فأضاع كل شىء .

ثم تنفرج شفتاه عن تنهيدة تكاد تشطر صدره نصفين ، ويتمتم قائلا : حال الدنيا ! هذه المرة لم يجد العلبة فطار عقله ، رفع ملابسه وقلبها وعدلها ورفعها يمينا وشمالا وفوق وتحت وطوحها ، ووقف فى منتصف المسافة معترضا الرائح والجاى ، وصرخ :

ـ علبة السجائر الفضية سرقت ياإخوانى ..

ردها مرات حتى تجمهر حوله أكثر العاملين فى المصنع ـ نظر فى وجوههم ملتاعا كمن لدغته عقرب وصرخ فى زملائه قائلا :

ـ علبة سجائرى الفضية ياجماعة .. الباقية لى من أيام العز .. ثمنها غال جدا ياإخوانى ..

رئيس العمال نفسه لايحمل مثلها . ولا يقوى على شراء مثلها .. لقد فرطت فى كل شىء إلا تلك العلبة الفضية .. كيف يتسنى لى أن أعوضها وأشترى غيرها ؟

اليومية التى أحمل بها الطين فوق ظهرى لا تكفى اليوم وهمومه .. فكيف يمكن لى أن أعوض العلبة الفضية الباقية من أيام العز ؟

راحت نظرات العمال وجاءت ، ينظر بعضهم إلى بعض ، جدا يقرأ فى وجه الآخر سر اختفاء العلبة الفضية .

الجميع كانوا معجبين بهذه العلبة الفضية .. وكلهم يتمنى كانت ملكا له .

تقدم أحد العمال من عبد القادر قارصا يده ضاحكا ، جأة :

ـ اطلع بالعلبة سمعتك مرات تتكلم عنها بإعجاب ..

هنا صاح عبد القادر محتجا كمن مسّه جن :

ـ عيب ياإخوانى !. العلبة سرقها ..

وتحركت شفتاه دون صوت ،وتمتم بصوت خفيض :

ـ لقد رأيته بعينى وهو يسرق العلبة من ملابس أحمد بسيونى . رئيس العمال هو السارق . ثم صاح فى العمال الملتفين حوله :

ـ ابحثوا عن السارق .. وإن لم تصدقونى نفتش الجميع .

وما كاد ينتهى من كلامه حتى صاح أحمد بسيونى صاحب العلبة المسروقة :

ـ قسما لأفتشن الجميع حتى رئيس العمال نفسه .

كل واحد دقق فى وجه زميله عله يكتشف تأثير الاقتراح على وجهه .. ولكن رئيس العمال حسم المسألة :

ـ انتظر ياأحمد يابسيونى .. انتظروا ياجماعة . ودعونى وعبد القادر قليلا .

وانفض الجميع .. ثم تجمعوا فى حلقات متباعدة .. ثم اقترب من عبد القادر ووضع يده فى جيبه ورفعهاإلى أعلا وبها العلبة الفضية وقال :

العلبة ياإخوانى كانت فى جيب عبد القادر .

ونظر اليه عبد القادر مشدوها .. وكاد يقول الحقيقة ، ويثبت براءته للجميع . لولا أن رئيس العمال ربت على كتفه وقال :

سامحنى ياعبد القادر .. الشيطان شاطر يابنى .. أول مرة اعتقلها .

وهم عبد القادر بالكلام ، فقاطعه رئيس العمال وهو يضغط على كتفه والدموع فى عينيه ربّيت أولادى أحسن تربية وعلمتهم ، أنقذ سمعة أولادى ياابنى والله حليم ستار .

عبد القادر مبهوت وشفتاه مفتوحتان على آخرهما بلا كلام .

درويش الزفتاوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفأر*

دراما شعرية
من فصل واحد

وليد منير

ARCHIVE

المنظر

صالة فى منزل قديم متواضع الأثاث .

نافذة ــ مائدة دائرية أمامها مقعد واحد ــ مذياع متوسط الحجم ــ ساعة حائط ــ مصباح معلق فى السقف بواسطة سلك طويل ورفيع .

فى الجانب الآخر (كومودينو) ذو مرآة رأسية عريضة ، وعليه بعض الأدوات الصغيرة .

على الأرض بعض أعقاب السجائر ، وزجاجة كوكا كولا يبدو حجمها الطبيعى مضروباً فى عدة اضعاف . بداخل الزجاجة رجل ، قزم ، يلبس قناع فأر ، له ذيلٌ طويل ، ويثب بين لحظة وأخرى فى محاولةٍ يائسةٍ للخروج من الفوهة .

إضاء خفيفة جداً تشى بأول الصباح .

رجلٌ فى الأربعينات من عمره يدخل متثاقلاً ، يدعك عينيه ، يشعل سيجارة ، يُحدِّق مدهوشاً .

الرجل : آهْ
ماهذا ؟
فأرٌ !
. . .
(يدور حول الزجاجة)
أبيضْ
وسمينْ !
شاربه كَثُّ
ويُذكِّرُنى بشوارب إنسانٍ أعرفُهُ
من ؟
من ؟
(كأنه يتذكر)

---

* عن قصة (المهمة المستحيلة) ، وهى قصة قصيرة كتبها بالإنجليزية القاصُّ المصرى : صبحى مشرقى .

محمودْ
شاويش السجنْ
اللعنة !
حتى أنت ؟
لابأسْ
هل تشربُ شاياً ؟ (ساخراً)

الفأر : لا .

الرجل فى انزعاج : ماذا ؟

الفأر : لا .

الرجل : هل أحلُمْ ؟
أأكون جُننتْ ؟
(يضع يديه على رأسه)
أوثمة أحدٌ غيرى فى بيتى ؟
الوحدةْ
(يشير بأصبعه)
الوحدةْ
تَبّاً للوحدةْ
لابد من إمرأةٍ تؤنسُ روحى فى هذا الكهفْ
حتى لا اضْطَر إلى الموتْ
أحياناً
أتخيَّلُ أشياءً
كان الفأرُ يُخَرْفِشُ فى أوراقى بالليلْ
وشعرتُ بطيفٍ يعبرُ باب الحجرة

آبة لم آبَهْ
ولعلى خفت فأغمضت عيونى
وتمدّد فى جسدى كابوسٌ مُرْهِقْ
: بابُ الزنزانةْ
محمودْ
منشوراتٌ تتطاير من أيدى خمسة
أصحاب فى مطبعةٍ سريةْ
(تسقط من سقف المسرح أوراق . وتتطاير فى هواء البهو . لتتناثر تلقائياً على الارض)
(يرفع يديه محاولاً التقاط إحداها)

الرجل : (يقرأ)
الحريةْ
الخبزْ
الإنسانْ
(يلقى بالورقة)
آهْ
(يقترب من النافذة)
هذا يومٌ شتويٌّ باردْ
فلأحلقْ ذقنى
(يتحسس ذقنه)
ولأشربْ شاياً
هل تشربُ شاياً ؟
(يتجه إلى الفأر)

الفأر : أشرب شاياً .

الرجل : يحدق فى ذهول
هِهْ
..
عجباً
هل تتكلمْ ؟

الفأر : أتكلمْ .

الرجل : من أنتْ ؟
(فى عصبية لافتة)

الفأر : فأرْ

الرجل : والله ؟

الفأر : وحياتكْ

الرجل : (وقد ازدادت عصبيته)
أعرفْ
أعنى
لغتى ليست لغتكْ

الفأر : بالعكسْ
الفأرُ الإنسانْ
والإنسانُ الفأرْ
لهما لغةٌ واحدةْ

الرجل : كيف ؟

الفأر : أوَلمْ تعرف معنى الحبسْ ؟

الرجل : لم أكُ فأراً

الفأر : أولمْ تقرضْ أوراقاً ؟

الرجل : لا .

الفأر : كَذَّابْ !

الرجل : احذرْ
أنت تسىء معى أدبكْ

الفأر : تقرض شعراً .
لا يقرضُ شعراً من لا يقرضُ أوراقاً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرجل : (مندهشاً)
من أين عرفتْ ؟

الفأر : ليلة أمس قرأت على مَهَلٍ مسودّاتِ
قصيدتك (الفئرانْ)
ورأيت على مكتبك الخشبى كتابين
لكافكا وأبى حيان التوحيدىْ

الرجل : عجباً
من أنتْ ؟

الفأر : أنتَ أنا
إنسانانِ وفأرانْ

الرجل : فى (عصبية)
لابدّ أنا أحلُمْ
لابد أنا مجنونْ

الفأر : كلا
كلا

(الرجل يتجه إلى المرآة وينظر)

الرجل : إنسانانِ وفأرانْ
إنسانانِ وفأرانْ
ما معنى هذا ؟

الفأر : فَكِّرْ

الرجل : (ملتفياً إليه فى سخرية)
فَكِّرْ واكسبْ ؟

الفأر : لا تَسْخَرْ
..
من لا يرغب فى أن يعرفَ نَفْهْ
يخسر نَفْسهْ

الرجل : (فاتحاً ذراعيه فى تَهَكُّم)
مَنْ ؟
سُقراطْ ؟

الفأر : لِمَ لا ؟
أتحاولُ أن تهربْ ؟

الرجل : (فى عصبية)
لا أهربُ
لكنّا نلعبُ لُعبةَ ألغازْ

الفأر : ما اللُّغْزْ ؟

الرجل : أنتَ اثنانْ
وأنا اثنانْ
هذا ما تعنيهْ
....
هذا لُغْزْ

الفأر : هذا حَلّ اللُغْزْ

الرجل : أرجوكْ
لا تتفلسفْ

الفأر
لنفسه : سطحىٌ جداً .

(يمطُّ شفتيه)

الرجل : ماذا تَرْطِنُ فتقولْ ؟

الفأر : لا
لاشىءْ
قل لى
هل تنظرُ فى المرآهِ كثيراً ؟

الرجل : أحياناً ..
فأنا أحلق ذقنى
وأُمشطُ شعرى
وأحَدِّق فى أسنانى
لأرى إن كانت بيضاءْ
أم أنى مُضْطرٌ لاستعمالِ المعجونْ

الفأر : (فى تعجُّب مصطنع)
يَاهْ !

الرجل : طبعاً

الفأر : أولمْ تتأمل وجهكْ ؟

الرجل : أعرف وجهى

(يحدق فى المرآة)

...
ماذا فى وجهى ؟

الفأر : كم وجهاً لَكْ ؟

الرجل : (ملتفتاً فى غيظ)
قلتُ لك : احذرْ
انت تسىءُ معى أدَبَكْ

الفأر : أبداً
كل المخلوقات لها أكثر من وَجْهْ
الوجهُ قناعْ
والعالمُ مرآةٌ تطفو فيها
أقنعةُ المخلوقاتْ

الرجل : هذا لَغْوٌ فارغْ

الفأر : هذا لَغْوٌ ملآنْ

الرجل : أنت مُنافقْ

الفأر : بلْ
أنتَ أنا

الرجل : لستُ بفأر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفأر : من ليس بقارئ
ليس بإنسانْ

الرجل : (ساخراً)
وإذنْ
فكلانا أربعةٌ ..

الفأر : بالضبطْ

الرجل : إنسانان وفأرانْ .

الفأر : إنسانانِ وفأرانْ

الرجل : فلنفرضْ !
أَيْن حقيقةُ كُلٍّ منا ؟

الفأر : (ضاحكاً)
رومانسيٌّ جداً .

الرجل : مَنْ ؟

الفأر : أنتْ ؟

الرجل : كيفْ ؟

الفأر : أومازلتَ تُصَدِّق أن هناك حقيقةٌ ؟

الرجل : لابُدّ .

الفأر : هذى مسألةٌ نسْبيَّةْ

الرجل : حتى لو كانت نسبيَّةْ
فهناك حقيقةْ

الفأر : لا بأسْ
..
لسنا فى (السوربون) على أيةِ حالْ
ومناقشةُ النظريات تطولْ
لنكنْ أبسطَ من ذلكْ
..
تعرفْ
(فى نبرة خبث)
أشعر نحوك بالودّ
رأيى أنك فأرٌ طَيِّبْ
آسفْ
إنسانٌ طَيِّبْ

الرجل : لكنى لاأشعرُ نحوكَ
إلا بالسُخْطْ

الفأر : ممنونْ
ممنونٌ جداً .

الرجل : (فى غيظ)
ياباردْ !

الفأر : فعلاً
الطقسُ شتائىٌّ باردْ
لكنى
أتصوَّرُ أنك مثلى
لا تعشق فصلَ الصيفْ
كل الفنّانين سواءْ

الرجل : لَزِجٌ
وسَخيفْ !

الفأر : أنت تُبالغُ فى إحساساتِكْ
ظنّى أنك عانيت من الحرمان طويلاً
فتقوقعت على نفسكْ
ولذلك تخشى أن تنظر فى أعماقِكْ
أو أن ينظر فيها غيُرك

الرجل : مهما كُنْت فلن تنزع منّى أسرارى .

الفأر : أنتَ تخافْ

الرجل : (مشيراً إلى الفأر فى استهانة) منكْ ؟

الفأر : أو منكْ ؟

الرجل : ما شأنُكَ أنتَ ...
أنا حُرٌّ فى نفسى
هل أعجبك الدورُ
فاسقطت الكُلْفة حتى صرتُ
مريضاً بين يديكَ
وأنت الفأرُ
المحبوسُ
المتَّسخُ المبتلُّ
غدوت طبيباً نفسياً ؟!

الفأر : أسوارُ القلبْ
أعلى أحياناً من أسوار الزنزانةْ

الرجل : تخريفْ !

الفأر : لاتخدعْ نفسكْ

(يدق جرس الباب فجاة . يفزع الرجل)

الفأر : ياصبرى ..
افتحْ

الرجل : (ملتفتاً)
أيضاً تعرف إسمى !

الفأر : من توقيعك فى أسفل أوراقكْ

ماذا فى ذلكْ ؟
لا تَرْهَبْنى
فالفئرانْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

د نعمل فى الأمنْ
ها ... ها .... ها

(يضحك)

(يدق جرس الباب مرة أخرى)

(ينتفض الرجل وينظر فى ساعة الحائط . الساعة تشير إلى السابعة تماماً . يذهب ليفتح الباب .)

الفأر : (يلعق جوف الزجاجة)

م م م م م م

(يزوم)

ما أجمل طعم الكوكاكولا
لكنى جوعانْ

(يثب عدة وثبات فى محاولة للخروج)

(يدخل الرجل مرة أخرى وفى يده جريدة مطوية)

الرجل : ماذا تفعلْ ؟

الفأر : لاهثاً
أبغى أن أخرجْ

الرجل : بل مُتْ فى مصيدتك

الفأر : أبغى أن آكُلْ

الرجل : كم أشعر باللذةْ
وأنا أتأملُ موتَك فى بُطْء

الفأر : ياسادىَّ
أتكرِّرُ دورَ السجَّانِ معى ؟

الرجل : اخرسْ
فأنا لستُ بلصّ

الفأر : وأنا لم أسرق شيئاً من بيتِكْ

الرجل : لِمَ أنتَ هنا الآنْ
فى بيتى ؟

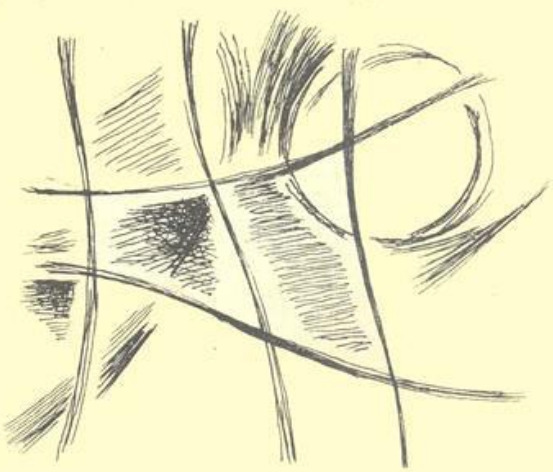

الفأر : صُدْفةْ

الرجل : لاأؤمنُ بالصدفةْ .

الفأر : أنت دخلتُ السجنَ بمحض الصُدْفةْ
لمجرد أنك كنت صديقاً عادياً
لثلاثة طلاب ثوريين وفنانَين يساريَّيْنْ

الرجل : (فى غضبٍ)
يامُخْبِرْ !

الفأر : لاتفقد أعصابَكْ
أنت بنفسك صَرَّحْتَ بذلك ضمن حوارٍ
صحفىٍّ بمجلة (آخر ساعة) .

(يشير إلى مجلة ملقاة على الأرض)

(ينحنى الرجل ويلتقطها ليكتشف فراغاً واسعاً فى الصفحة التى وقعت عليها عيناه)

الرجل : عجباً
أين كلامى ؟

(يتحسس الصفحة بيده)

الفأر : كنتُ أكادُ أموت من الجوعْ

الرجل : (فى غضب)
ولماذا هذى الصفحة بالذاتْ ؟

الفأر : أعجبنى أسلوبُكْ
وأردت لنفسى أن أستأثر بهْ

الرجل : تأكلُهُ ؟

الفأر : تذكارٌ رمزىٌ لصديقْ

الرجل : لست صديقى

الفأر : لزميلٍ فى الحبسْ

الرجل : (مغتاظاً)
اسُكتْ

الفأر : لِمَ لاتصنع شاياً ؟

الرجل : (منحنياً فى سخرية)
مولاىْ
بالنعناعْ ؟

الفأر : لا بأسْ
لكن قبل الشاىْ
الإفطارْ
أرجوكْ
إنى جوعانْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرجل : (مندهشاً)
يالصفاقة وجهك !
ماذا تبغى ؟
...
(ساخراً مرة اخرى)
فولْ ؟
بيضْ ؟
جُبنْ ؟
عسلٌ أبيضْ ؟
الفأر : هذا شأنُك
...
هاتِ (الجرنان) لكى أتصفحه
واذهبْ أنتْ
لتعدَّ الإفطارْ
هيا
حتى لا تتأخَّرَ عن عَمَلِكْ
الرجل : (ينظر إلى ساعة الحائط كمن تذكر شيئاً) :
آهْ
عملى
الثامنة الآنْ
لم يبق من الوقت سوى ربع الساعة
ذَقْنى
(يتحسس ذقنه)
والشايْ
وقميصى غير المكوىّ ،
وإعداد الأوراق المطلوبةْ
....
كيف ؟
لا جدوى
(فى يأس)
أنت السبَب الأولُ فى هذا الإرباكْ
ياملعونْ
(يشير إليه متهماً)
لا جدوى
ليكُ اليومُ إجازةْ
(يلقى الجريدة من يده حانقاً)
الفأر : من حظك أن تبقى اليومَ
لكى تمنحَ أعصابك بعض الراحةْ
ما أجمل أن تُمْضى يوماً
فى صُحْبة ضيفٍ
يقتسمُ البهجةَ والحزنَ مَعَكْ
الرجل : (فى دهشة)
ضيفْ !
الفأر : فُرصةْ
كى نتعارف أكثرْ
الرجل : لكنى لا أبغى أن نتعارفْ
الفأر : جَدِّدْ أسلوبَ حياتِكْ ..
منذ زمانٍ
لم تجلسْ لصديقٍ فى بيتكْ
وتحدّثه عن تفصيلاتِ وجودكْ
...
هذا شيءٌ هامُ
افعلْ ذلك عدة مراتٍ فى الشهرْ
ستحسُّ بمتعةْ
...
جَرِّبْ
الرجل : وفِّرْ نُصْحك لَكْ
أنا راضٍ بحياتى
الفأر : لا
لا
أنتَ تُكابِرْ
اسمعْ
هل أحكى لَكَ عن أول قصة حبٍّ لى
ها ها ها ها ها
(يضحك)
لن تملك إلا أن تغرقَ
فى بحر الضحكاتْ
كنتُ مَثالياً مثلكْ
ووحيداً
خانتنى بعد ثلاثةِ أيامٍ
مع فأرٍ آخرْ :
فأرٍ صعلوكٍ ،
لكنّى ....
الرجل : (مقاطعاً)
اسمع أنتْ
هل ترحمنى من خِفَّةِ دَمِّكْ
وتحاول أن تصمتْ ؟
الفأر : معذورْ
الوحدةُ لا تنجبُ إلا الصمتْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنا شخصياً عانيتُ من الوحدةِ
أكثر منكْ
لكنى حين تزوجتُ
وأنجبتْ
أحسستُ بطعمٍ مختلفٍ للدنيا
وخرجتُ تماماً من نفسى
هل أحببتْ ؟

الرجل : أنتَ فضولىٌ جداً

...

لا
لم أتشرَّفْ بالحبْ

الفأر : لم ؟

الرجل : هل فى ذلك عيبٌ ؟

الفأر : كلا
لكنَّ حياة الملخوق بلا حبٍّ
تبدو ناقصةً

الرجل : ومريحةْ

الفأر : الراحةُ فى بعض الوقتْ
ليست إلا تعباً

الرجل : أنا مسرورٌ من تعبى

الفأر : وَهمْ !

الرجل : دَعْنى فى وهمى
واسعدْ فى أوهامِكْ

الفأر : مُذْ ماتت
وأنا أتأمَّلُ فى كل صباحٍ صورتها
وأحاولُ أن أنسى
الحبُّ دواءُ الحُبّْ
لو أنى ألقى حُبّاً آخرْ !
تعرفْ
للأشجانِ جمالٌ خاصُّ
لكنى أجهدُ ألا أسرف فى الأشجانْ

الرجل : أين بَنوكْ ؟

الفأر : لى فأرانْ
بحثا عن عقدِ عَمَلْ
وارتحلا مُذْ عامْ

الرجل : لِمَ لا تبحثُ أنت الآخر
عن عَقْدِ عَمَلْ
وتُغادرنى ؟

الفأر : فكَّرتْ
لكنى قلتُ لنفسى
وطنك أولى بك
يكفينى متعةُ أن أقرأ
أو أرسمَ
أو أحلُمَ
أو ألعب نرداً فى مقهى
أو أتزاورَ مع أصحابى

(يشير إليه)

الرجل : (ساخراً)
عينُ العقلْ !

الفأر : هل تخرجُ للنزهةْ ؟

الرجل : يوم الجمعةْ

الفأر : وحدكْ ؟

الرجل : وحدى

الفأر : لِمَ لا نخرجُ للنزهةْ ؟

الرجل : الآنْ ؟!

الفأر : الآنْ

الرجل : رجلٌ مع فأرْ ؟

الفأر : بل إنسانٌ فأرْ
مع فأرٍ إنسانْ

الرجل : (فى عصبية)
أنت تريدُ جنونى .

الفأر : ليس هناك جنونٌ أو عَقْلْ
أو لم تفهم بَعْدْ ؟

الرجل : دعنى فى حالى .

الفأر : بالعَكْسْ
أنتَ مريضُ الأعصابْ
ولذلك تحتاجُ
إلى تسليةٍ ما :
تركبُ مَرْكَبَةً نيليَّةْ
تصعُد فى أرجوحةْ
تتمشَّى فى بستانٍ بين
الأشجارْ

..

عُدْ طفلاً يوماً أو يومينْ
فأنا أفعلُ ذلكْ .

الرجل : تفعلُ أو لاتفعلُ
ماشأنى ؟

....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ارجو ان تدرك انى
لا ارغب فى صحبتك الميمونةْ

الفار عندى فكرةْ
هل ترغب فى معرفة المستقبلْ
ابسط كفكْ
انا استاذٌ فى علم الكفْ

الرجل (غاضبا)
أحطم راسكْ

الفار (فى انفعال مصطنع)
أخرجنى من هذا السجنْ
وترى من منا سيحطم رأس الآخرْ

الرجل (شامتا)لا
مت فى تلك الفقاعةْ
وامكثْ داخل هذا السطح الأملس
حتى تتعلم درس العُمْرْ
(يذهب الرجل ويفتح النافذة ثم يعود فيجلس ويشعل سيجارة)

الرجل : (مستمراً فى شماتته) املأ رئتيك كاسفنجةْ
بهواء الصبح
وفكّرْ كيف تخوضُ مصيرك
...
هل تأخذُ سيجارةْ ؟
(يمد يده بعلبة السجائر)

الفار : شكراً
الرجل : أحسنتْ
التدخينْ
ضارٌ جداً بالصحةْ
(يفتح الرجل المذياع)

المذياع : انفجار القتال مرة أخرى فى جنوب لبنانْ
الانتفاضة تدخل عامها الثالث
المظاهرات تجتاح أوروبا الشرقية .
الأنباءُ بالتفصيلْ
(يغلق المذياع)

الفار : الحريةْ
الخبزْ
الإنسانْ

الرجل : (ساخراً)
تقصدْ
الفئرانْ

الفار : الفئرانْ
أكثر مخلوقات الله استشعاراً للأخطارْ
قبل حلول الأخطارْ

الرجل : أعرفُ تلك المعلومةْ

الفار : الزلزالْ
الطوفانْ
ال .....

الرجل : حَسَنْ
حَسَنْ
(ينهض ويتناول الجريدة الملقاة على الأرض)
ماذا تبغى الآنْ ؟
فلتتركنى بعضَ الوقتِ لأقرأ (أهرام) اليومْ
ولتفعل ما شئتْ
ثِبْ
نَمْ
اشربْ كوكاكولا
لكنْ
لا تثقبْ رأسى بصداعِكْ
(يبسط الجريدة)
ماذا ؟
....
عجباً
(يقرا)
فأرٌ فى هيئة إنسانْ
يهرب من مستشفى الأمراض العقليةْ
ويحاول تضليلَ الشرطةْ
....
أنتْ ؟

الفار : لا
لستُ أنا .

الرجل : مجنون ؟

الفار : أبداً

الرجل : ياربى
ماهذا الحظ السيِّىء ؟
أأنا هدف صوّبت الأيامُ عليه غريبَ
الأقدارْ ؟
....
فأرٌ إنسانْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجنونٌ عاقلْ

..

باللهْ

قل لى من أنتْ ؟

ياهذا

قل لى من أنت ؟

..

لو لم تقل الآنْ

ألقيت بنفسى من نافذة البيتْ

(فى نفاد صبر)

فعسى أدرك بعض الراحةْ

أُقتلُ

أو أصحو من حُلْمى

الفأر : صَدِّقنى

أنتَ أنا

أو لم يتهموك وأنت هناكْ

مذ سبع سنين فى الليمانْ

بالخبل العقلىْ

الرجل : تلفيقْ !

الفأر : وأنا أيضاً

لمّا قلت لهم إنى أشعر بالزلزال القادمْ

فى منتصف الوقت تماماً

قالوا عنى إنى مجنونْ

الرجل : هل ثمة زلزالْ ؟

الفأر : طبعاً

مادام هنالك صيفٌ لم يأتِ ،

ونورٌ لم يُولدْ

مادام هنالك زهرٌ لم يتفتَّحْ

الرجل : لاأفهمْ

الفأر : أعرف أنك لا تفهمْ

الرجل : ولماذا لاأفهمْ

الفأر : لاأدرى ..

محتملٌ أنك حُرٌّ

لكنك مسجونْ

محتملٌ أنك مسكونٌ بالقاضى

والمُخبْر

والشرَطىْ

محتملٌ أن ...

الرجل : (فى غيظ)

أُسكُتْ

الفأر : أنظرْ

الرجل : ماذا ؟

الفأر : الساعةْ

(يشير إلى ساعة الحائط)

(ينظر الرجل)

(تتراجع عقارب الساعة إلى الوراء :

٩

٨

٧

٦

٥

٤

٣

٢

١

١٢

(يخفت ضوء المكان أكثر فأكثر كما لو كنا فى منتصف الليل)

(يعدو الرجل فيضغط على مفتاح الإضاءة فى ركن من الحائط . يضىء مصباحُ الصالة المعتمة)

(فى دهشةٍ مشوبةٍ بالذعر) .

الرجل : ماهذا ؟

الفأر : منتصفُ الوقتِ تماما.

الزلزالْ

هل أدركتْ ؟

(يفتح الرجل المذياع)

المذياع : منظمة الدفاع عن حقوق الإنسان تندد بالتعذيب داخل سجون اسرائيل .

خروج الزعيم الإفريقى مانديللا من السجن بعد ٢٠ عاماً .

مطالبة بعض الجمهوريات فى الاتحاد السوفيتى بالاستقلال .

الأنباء بالتفصيل ..

(يغلق المذياع)

الرجل : أفْ !

سأمُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سأمُ
سأمُ
..
أين الزلزالُ ؟
الفأر : الحريةُ .
الرجل : لا أُبصرُ إلا الظُلمةُ
(يتجه إلى النافذة)
الفأر : فى الظُلمةُ
يندَاحُ الزالزلُ عن الوردةُ
وعن الضوءُ
الرجل : كيفَ ؟
(يتقدم ناحية الفأر)
الفأر : الوقتُ هو اللَغْمُ
الرجل : أين اللغْمُ ؟
(يبحث فى قلق)
أين ؟
الفأر : فى الروحُ
الرجل : أين الروحُ ؟
(مستمراً فى البحث)
الفأر : فى الفكرةُ
الرجل : أين الفكرةُ ؟
(مواصلاً البحث)
الفأر : تحت الجلدُ
.....
فَتِّشْ عن جلدكَ
جلد الفأرُ
جلد الإنسانُ
(يتحسس الرجل جلده)
الرجل : من ثانٍ جلدُ الفأرُ ؟!
من ثانٍ جلدُ الإنسانُ ؟!
(متململاً)
هأنذا أبحثُ
أبحثُ
أبحثُ
(يهرش جلده فى عصبية)
الفأر : فى إخلاص
أرجوكَ
لا تيأسْ
سوف ترى الآخر فيكَ
سوف ترى نفسك
فيهْ
....
ثقْ أنك سوف تَصِلْ
الرجل : آهْ
أشعرُ أنى يقظانُ فى الحُلْمْ
أنى أحلمُ فى اليقظةْ
..
كابوسٌ مُزْعِجْ
الفأر : الواقعُ أيضاً كابوسٌ مُزعجْ
..
فَتِّشْ
فَتِّشْ
الرجل : (كأنه يحلم) :
خيطُ شفافٌ ودقيقْ
يفصل بين الإنسانينْ
بين الفأرينْ
الفأر : هذا حقْ
فتش أكثر اعمق
أبْعَدَ من مَدَّ الشوفْ
الرجل : (مستمراً فى الحلم) :
مادمتُ نقيضى
وأنايَ الأخرى فى آنْ
فأنا لن أبصرَ شيئاً
أحدٌ منا نحن الإثنين
لابد له أن يتلاشى
أن يمضى
الفأر : أطلقنى من هذا السجنْ
تطلقْ نفسكَ مِنْكْ
الرجل : لا
لا توأمَ لى .
لن تسرقَ وجهى منى
فأنا سلطانُ الوقتْ
هاأنذا أستخرج من جلدى فكرةْ .
أجذبُ دَلْوَ الفكرةِ
من بئرٍ معتمةٍ .
(كمن يجذب شيئاً من قاع عميق)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمسك روحى كالجمر
فى روحى
(يغلق قبضته على شىء ما)
أجد اللغْمَ الموقوت .
أنا سأفجِّرُ فى نفسى ...
أقصدُ فيكَ
اللغْمَ
لكى يأتى الزلزالُ
فأكتشفَ الذاتَ الواحدةَ
الأولى
دون ثنائياتٍ ،
دون عَماءٍ أو روغانٍ .
سأحلُّ اللغزَ نهائياً .

هَهْ (ينكمش الفأر داخل الزجاجة فى ذعر)

(يندفع الرجل فاتحاً قبضته المغلقة تجاه الفأر المحبوس فى الزجاجة كأنما يلقى عليه شيئاً ما ..
فجأة تنفجر الزجاجة .
يتصاعد دخان كثيف .
ينطلق الفأر واثباً من النافذة .
يعود الرجل المذهول إلى وعيه
كأنما يفيق من حلم ويعدو مفزوعاً إلى الداخل)

الرجل النجدةْ
النجدةْ
الزلزالْ
الزلزالْ

(نرى المكان كله كما لو كان يتأرجح)

(يعود الرجل بعد هنيهة وفى يده مقشة)

الرجل سأهشِّمُ رأسَكْ
ياوغدْ
أين ذَهَبْ ؟

(يتلفَّتُ حوله)

(نلاحظ أن الرجل فى هذه المرة يلبس قناع فأرٍ على وجهه ويجر وراءه ذيلاً طويلاً)

(يضرب بالمقشة فى كل اتجاه وقد تملكه الذعر)

(تتغير الإضاءة وتتقدم عقارب الساعة إلى الأمام

١٢
١
٢
٣
٤
٥
٦
٧

الرجل : ما هذا ؟
ضوء الشمسْ ؟
هل طلع الصبح سريعاً ؟
(ينظر فى الساعة وهى تدور بسرعة)
آه
السابعة تماماً
(كمن يتذكر فجأة)
(يتحسس ذقنه)
عملى ..
أحلق ذقنى
وأعدُّ الشاى
وأكوى قمصانى
وأُرتِّبُ أوراقى
لم أغفُ طوال الليْل
هذا الفأر الملعونْ !
آهْ
أشعر أن عيونى متورمةٌ
(يتجه إلى المرآة)
هَهْ
منْ هذا ؟
وجهى
(يتحسس وجهه فى فزع)

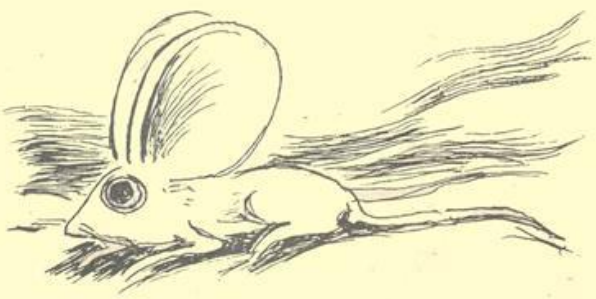

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجهى

أينُ تُرى ضاعْ ؟

هل غافلنى أحدٌ واستبدلهُ ؟

ياربى !

هذا الفأرُ الملعونْ

(يزداد إيقاع غضبه)

هذا اللصّ !

الفأرْ

الفأرْ

الفأرْ

الفأرْ

..

وجهى

وجهى

..

الفأرْ

(يعدو إلى النافذة فى غضب

ويلقى بنفسه منها فى محاولةٍ

للحاق بالفأر الهارب)

(إظلام)

القاهرة : وليد منير

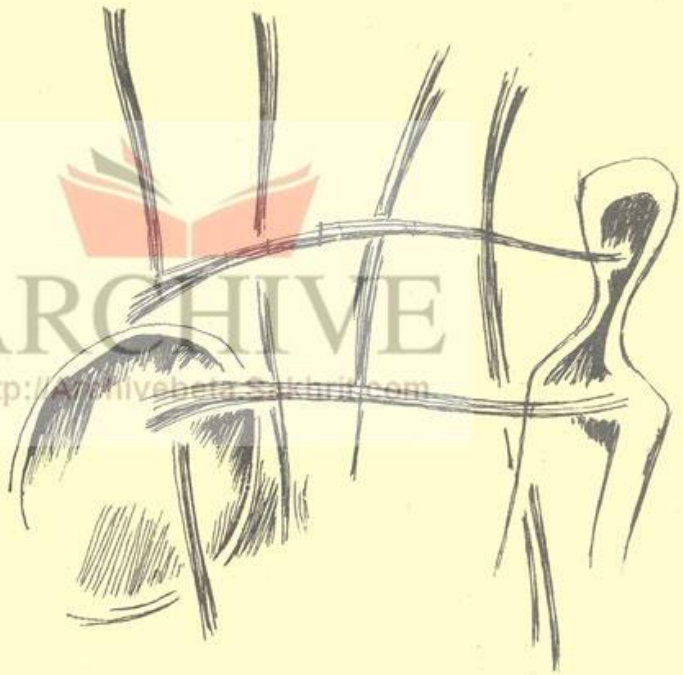

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● مدائن الخيال والذاكرة

تحية وداع

الى

الدكتور رؤوف عبد المجيد

د. نعيم عطية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ١ —

تخرج الدكتور رؤوف عبد المجيد من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٥٥ بمرتبة الامتياز وانجز دراسته العليا فى الفنون عام ١٩٥٩ فنال من أكاديمية الفنون الجميلة بروما الدبلوم بمرتبة الشرف . وقد توصل الدكتور عبد الرؤوف بعد دراسته المتعمقة الدءوب للفنون الاسلامية إلى أسلوب خاص تفرد به وبرز فيه فأصبحت لوحاته علما مميزا فى الحياة الفنية سواء فى مصر أو الخارج وقد ألمح النقاد ودارسو الفنون إلى أسلوبه ومعالمه وسماته . ويقوم هذا الأسلوب المبتكر بالأخص على استخدام ذاتى وغير مسبوق لوحدات مستقاة من التراث المعمارى الاسلامى ثم معالجتها لونا وخطا وتكوينا وضوءا معالجة شخصية بحتاً .

وقد شق رؤوف عبد المجيد فى سبيل الوصول الى لوحاته الفنية ، المبتكرة هذه طريقا حافلا بالمعاناة والبحث والاجتهاد والتأمل ، وكانت الخلفية التى استقى منها مصنفاته الفنية المبتكرة هى الحضارة الاسلامية ، غير أنه قرأ الكثير عنها ودرس وقارن العديد من آثارها حتى توصل الى تقديم رؤيته التشكيلية المعاصرة بادئا بتشكيل وحدات زخرفية منفصلة ، ثم أخذت هذه الوحدات تترابط فى لوحاته ، وأضاف الضوء لتقوية الوحدة المعتمة المتكررة وتزويدها بروحانية تؤكد المعانى الوصفية كفنان تشكيلى مسلم . ثم تطورت لوحاته الى أسطح تتقابل عليها الزخارف وتحولت الى معمار ومدن لها رؤية شخصية . فلا توجد على سبيل المثال مدينة من المآذن والقباب متلاصقة فى تتابع لا نهائى إلا فى عالم رؤوف عبد المجيد التشكيلى وأعماله . و بعد أن أوجد الفنان هذه المدن بقبابها ومآذنها ومشرفياتها أصبح لهذه المدن شواطىء تستقبل القوارب والأشرعة البيضاء كما أصبح يتخلل معالمها الشرقية وشجيرات ورد وياسمين وكل هذه الرموز معانى وقيم جمالية من داخل عبد الرؤوف عبد المجيد الفنان مشربة بذكريات طفولته فى حى القلعة وتأثير المعمار والزخارف الاسلامية فى نفوس ساكنى تلك الأحياء العريقة .

وتوصل الفنان إلى ابتكار صياغات عصرية لكل هذه الأشكال ترتبط ارتباطا وثيقا لايتجزأ بشخصيته ، بحيث تدل لوحاته عليه دلالة أكيدة عند متذوقى الفن والعارفين مبلغ الجهد الذى يبذله كل فنان مجيد للوصول إلى أعمال تتصف بالابتكار أصالةً ومعاصرةً

وقد لقى رؤوف عبد المجيد عن هذا الجهد المبتكر تقدير الأوساط الفنية ، فمنح جوائز فى مهرجانات ومعارض محلية وعالمية . منها جائزة أولى فى مهرجان الدولة الفنى عامى ٥٦ ،

١٩٥٧ وميدالية برونزية (مارجوتا) من روما وريشة فضية (كانانيا) من صقلية عام ١٩٥٨ وميدالية ذهبية جائزة أولى (بارى) فى ايطاليا وكأس الصداقة الايطالية المصرية الذهبية وجائزة أولى رافينا فى ايطاليا ١٩٥٩ ومن معارض رؤوف عبد المجيد معرض فى سان سبايتانو روما ١٩٥٩ وصالة ٨٨ روما ١٩٥٩ وينالى فينسيا ايطاليا ١٩٦٢ وصالة مكسيم بجزيرة ميكونوس باليونان ، والمركز الثقافى الايطالى بالقاهرة ونادى الفروسية بالكويت ، ومعرض بفندق الأردن (الانشر كونتنتال) وصالة بركات بجدّة بالسعودية ، وصالة تنمية العلاقات المصرية الايطالية بميلانو عام ١٩٨٧ ومعارض خاصة سنوية بالقاهرة والاسكندرية حيث حصل على عدة شهادات تقدير واعتراف باصالته وابتكاره .

— ٢ —

كتب الأستاذ حسن عثمان المشرف على صفحة فنون تشكيلية بجريدة الجمهورية بعددها الصادر فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٨٧ يقول : عن رؤوف عبد المجيد :

« للفنان رؤوف عبد المجيد أسلوب متميز فى التعبير عن التراث الاسلامى بأسلوب خاص عرف به ... وكان هذا الأسلوب حكرا على مجموعة من الأجانب الذين يعجبون بالحضارة الاسلامية فى مصر ، وكانوا يسجلون الجوامع والمآذن والقباب والزخارف الاسلامية . ولكن رؤوف عبد المجيد الذى نشأ بحى القلعة وامتلأت مخيلته بالتفاصيل المعمارية فى الآثار الاسلامية . وعاش يختزن فى كل لحظة وكل سكنة ما تقع عليه عيناه حتى تخرج فى كلية الفنون الجميلة وسافر إلى ايطاليا فى بعثة دراسية وعاد ليبدأ طريقه فى التعبير عن التراث الاسلامى فى خطوط معمارية رشيقة ، وألوان ذات طابع خاص وتغلف هذه الألوان والخطوط سحابة تكسب العمل سحرا وغموضاً .... وعرف بهذا الأسلوب » .

وكتب المرحوم الاستاذ كمال الملاخ ضمن آخر ما كتب على صفحات « الأهرام » يقول ٤

« تأثر الفنان الكبير رؤوف عبد المجيد بالحضارة الاسلامية التى زانت الحى الذى ولد فيه وعاش طفولته وصباه وشبابه متأثرا بعناصره المعمارية من قباب ومآذن كان يمر بها يوميا . وبدأ بتشكيل وحدات زخرفية منفصلة أخذت مع الوقت تترابط بل تتلاصق مع خيالاته الفنية على لوحاته حين يضيق إليها أحيانا كلما سرح به الخيال نخيلا وأشرعة تطفو على صفحة النيل ، وكأن هناك شواطىء ترسو عليها فرشاته وألوانه وأصباغه حتى يختلط بالأضواء ، وتنعكس على معالمها الحضارية المعمارية الزخرفية .... فتصبح كأنها عوالم مسحورة فى عوالم الايمان والجمال .

وكتب عنه الناقد انطونيو جيناوى تحت عنوان « قصائد الشرق العذبة فى لوحات رؤوف عبد المجيد » :

« إن النبع الحقيقى للوحات رؤوف عبد المجيد هو الشرق بكل ما يحمل من نور ، تترجمها للوهلة الأولى موسيقى عذبة تتألف من قباب بالغة الجمال . ثم نراها فى لوحاته عن المشربية ، بخطوطها وزخارفها الهندسية ، ثم تثير فينا الاعجاب فى مزاجه الرائع فى لوحاته التى تظهر بها تنويعات على انحناءات الخطوط ، تتداخل وتتزواج فى مقدرة عالية .

إن أسلوب هذه اللوحات — بعيدا عن أى إطراء أو مجاملة — يتحقق فى اتحاد كلٍ من صلابة ورسوخ الخطوط مع الحساسية الفائقة فى استقاء الالهام من المشرق .

ويتميز أسلوبه بحس حاد نحو « الجرافية » (حرفه الخط) ونحو البناء العصبى الذى يبدو من أول وهلة سهلا ، ولكنه السهل الممتنع الذى يخفى وراءه قدرات فنية رائعة .

ورؤوف عبد المجيد يستخدم ألوانه بدقة لا تخطىء هدفها أبدا . إن كل درجات ألوانه تمتلىء بالتماوج الذى يخلق بالفعل موجات تتلاقى وتمتزج لتعطى ضوءا خلابا من خلال خطوطه ، وكل ذلك من أجل ان يعطى لعمله قوة اشعاع عظيمة .

وليس من اللازم ان نستخدم أى ذكاء أو علم او ثقافة حتى نستمتع بجمال هذه اللوحات ، وذلك لأنها تتميز بالقوة والكثافة ، والشاعرية التى تثير فى النفس إعجابا شديدا بنقاء الفنان ،

إنه عالم الأحلام وقد وصفه فنان مقتدر ... »

إن ثمة فرقا كبيرا بين استلهام الفنان المبدع الأصيل لفنون الشرق والتراث الإسلامى وبين مجرد النقل والتقليد لعمل بحذافيره .. إن ما فعله الفنان رؤوف عبد المجيد على مدى ستة وثلاثين عاما منذ التحاقه بكلية الفنون الجميلة وتخرجه منها والحاقه للتدريس بها هو الدراسة والتأصيل والاستقصاء والتعرف على تاريخ الأشكال والتأمل والمقارنة . وبعد طول المعايشة لهذا العالم المتكامل يخرج رؤوف عبد المجيد ابداعاته من داخله ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتخرج الى الوجود مبتكرة متميزة ، وان احتفظت بسمات الشرق والتراث الاسلامى فيقدر ما يحتفظ الابن من سمات وقسمات أبيه ، وعلى سبيل المثال ، لايوجد فى التراث التشكيلى والمعمارى الاسلامى مدينة كاملة من القباب والمآذن والمشربيات كما عند رؤوف عبد المجيد . وهذا الابداع الذى يستلهم فيه رؤوف عبد المجيد هو ما يفعله كل فنان أصيل مبتكر ممن يتشرفون بانتساب أعمالهم الى فنون الشرق والتراث الاسلامى وهؤلاء مهما اتحدت مصادر الهاماتهم يظلون منفردين.

— ٣ —

رؤوف عبد المجيد من فنانى الموضوع الواحد ، ارتبط بموضوع واحد ، لم يحد عنه الى سواه طوال سنوات كفاحه الفنى ويبين فى تعامله مع هذا الموضوع مدى شغفه به ، وانصهاره بعشقه الذى لا يتغير وان كان يتجدد ، واصراره على الوفاء له . يتحاور معه ، وكما يأخذ منه فى حواره هذا يضيف اليه ويضيف ويصل الأمر بهما إلى التوحد ، فرؤوف عبد المجيد هو موضوعه ، والموضوع الذى يطالع المشاهد فى لوحاته هو الفنان رؤوف عبد المجيد نفسه ، ومن هنا تجىء الاجادة والابداع والتألق . وليست هذه الحالة بمقصورة على رؤوف عبد المجيد بل هى حالة من تفردوا من فنانى كل جيل وزمان ومكان . فقد ارتبطوا بموضوع واحد مثله ، وحددوا فيه كتابتهم .

وفى احدى معارضه بالخارج التقى رؤوف عبد المجيد بناقدٍ كبير ، هو الايطالى انطونيو كاراندنيدى عزز فى أعماقه هذا الارتباط بالموضوع الواحد . فقد قال له « كثيرون رسموا هذا وذاك مما ترسمه . أما هذه القباب فانت تتفرد بها وتبرز ، فاحصر نفسك فى هذا النطاق الذى أجدته ، وعوض انحصارك هذا بالتعمق والتركيز والتغلغل ، ولسوف تجد ان ما اعتقدت انه ضيق وصغير قد اتسع وكبر إلى حدٍ يفوق التصور بالعملية الابداعية ذاتها ، فليس الفن تسجيلاً واسترسالاً وتكاثراً مثلما تتكاثر الطحالب والهوام . بل هو دأبٌ وانحصار ومعاناة على نحو ما تتكون على مدى السنين اللؤلؤة داخل المحارة المغلقة فى أعماق البحر . احتضن موضوعك اذن ، وابتعد به عن التعامل العادى ، وستصل إلى قمم من الابداع سوف تحسد عليها .» .

وهذا ما فعله رؤوف عبد المجيد . انكب على جزئية صغيرة من ظواهر الحياة والتاريخ ، وعكف عليها ، ينفث فيها من روحه واجتهاده فابدع لوحاته عن المدائن ذات القباب .

أجلس إخلو إلى نفسى ، وأسرح بوجدانى ، ومن الذاكرة المفعمة بالخيال تتجسم رؤى المدائن بمآذنها وقبابها ومشربياتها تستحوذ على الخير أمامى . وتمضى تفاصيل هذه العمائر وزخارفها تترابط وتتراكب ، وتكتمل الرؤية وقد خطت من خلفيةٍ حافلةٍ بالتفاصيل المتزاحمة . وتأتى إلى العمل مرحلة التخلى الاقتصادى ليقتصر المشهد على ما يحتاجه بناء العمل الفنى الذى يضحى فى خاتمة المطاف من الواقع واللا واقع معاً .

قد يتساءل المتفرج من أين أتى هذا المنظر أو ذاك ؟ كيف خطر لى ؟ وأين من قبل عاينته ؟ وهنا تؤدى الذاكرة المبدعة عملها الابتكارى الذى يجعلها الى الخيال أقرب ، فهذه المشاهد التى أصورها منتمية إلى الذات أكثر مما تنتمى إلى الموضوع ، إلى البصيرة أكثر من البصر » .

فى عملية الابتكار التشكيلى تتداعى عند العكوف على العمل التفاصيل تلو التفاصيل وتتداخل وتتحاور.. وأحياناً يجور بعض التفاصيل على بعضها الآخر ، فيحتاج الفنان — وهذه لحظة حسم باهظة ، كان لابد منها — الى فض التشابك ، واحالة ما قد بلغ حد الضجيج والصخب ، إلى نغم متناسق أليف ومحبّب .

« أهوى كثيراً فى أعمالى « السكونية » ، وأحرص أن تجىء الحركة موحىً بها داخل الاطارات التشكيلية الصامتة ، فان شخوصى كما تعرف هى العمائر ، وهذه تستدعى السكون الذى اشغف به فى العمل الفنى ولهذا اتحاشى الاشخاص الأنسانية فى أعمالى لما تأتى به من حركة جذرية ، تتناثر مع العمائر الشامخة السامقة الى أجواز الفضاء ، مؤدية صلاتها فى خشوع وأناة »

— ٤ —

وبمقارنة اعمال رؤوف عبد المجيد بأعمال الفن الاسلامى أو الشرقى القديمة نرى أن الزخرف فى أعمال رؤوف أقل بكثير من زخارف الأعمال القديمة . ولاشك أن روح العصر الذى يمارس فيه رؤوف عبد المجيد إبداعاته يختلف عن روح تلك العصور التى مارس فيها الفنان الشرقى الإسلامى أعماله وقد كان الوقت المتاح للفنان القديم لكى يملأ الحيز التشكيلى بزخرفياته أرحب بكثير من الوقت المتاح للفنان المعاصر ، مهما اتحدت أهدافهما هذا فضلاً عن أن الفنان رؤوف عبد المجيد فنان معاصر ، أدرك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من استيعاب تاريخ الفن عامة درساً لا يستهان به هو أن الاقتصاد والزهد اللونى والخطي سمة من سمات الفن الأصيل . وقد ركز التجريد الحديث كثيراً على ذلك . ولهذا يجنح رؤوف عبد المجيد رغم زخرفياته الى التقليل من الغلو فيها ، فزخارف رؤوف عبد المجيد ليس مغالى فيها على أى حال ، بالقدر الذى أوغل فيه الفنان الشرقى القديم .

ـــ

ومعالجات رؤوف عبد المجيد اللونية فى لوحاته جديرة بالوقوف عندها ، فهو يستطيع ان يكتفى فى لوحاته بالرسم الذى يملأ المساحة بالخط المقتدر ، ولكن الفنان لايقتصر على ذلك . فهذه المدائن التى يصورها هى مدائن وافدة الى لوحاته عبر خيالٍ وذاكرة ، مما يرقى بالتكوين إلى مستوى الرؤى المغلّفة بأثيرية تروِّى مناظره بإضاءات كانعكاسات الشمس على حبات الرمل ، توحى بحمرة الغسق ، ورمادية ماقبل الشروق ، وصفرة الأحجار التى بنيت منها المساجد العتيقة الباقية رغم مرور الزمن .

ولايستخدم رؤوف عبد المجيد اللون لذاته وبذاته ، بل يستخدمه لإضفاء الإضاءات التى تتناسب مع الوقت الذى ينتمى إليه المنظر الذى سوف تتجلى تفاصيله ومعالمه بعد قليل على قماش اللوحة المبسوط امام الفنان ذى البصيرة المرهفة والذوق المصفى واليد المدربة . ولايقلل من ذلك شيئاً استعانة رؤوف عبد المجيد بعديد من تلامذته الشبان فى تنفيذ تصاميمه وإنجازها ، فالعبرة فى الفن بالنبض والروح أكثر من الحذق والعضل وذلك الوقت الذى يقترحه الفنان لمناظره ليس هو بصفة عامة الليل البهيم ، ولا الظهيرة القائظة وإنما يغلب اللوحات جو شحوبى أقرب إلى الروحانيات منها إلى طبائع المادة المعمارية المصمتة .

وتتطور الألوان والأضواء لدى رؤوف عبد المجيد فى لوحاته الأخيرة ، التى عرضت فى عرض كبير « بقاعة بركه » بالمهندسين بالقاهرة ، حيث أحب الفنان أن يعرض أعماله دائماً . وتصل هذه الألوان والأضواء الى درجة تنضح بالبهجة الملحوظة حقاً ، والتى ترجمها العنوان الذى اختاره الفنان لأعمال هذه المرحلة إذ عُرضت تحت اسم « أفراح الاسلام » . واكتست اللوحات الأخيرة بلون « وردى » صعب المراس حقًا ، وإن كان الفنان قد تمكن منه جيداً ، ولم يفلت منه الزمام فيكبو بتكويناته الى عاطفيات ضحلة وما أقرب تلك اللوحات من أعمال موتسارت التى تشعرك بأنك تستمع الى طفل خلى البال يلهو بالألحان فى اقتدار الكبار حقاً .

وتشيع البهجة فى هذه اللوحات « افراح الاسلام » أيضاً ، من تراجع التكوينات المعمارية القديمة لتفسح المجال لتكوينات نباتية ، من ورود وزهور ورياحين ، تطل من العمائر ، كما تطل أصص الزرع من شرفة قصر اندلسى عريق ، وتتخلل الأحجار مثل نباتات متسلقة أو نباتات برية تنبت من الشقوق فى الحوائط التى دب فيها البلى .

معزوفة بهجة بالوان وردية ، وتنويعات أريبة على نغمة الفرح ، تسمعها تهبّ هامسة حانية خفاقة بداخلك فتزداد ارتياحاً إلى لوحات ذلك الفنان الذى كانت أعماله على الدوام متعة للعين والروح معاً .

ولكأن رؤوف عبد المجيد قد أدرك فى قرارة نفسه ، حيث نخر عذاب المرض الكيان المادى ، أنه يودع هذه الحياة قريباً ـــ وهكذا ودّعها يوم ١٧ من أكتوبر ١٩٨٩ ـــ وكأنما أراد أن تكون « افراح الاسلام » آخر معارضه للناس حال حياته ، فأراد أن يبعث اليهم عبر تكويناته ذات النغمات الوردية تحية وداعه .

القاهرة : د . نعيم عطية

اللوحات : تصوير : صبحى الشاروني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● مدائن الخيـــال والذاكـــرة

تحية وداع

الى

الدكتور رؤوف عبد المجيد

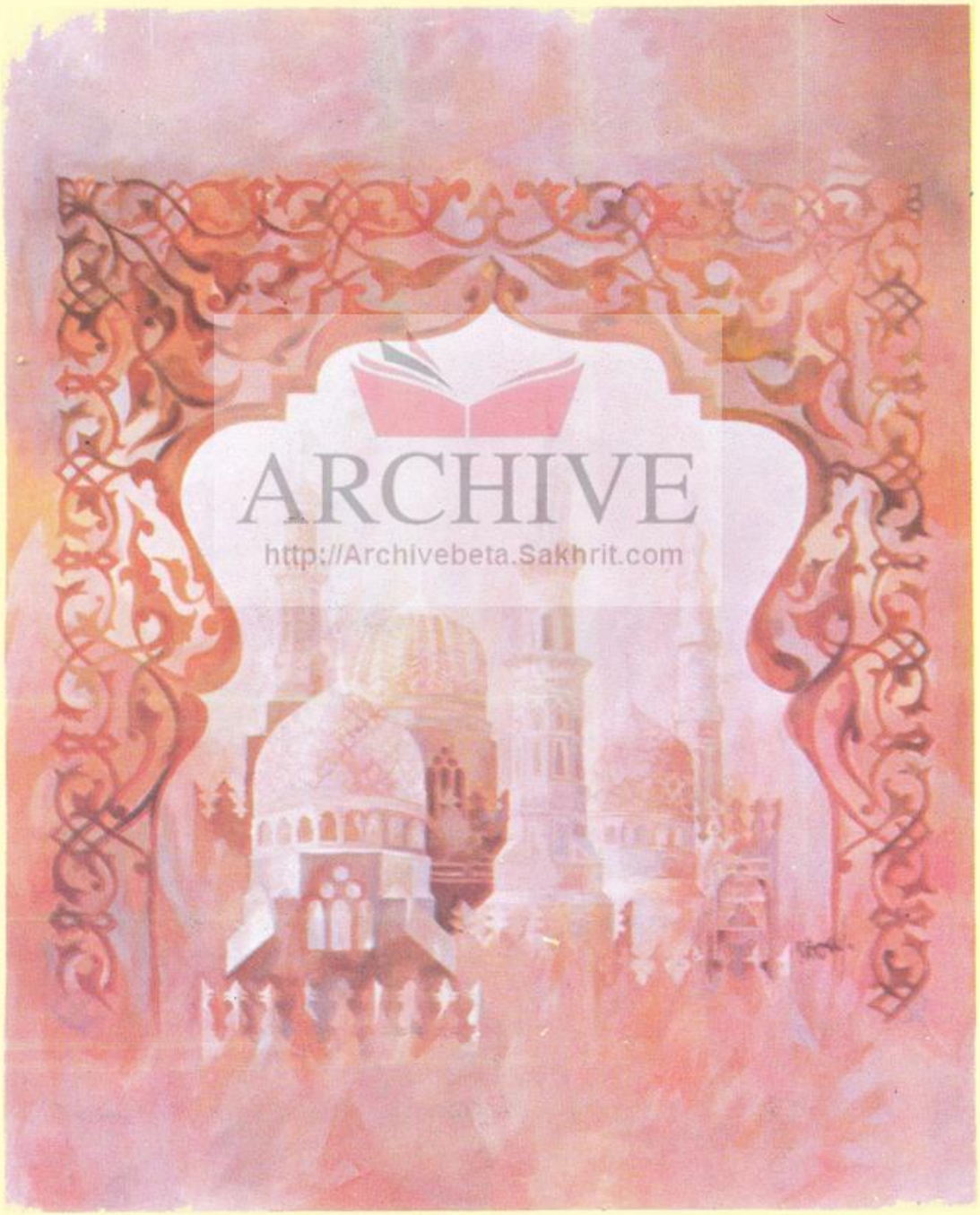

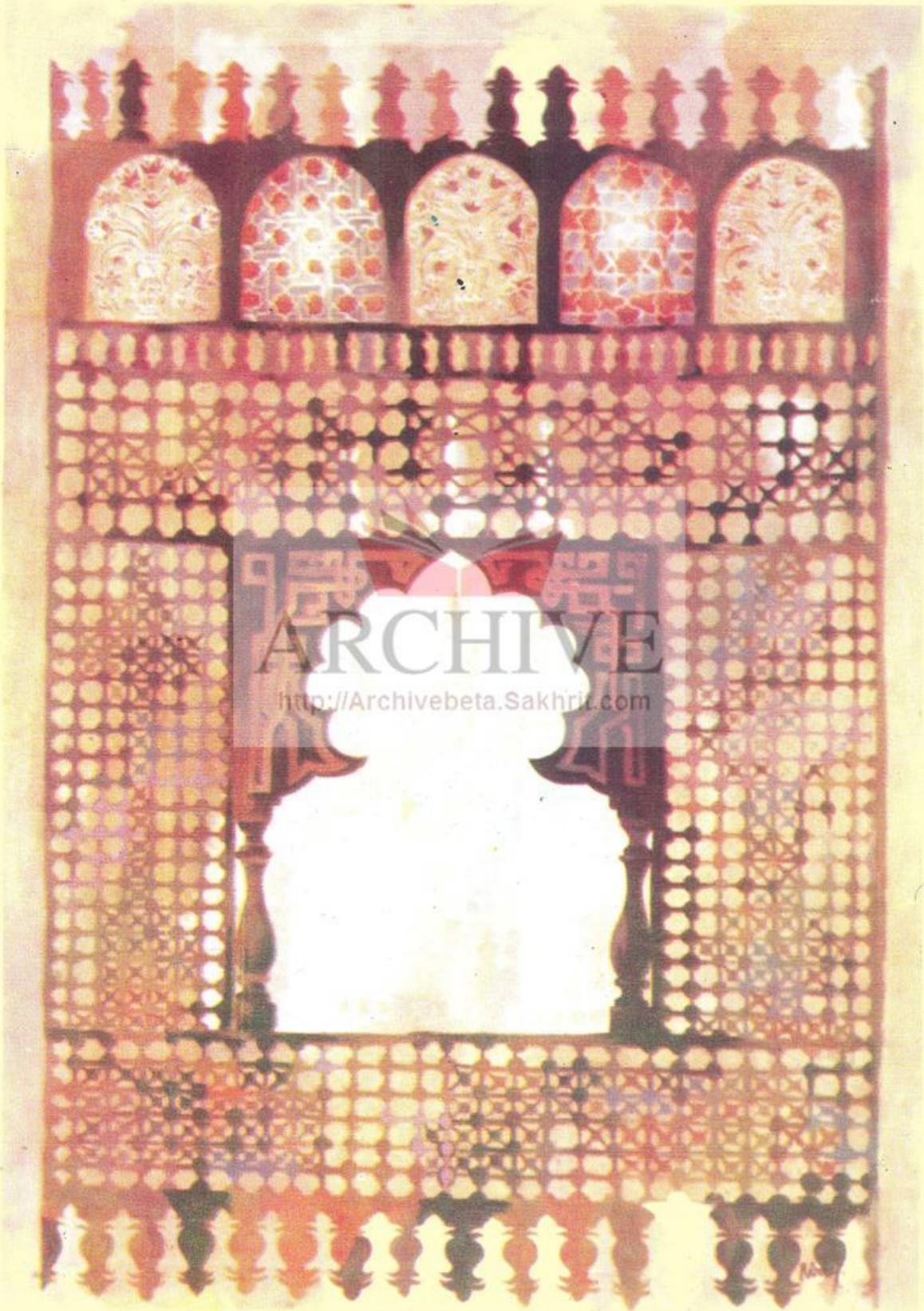
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

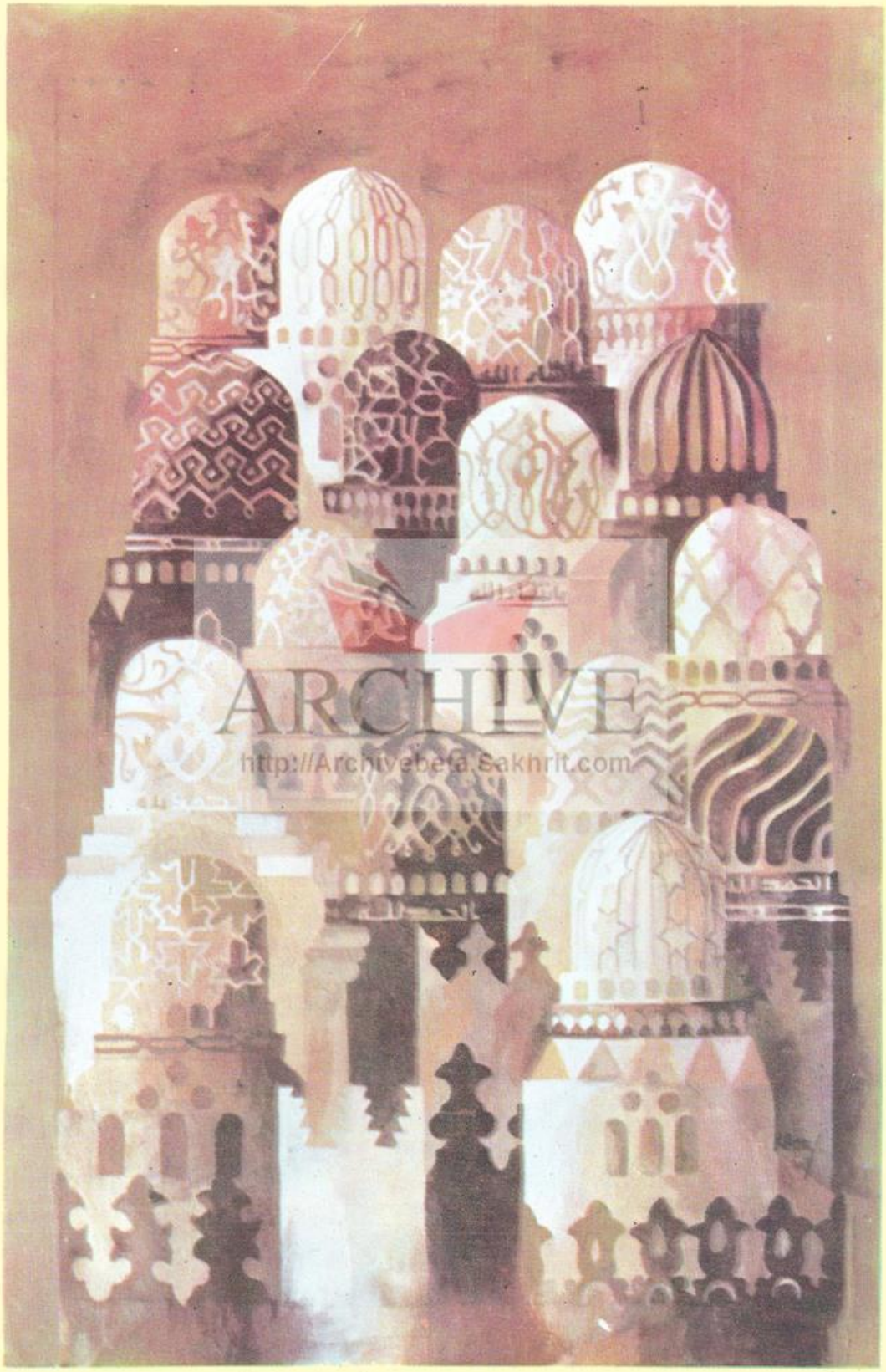
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

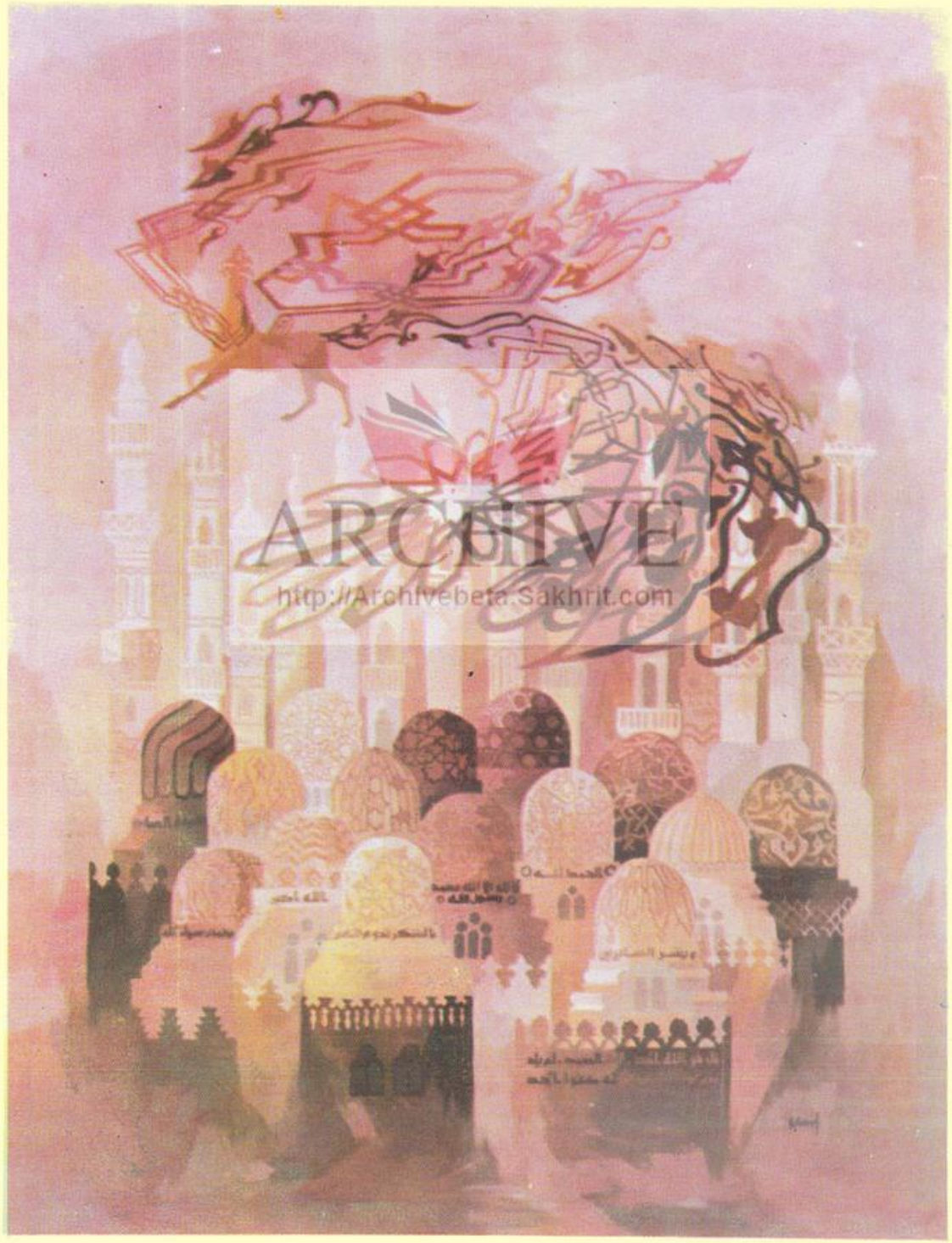
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

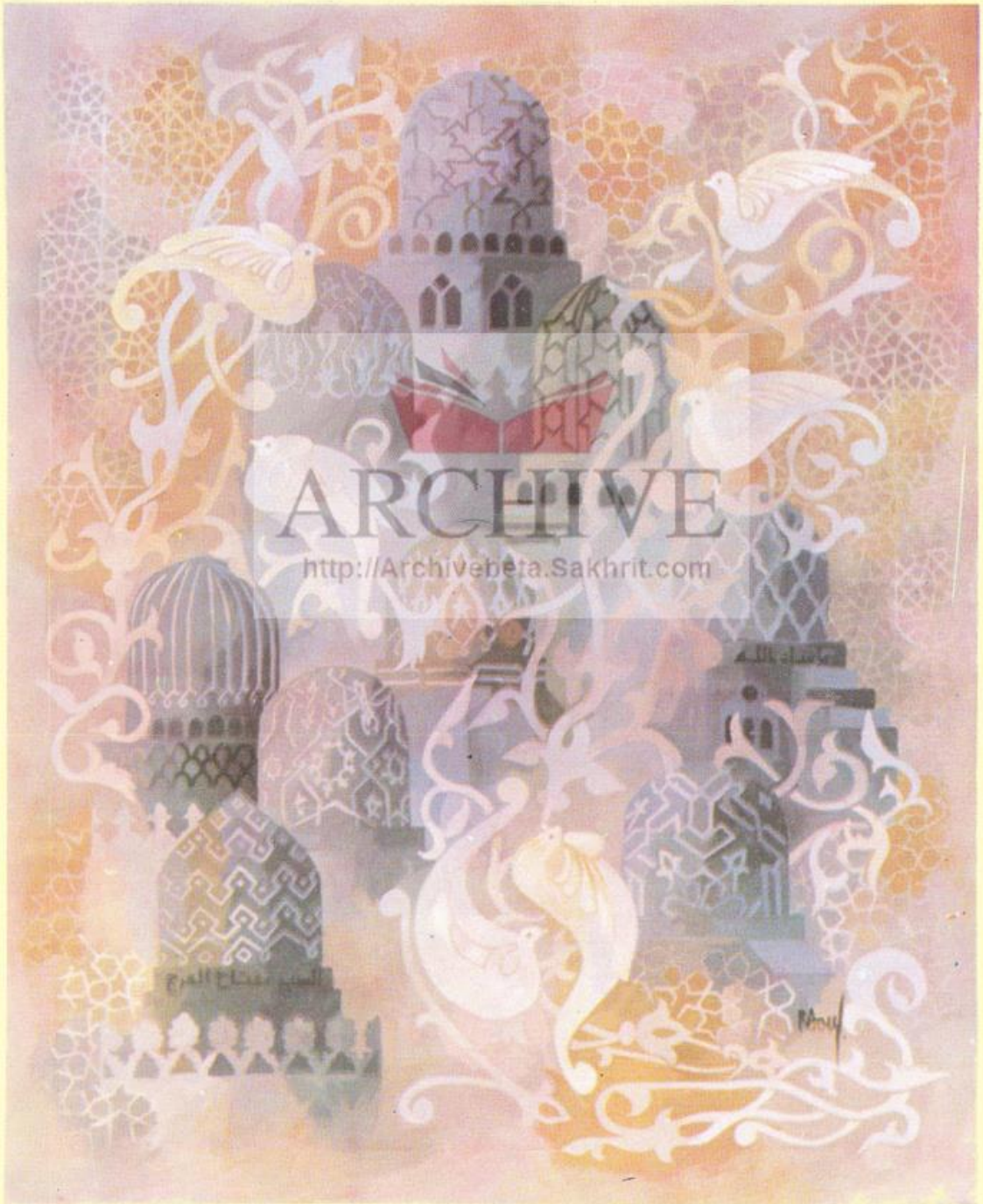
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

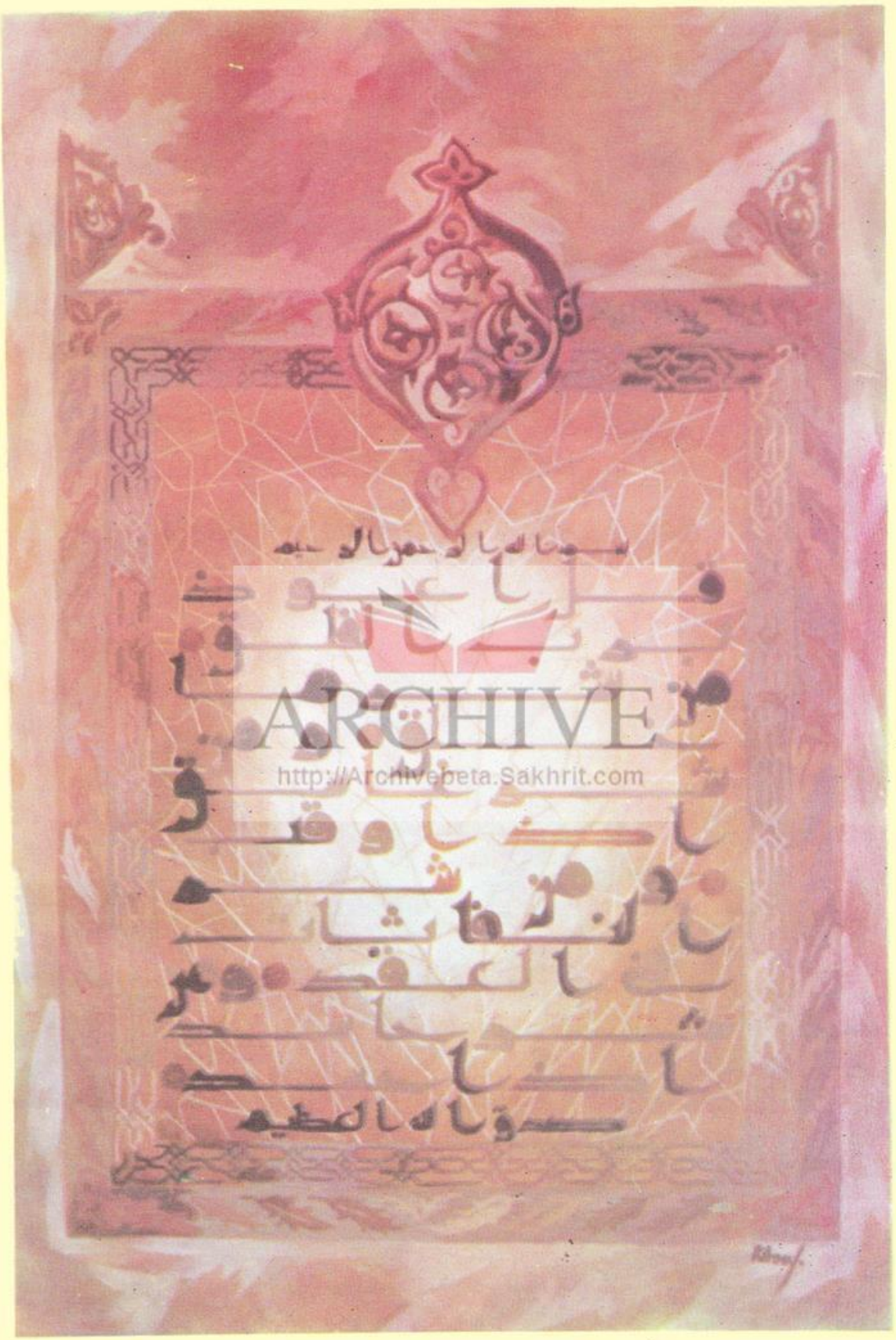

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

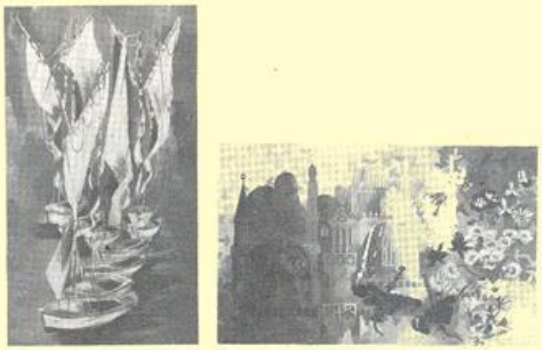

صورتا الغلاف للفنان رووف عبد المجيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طبع بالهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٦١٤٥ - ١٩٩٠